ما بين:

المخلوع والمعزول

دكتور محمد المنشاوي



بطاقة فهرسة

اسم الكتاب:ما بين المخلوع والمعزول
اسم المؤلف: د. محمد المنشاوي
رقم الإيداع : ٢٠١٣/٢٢٤١٨



مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت: ٠١٠٠٠٤٠٦٩١ - ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

الطبعة الأولى ٢٠١٣



رسوم كاريكاتير : الفنانة الشابة دنيا خالد فؤاد

إهداء

- إلى شهداء ثورتى ٢٥ يناير و٣٠ يونيو، الذين سالت دماؤهم الذكية دفاعا عن مصر وشعبها .. دون أن يسفكوا دما أو يقتلوا نفسا أو يحرقوا أرضا أو يهدموا بناية أو يعطلوا عملا أو يقطعوا طريقا أو يروعوا مسالما أو يخدشوا حياء..
- إلى الأستاذ أحمد هشام.. زينة شباب البيت الخليلي وسليل أهل البيت المكرمين..

المؤلف

المقدمة

الحمد لله .. أسبغ على عباده الكثير من النعم .. وسخر لهم البر والبحر ، والشمس والقمر ، والظلمة والضياء ، والليل والنهار .

وأشهد ألا لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ولا ولد له ، ولا صاحبة له ، ولا مثيل له ، ولا سمى له ، سبحانه وتعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصفيه وحبيبه ، وخيرته من خلقه ، وسفيره بينه وبين عباده .. أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، ومحجة للساكلين ، وحجة على العباد أجمعين .

ورضى الله تعالى عن أهل بيته المكرمين ، وعلى ورثته المحمديين ، وعلى وارثه الكامل الذى يرثه علما وعملا وحالا ... ثم أما بعد .

هذه مجموعة من الأعمال التى نُشرت لى فرادى على مدى السنوات الثلاث الأخيرة فقط من مقالات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وبوجه عام .

ولما كانت هذه الأعمال تخص فترة زمنية قصيرة ذات مواصفات خاصة من تاريخ مصرنا الحبيبة تميزت مع ذلك بثراء شديد فى تطور أحداثها وملابساتها وسرعة وتيرتها ، بل وتشابكت تنوعاتها السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والأمنية والخارجية والداخلية ، فقد آثرت تجميعها فى كتاب واحد . فما كان عن السياسة اختلط بالاقتصاد وما كان بالدين اختلط بكل شىء على نحو لم تشهده مصر من قبل على مدى تاريخها الطويل .

فكانت هذه الأعمال الكتابية – التى نشرت بالصحف اليومية لاسيما الأخبار والجمهورية وأيضا الأهرام وبعض وسائل الإعلام والاتصال الأخرى – مزيجا

مترابطا تجمع بينه قواسم وأدبيات مشتركة تمثل نهجًا جديدًا على الشعب المصرى أثار اهتمام شعوب العالم نحوه ، بعد فترة خمول سياسى وشعبى جثمت على صدره طوال ما يزيد على نصف قرن .

هذه الفترة التى أعقبت نحو ثلاثين عاما من اللا مبالاه وعدم الاكتراث فى حياة المواطن المصرى شهدت بعثا جديدا للروح المصرية ،وحفلت بحراك مجتمعى شمل كل طوائف وطبقات وفئات ومراحله عمرية في المجتمع المصرى .

هذا الحراك برزت معه تيارات صوفية وسلفية وسياسية واجتماعية ، وتنفست خلاله لأول مرة تلك الجماعات التى ظلت لأكثر من ثمانين عاما تعمل تحت الأرض لتكون لها الغلبة والسيادة على نحو لم تتوقعه هى ، مدفوعة بحماس المجتمع صوب الخلاص الاجتماعى لحقبة طويلة من تاريخه السياسى .

غير أن هذه الجماعات لاسيما الإخوان المسلمين ما لبثت فى ظل هذه الانفراجة غير المتوقعة أن أصيبت بتخمة المحروم من غذاء الحرية فأساءت استغلال ما توفر لها، وبدلا من أن تلجأ إلى علاج ما أفسدته العقود السالفة وتعويض الشعب ، وكذا استغلال حاجة الناس إلى الخلاص ، لجأت إلى التمكين كأولوية أولى على نحو إتسم بقلة الخبرة التى بلغت حد الجهل بتطور الزمن وتطور ثقافات الشعب ، فلفظها وكان السقوط المدوى هو العنوان الرئيسى خلال عامين أو أقل .

وجاءت هذه الأعمال بالكتاب معبرة بشكل ما عن أحداث تلك الفترة القصيرة من حياتنا التى تصدرها مصطلحان جديدان سيطرا على مسامعنا لبعض الوقت هما " المخلوع " الذى أمضى بالحكم ثلاثين عاما وهى إشارة إلى الرئيس حسنى مبارك الذى استخف بشعبه فثار عليه و " المعزول " وهى إشارة إلى الرئيس محمد مرسى الذى إستباح مصر وشعبها فثار عليه الشعب ولم يهنأ سوى بنحو عام من الحكم دون أن يكمل فترة رئاسته ، الأمر الذى آثرت أن يكون عنوانا لهذا العمل.

والقارئ لهذه الأعمال التى يشملها الكتاب يلاحظ أنها تمثل مائدة لوجبة غذائية من الأطعمة المتباينة ذات نكهة منسجمة لأسرة مصرية كبيرة بها الطالب والمثقف

والموظف والعامل والسياسى والمتدين والجندى والفتاة والشاب والأب والأم والسيد والخادم والتى تشكل بدورها النواة المصغرة للمجتمع المصرى .

أما عنوان الكتاب فقد جاء ليسلط الضوء بشكل مباشر على ما أحدثه الشعب من انتفاضة شعبية ثورية خلع فيها "المخلوع " وعزل فيها " المعزول" ، على نحو فاق توقعات القاص والدانى لدرجة عجز معها المحللون عن مواكبة التحركات اليومية الحياتية لهذا الشعب من سرعة وتيرتها وأسلوب تنفيذها .

وبهذا المجهود المتواضع ، يحدونى الأمل فى أن أكون قد قدمت رؤية أقرب إلى التأريخ لفترة زمنية وإن كانت قصيرة بالنسبة لحياة الأمم والشعوب إلا أنها ذاخرة وعامرة بفيض من الأحداث والتطورات التى قد تحتاج عقودًا من الزمن لوقوعها . فإن كان ما ذهبت إليه قد حظى بالقبول منك عزيزى القارئ ، فهذا هو التوفيق من الله ورسوله ﷺ ، وإن كان عكس ذلك فإنه منى ومن الشيطان . وعلى الله قصد السبيل .

المؤلف




حلول

المخلوع والمعزول .. القواسم المشتركة

كان من الممكن أن يصبح الرئيس المصرى الأسبق حسنى مبارك أو "المخلوع" لاسيما مع نهاية عقده الثانى من حكمه الذى طال ثلاثة عقود، بناء مصر الثانى بعد محمد على باشا البنَّاء الأول لمصر الحديثة. وكان من المكن أن يتحول الرئيس المصرى السابق محمد مرسى أو "المعزول" إلى الحصان الأسود الذى راهن عليه الشعب المصرى وانتظره بعد صبر ومعاناة.

غير أن كلا الرجلين أبى إلا أن يكونا حسبما أرادا هما لنفسيهما ورسمته لهما حاشية الأول وعشيرة الثانى، لا كما يريد الشعب أو ينتظر منهما، فلم يتحول المخلوع إلى البنَّاء الثانى لمصر، مثلما لم يصبح المعزول الحصان الأسود الذى يفوز فى السباق رغم كونه غير مصنف فى مضمار السياسة الأمر الذى دفع بالثورة عليهما الأول فى ٢٥ يناير ٢٠١١ والثانى فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣، فقامت ثورتا الشعب المصرى على الرجلين نتيجة لقواسم مشتركة تشابهت فيها أفعالهما وممارساتهما رغم اختلافهما.

وقد يتساءل المرء، كيف توجد قواسم مشتركة وأوجه شبه بين رجلين قضى الأول فى حكمه ثلاثين عاما ولم يدم الثانى سوى نحو عام فى السلطة ؟؟ ولماذا طال الانتظار من الشعب على الأول وصبر عليه ولماذا عجل بالثانى ولم يتحمله سوى لشهور قليلة ؟؟؟ .

يتشابه الرجلان فى أن كلاهما قد حُمل حملًا إلى كرسى الرئاسة على نحو فاق توقعاته الشخصية وقدراته. فالأول كما قال بنفسه ذات مرة: أن أقصى أحلامه أن يختتم حياته العسكرية كالعادة بأن يعين سفيرا لمصر لدى دولة عربية أو أوربية، غير أن الأقدار قد دفعت بالرئيس السادات الذى سئم التعامل مع كبار الساسة المستنيرين والتى تعج بهم الساحة المصرية، إلى أن يختار نائبا له لا خلفية له ولا خبرة، لا يجادل ولا يشاطر، مع توفر الوجاهة والمبرر للاختيار وهو فى كونه من جيل أكتوبر الذى حقق النصر لمصر فلن يعترض أحد.

ليجد المخلوع نفسه متبوأ لمنصب الرجل الثانى فى البلاد ، ومتحولًا ٣٦٠ درجة من طيار لا يجيد سوى لغة الأرقام وإحداثيات ضرب الأهداف المباشرة طبقا لما هو واضح على الشاشة فى قمرة القيادة دون انحراف ، إلى رجل يُلقى به فى دهاليز السياسة وسراديبها حيث المناورات والتصويب غير المباشر على أهداف قد لا ترى بالعين المجردة ولا تحتسب بالأرقام والإحصائيات لأسباب إستراتيجية مطلوبة .

وفجأة بين عشية وضحاها ، يُغتال السادات ، ومرة أخرى يجد المخلوع نفسه أمام مفاجأة أخرى " كلاكيت تانى مرة " ، رئيسا لمصر ، وليس لإمارة أو دويلة كتلك التى فى الخليج أو جزيرة فى المحيط .. بل مصر بحجمها .

ولإدراكه الشديد كيف جلس على كرسى الرئاسة فى مصر بضربتى حظ ، ظل المخلوع طوال ثلاثين عاما يرفض تعيين نائبًا له ، حتى لا يتكرر السيناريو الإعتباطى الذى دفع به إلى هذا المنصب ، وهذا إعتراف محمود لا ينكره عليه أحد ، وإن كان فى ذات الوقت دليلا كاشفا عن فهمه لقدراته وإمكانياته الشخصية .

الديكتاتور الأسوأ :

حسب تصنيف مجلة باردى الأمريكية يعتبر حسنى مبارك الديكتاتور رقم ٢٠ الأسوأ على مستوى العالم لعام ٢٠٠٩ بينما حل فى المركز السابع عشر فى عام ٢٠٠٨ لنفس القائمة .

وحسب تصنيف مجلة فورين بوليسى الأمريكية يحتل حسنى مبارك المركز الخامس عشر فى قائمة فورين بوليسى (أسوأ السيئين) لعام ٢٠١٠ حيث تعتبره فورين بوليسى حاكم مطلق مستبد يعانى من داء العظمة وشغله الشاغل الوحيد أن يستمر فى منصبة ، ومبارك شخصية تشك حتى فى ظلها وهو يحكم البلاد من ٣٠ سنة بقانون الطوارئ لإخماد وقمع أى نشاط للمعارضة وكان يجهز ابنه جمال لخلافته ، وأضافت فورين بوليسى الأمريكية " أنه لا عجب أن ٢٣ فى المائة فقط من المصريين أدلوا بأصواتهم فى الانتخابات الرئاسية فى عام ٢٠٠٥ .

ويتفق ويتشابه معه المعزول فى ذات الملابسات – وإن اختلف الفاعل – التى

حملته إلى سدة الحكم فى مصر دون توقع أو إعداد أو تميز أو تجهيز .فقد شاءت الظروف أن يأتى الرجل كمحلل أو كحل وسط دفعت به جماعة الإخوان بديلا لخيرت الشاطر مهندسها الرئيسى ورجلها القوى الذى تم استبعاده لأسباب قانونية تتعلق بالمعايير وكادت الجماعة تفقد فرصتها ، فجاءت بالرجل غير المصنف دون ترتيب أو تجهيز ودفعت به إلى فوهة رأس السلطة ، ليتحول الرجل فجأة من شخص عقائدى النظرية والتفكير ارتبط طوال حياته بأدبيات شديدة الخصوصية لجماعة ذات مواصفات خاصة ولوائح محددة تعمل تحت الأرض طوال نحو ٨٠ عاما يصعب تعميم نظريتها إلى رئيس لكل جماعات المصريين بمتخلف طبقاتهم وفئاتهم .

ومن رجل عاش فى جلباب وكنف مرشد الجماعة ينفذ ما يملى عليه دون نقاش أو جدال مقبلا يديه ، إلى رجل يتعين عليه أن يكون صانع للقرار وحده دون إملاء أو توجيه .

ووجد المعزول نفسه بين أمرين لا ثالث لهما ، لأنه لا توافق أبدا بين أهداف الجماعة وبين حاجة وأهداف عموم المصريين :

فهو إما أن ينسلخ عن جماعته وعشيرته ذات الخصوصية المحدودة كما تنسلخ الأفعى عن جلدها لتعيش كما تقضى سنة الحياه وكما تقتضيه معايير المنصب الرئاسى، ويتحلل من مبايعة الفرد إلى مبايعة عموم الشعب ، وهى المخاطرة التى لا تتلائم مع شخصيته وإمكانياته ..

وإما أن يستسلم ويرفع الراية البيضاء إلى الجماعة التى ستحكم نيابة عنه كما هو مخطط له ، خاصة فى شأن لم يسع هو نفسه أو يخطط له كما لم يخلق له أو يستعد للاضطلاع به .

ولتركيبته الشخصية ومواصفاته الثقافية والعقائدية ، كان طبيعيا أن يختار مرسى الخيار الأخير وأن يسلم أمره بل وأمر مصر كلها إلى مجلس الجماعة وخاصة مهندسها الشاطر لتحصد وحدها ثمار ثورة ٢٥ يناير التى لم تكن أبدا من بين مفجريها أو على الأقل المشاركين فى أيامها الأولى .

ويتشابه الرجلان أيضا فى الدوافع والملابسات التى دفعت الناس للثورة عليهما أملا فى الخلاص ، فبالنسبة للأول وهو المخلوع كان من الممكن أن يصبر الشعب عليه لنحو ٤٠ وليس ٣٠ عاما ، إلا أن الرجل قد استخف بشعبه عندما بلغ به الأمر أن يصور للناس على نحو واضح أنه الوصى على هذا الشعب وأنه الأدرى بمصالحهم واحتياجاته أكثر من معرفتهم هم ، فلم يكتف بفساد فى عهده يحميه القانون لأسرته وحاشيته والمتفعين من حكمه ساد واستشرى وطال كل مؤسسات الدولة ، بل بلغ استخفافه بالشعب أن فرض إبنه وريثا شرعيا له مدشنا لمفهوم جديد فى شكل الأنظمة الحاكمة وهو الجمهورية الملكية أو الحكم الجمهورى بالوراثة ، غير مبال أو عابئ لصيحات الجماهير الرافضة المكبوتة ، ليمضى قدما فى نهجه السلطوى مطوعا القانون والدستور لأهوائه وهوى ابنه وحاشيته ، فكانت انتفاضة الشعب عليه على نحو أذهل العالم فى ٢٥ يناير .

وإذا كان المخلوع قد استخف بشعبه فثار عليه وخلعه ، فإن المعزول قد إقترف ما هو أقصى على الشعب ، فقد استباح مصر لنفسه وعشيرته وباع شعبه لجماعته وتنظيمها الدولى محليا وإقليميا ودوليا ، وأقصى دونها جميع جماعات وطبقات وفئات هذا الشعب ، وجند لخطه التمكين الإخوانى فى مصر الآلة الإعلامية فى الداخل والخارج ، تعاونه دويلة الخليج الغنية وقناتها المشبوهة بدعم غربى ، وفتح أبواب مصر على مصراعيها لكل أطياف التطرف والإرهاب الدولى ، وكادت البلاد أن تتحول إلى أفغانستان أخرى ، واقترب من تحقيق هدف استعصى على الصهيونية العالمية المدعمة من الأمريكان ، كما استعصى من قبل على التتار والصليبيين وهو إسقاط مصر وتركيعها .

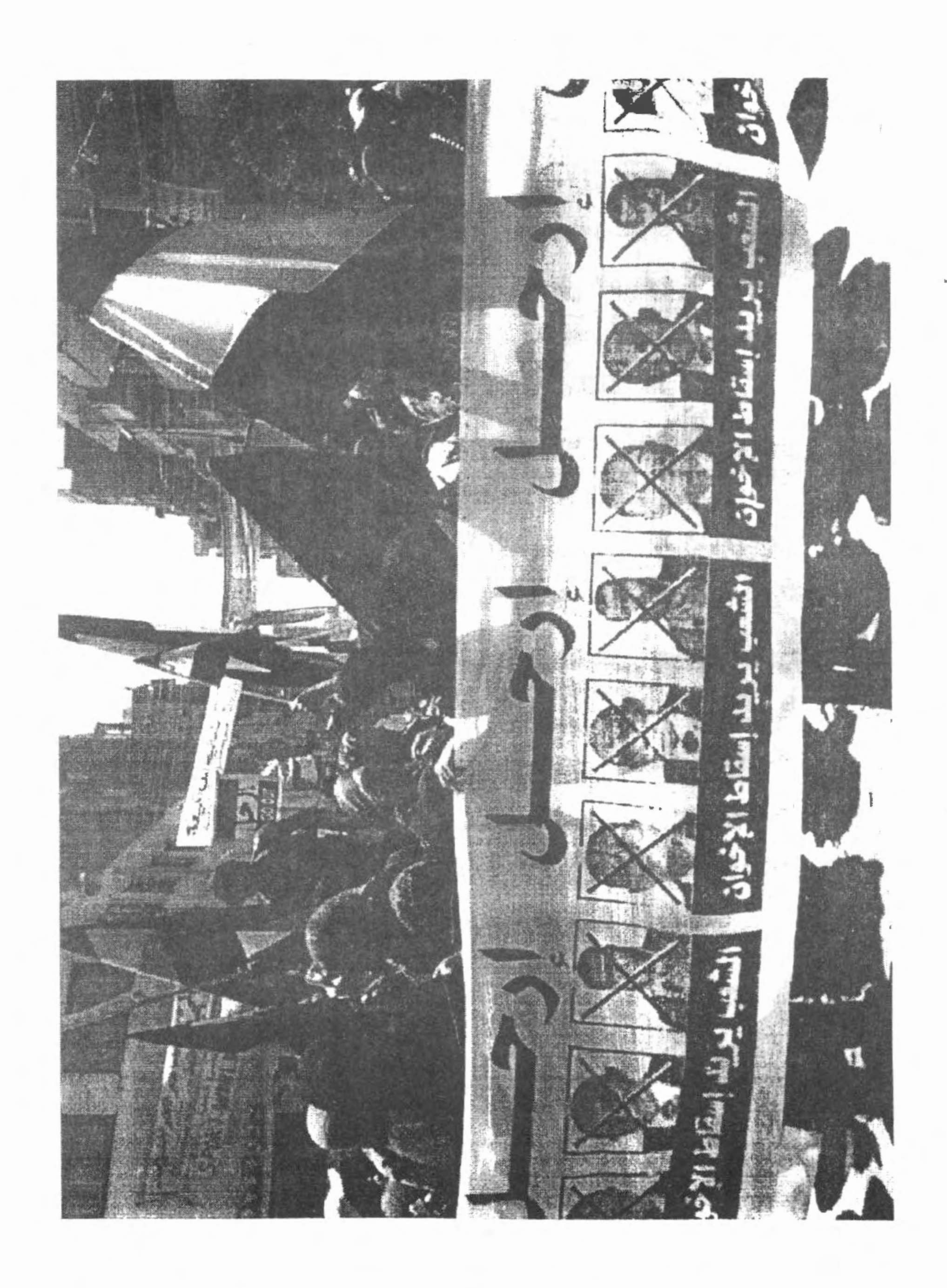
فثار الشعب أيضا عليه وعزله ، ولكن هذه المرة ليس من خلال انتفاضة شعبية، بل بثورة شعبية حاشدة فى الثلاثين من يونيو ٢٠١٣ ، اقتلع بها الرجل وعزله بإرادة الشعب ، وأسس بثورته الجديدة مفهوما جديدا فى السياسة الدولية تمثل فى الشرعية الشعبية التي هى الأساس لكل شرعية أخرى .

ورغم وجود هذه القواسم المشتركة بين المخلوع والمعزول، وتماثل الثورة عليهما فى فترة لم تتجاوز الأعوام الثلاثة، إلا أن الرجلين يختلفان فى شخصيتهما الاعتبارية من حيث كونهما رئيسان للجمهورية فى مصر..

فإذا كان مبارك المخلوع قد ثار الشعب عليه لكونه رئيسا ديكتاتوريا مستبدا وحاكما سلطويا أفقر الشعب والدولة بممارسات وأبنائه وحاشيته، فإن سلوك مرسى المعزول لم يكن أبدا طوال فترة العام التى حكم فيها سلوكا لرئيس دولة، بل كانت قراراته وتحركاته ورسائله إلى الشعب وخطبه المستفيضة المطولة أقرب إلى رئيس جماعة أو تنظيم وإن شئت القول رئيس عصابة، ترغب فى تطويع شعب بأكمله ودولة بكل مؤسساتها إلى فكر نحو نصف مليون أو أكثر بقليل يمثلون قوة هذا التنظيم وأنصاره، وأن تحبس مصر - رهينة لأهواء تلك العشيرة بكل السبل حتى غير المشروع منها على طريقة الغاية تبرر الوسيلة..

ولكونه رئيسا لتنظيم لا رئيسا للجمهورية، فإنه ما أن ثار الشعب عليه حتى هدد وتوعد هو وعشيرته بكل أساليب الإرهاب والاغتيالات والتفجيرات والتخريب ضد شعبه الذى اختاره، تمسكا وإصرارا بكرسى السلطة، وهذا ليس من أدبيات و أخلاقيات رجل دولة، وإنما أدبيات تخص العصابات..

لقد توحد الشعب فى الثورة على مبارك المخلوع وحتى عقب الإطاحة به ولم ينقسم، غير أنه انقسم وتشرذم وتفرق بعد الثورة على مرسى المعزول بفعل ردة فعله وعشيرته على الثورة، وأوشكت الدولة فى مصر على الانهيار لولا رموز وطنية حالت دون تحقيق مآرب أعداء الوطن فى الداخل والخارج، وهذا هو الفرق ما بين المخلوع والمعزول..


ارحل
الشعب يريد إسقاط الإخوان

سلفيون بلا سلف..ومتصوفة بلا تصوف !!

كثيرا ما تتعرض المسميات والمصطلحات بقصد أو بدون ونتيجة لقلة المعرفة ، إلى التشويه والتحريف عن مدلولها الصحيح الذى بدت عليه أول مرة ، لترددها الآلة الإعلامية على النحو الخاطىء الذى يلتصق بها ، فتشير إلى ما ليس لها بصلة . من هذه التسميات "الصوفية " و " السلفية " .

والتصوف يعنى -من بين أشياء كثيرة- صفاء القلب من شوائب الأكدار ، ويقول أبو بكر الكتانى المتوفى سنة ٢٣٣ هجرية : التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء ، والمقصود بالخلق هنا هو التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ .

وتروى الرسالة القشيرية عن أبا محمد الجريرى المتوفى سنة ٣١١ هجرية عندما سئل عن التصوف فقال : هو الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج عن كل خلق دنى   ويقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ":لقد إنكشف لى أثناء خلواتى وجلواتى مع ربى أمور وعلوم ومعارف لا يمكن إحصاؤها وإستقصاؤها ، لكن القدر الذى أستطيع أن أذكره لينتفع به هو أنى علمت أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق .

و"المتصوف" غير "الصوفى"، حيث تعنى الأولى الشخص الذى لا يزال يسير فى الطريق إلى الله تأدبا وتعلما ، وقد لايصل أبدا إلى مرتبة الصوفى ، أما الثانية فهى الولى الذى وصل بالفعل إلى درجة الإحسان والأخيرة تعنى أن " تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

والتصوف ليس دينا آخر أو عقيدة داخل العقيدة كما يتصور البعض خطأ نتيجة الممارسات المرفوضة من قبل المتسبين كذبا إلى التصوف، بل هو ببساطة السعى وصولا إلى درجة الإحسان فى عبادة الله وعدم الاكتفاء بدرجتى الإسلام والإيمان .

غير أن ما نراه حاليا فى كثير من الأحيان ، أشخاص ينتسبون كذبا إلى التصوف من ذوى الملابس الرثة أو حتى العباءات الفضفاضة يسترزقون من ورائه ،



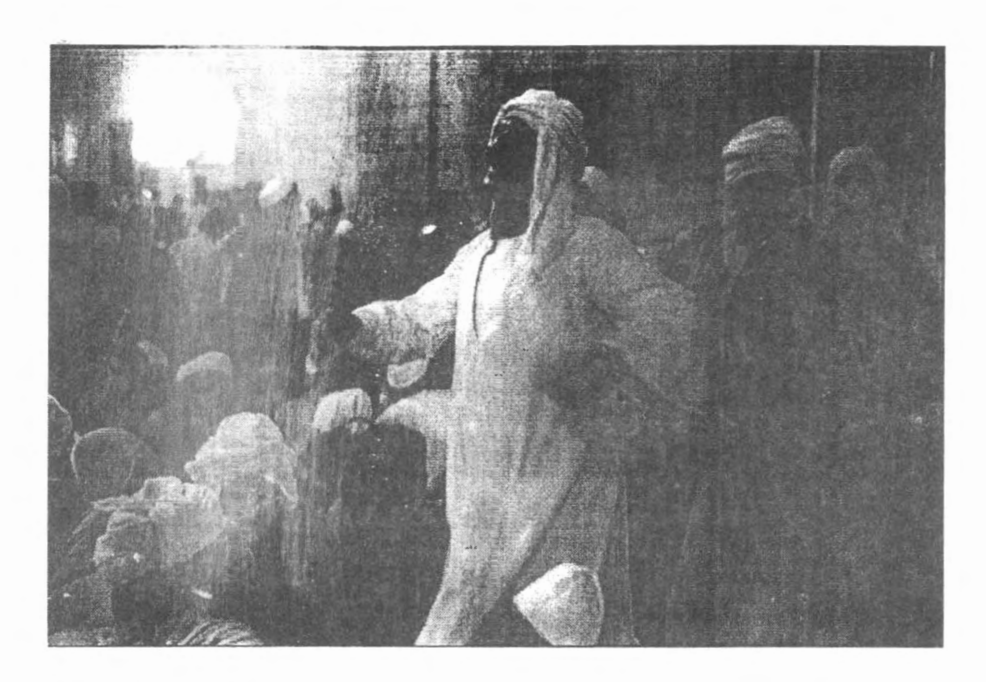
يتخاصمون ويتنافسون ويتقاضون فيما بينهم سعيا إلى المناصب والوجاهة حتى داخل المنتديات الصوفية نفسها، وما حدث بالأمس القريب داخل إنتخابات رئاسة المجلس الأعلى للطرق الصوفية ليس ببعيد، فهؤلاء ليسوا بصوفية بل مجرد متصوفة يفتقرون إلى خلق الصوفى الذى يستوى عنده ذهب الأرض بترابها، فأين هؤلاء من أكابر الصوفية أمثال محى الدين بن عربى وأبو حامد الغزالى وذو النون المصرى وأبو يزيد البسطامى والجنيد وابو طالب المكى وجلال الدين الرومى وإبن عطاء الله السكندرى وعبد الحليم محمود ومتولى الشعراوى ؟؟ . ولهذا أقول إنهم متصوفة بلا تصوف .

على الجانب الآخر ، فإن السلفية الحقة من يدعون إلى تبنى "نهج السلف الصالح" ، الذين هم صحابة رسول الله ﷺ والتابعين وتابعى التابعين الذين عاشوا فى القرون الثلاثة الأولى من الإسلام وأخذوا باحكام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ،سمتها الوسطية والإعتدال " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" ، فالمسلمون جميعا على هذا النحو هم بالأساس سلفيون !! .

غير أن الحاصل هذه الأيام غير ذلك تماما ، فلا نرى اليوم من دعاة السلفية سوى دعوتهم لهدم القبور والتعدى على الآخرين من المسلمين وغير المسلمين وإيذاء الغير و حرق دور العبادة بما يخالف سنة الرسول ﷺ والسلف الصالح فى التعامل مع سائر المسلمين ومع أهل العقائد الأخرى .

إن ما نراه ما هى إلا أفكارا لمدرسة فكرية معاصرة يسعى روادها إلى تغيير أنظمة الحكم والمجتمع بما يتوافق مع تلك الرؤية لنظام شرعى إسلامى دشنها حجة الإسلام أحمد بن تيمية فى القرن الثامن الهجرى ، ليتلقفها محمد بن عبد الوهاب ويحولها إلى مدلول جديد لمصطلح " السلفية " على هذا النحو فى منطقة نجد بالسعودية فى القرن الثانى عشر الهجرى لتظهر الحركة الوهابية .

وليظهر لدينا جيل من "دعاة السلفية " الذين يتشيعون لهذه الرؤية الضيقة التى لا صلة لها بالسلف الصالح . ليصبح الأمر على الجانب الأول "متصوفة بلا تصوف" وعلى الآخر "سلفيون بلا سلف" !!!!!





التصوف.والمنتسبون إليه كذبا وافتراء !!

حكى لى خطيب مسجد من خريجى الأزهر الشريف ، يعلم أن لى بعضا من المؤلفات فى فلسفة التصوف ، أن له صهرا من المتصوفة تجاوز الستين من عمره يحمل مسبحة كبيرة من تلك التى يطلقون عليها ألفية ، قد دأب على أن يردد على مسامعه متفاخرا بعض العبارات مثل " أنتم بتوع الشريعة أما إحنا بتوع الحقيقة "،" أنتم بتوع الظاهر أما إحنا بتوع الباطن " ، متعاليا عليه كما لو كان بتصوفه على هذا النحو على يقين من مقامه ودرجته عند الله سبحانه وتعالى ، ومستخدما بعض مصطلحات ورموز الصوفية التى لا يتعين أن تستخدم اعتباطا ودون الترفق بنوعية من يسمعها أو المناسبة التى تقال فيها .

ويضيف لى الخطيب الشاب أن المعلومات التى تصدر عن صهره والطريقة التى يتحدث بها ممسكا بيده مسبحته الطويلة أحدثت لديه صداعا جدليا وتشويشا فى رأسه عن التصوف والمتصوفة ، حتى أنه شعر أن ما درسه فى الأزهر عن التصوف يغاير ما يردده هذا الرجل الذى يتصرف على نحو العليم بصحيح الدين .

وحاولت أن أهدئ من روع الخطيب الشاب خلال حديثى معه عقب أدائه لصلاة الجمعة التى ظهر بها خطيبا مفوها محبا للرسول ﷺ وأهل بيته المكرمين ، وأخفف عليه ما ألم به من سلوك صهره المستمر فى " الرايحة والجاية " - على حد قوله - ، وأوضحت له أن هذا الرجل على هذه الصورة لم يعرف من التصوف إلا اسمه ولن يكون صوفيا أبدا - حتى إذا طار فى الهواء ومشى على الماء - إذا تجاهل الشريعة الغراء .

لقد نسى هذا المتنسب كذبا وافتراء إلى التصوف أن التصوف هو جماع الشريعة والحقيقة ، وأنه ليس هناك ظاهر بلا باطن أو باطن بلا ظاهر ، فليس هناك لب بلا قشر . إن كبار الصوفية على وجه العموم نبهوا بصورة قاطعة وحاسمة إلى وجوب التزام الشريعة ، فيقول أبو الحسن الشاذلى : من دعا إلى الله بغير ما دعى إليه رسول الله

ﷺ فهو مدعى ويقول أبو يزيد البسطامي : لو نظرتم إلى رجل أعطى الكرامات . حتى يرتفي في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنصروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى . وحفظ الحدود وأداء الشرائع .

ويقول الجنيد : الطرق كلها مسدودة عن الخلق إلا من إقتفى أثر رسول الله ﷺ واتبع سنته ولزم طريقه . ويقول الدكتور عبد الحليم محمود إن الصوفية يمثلون العلم الإسلامي في قمته وفي جميع فروعه : في الفقه والتفسير والحديث والأخلاق . ومن كان علم الكتب وحده هو غايتهم بل كان صوحهم أيضا هو العلم الوهبي الذي يمنحه الله لمن حقق له العبودية ، وإخلاص العبودية لله لا يتأتى إلا بأن يكون الاستغراق في العمل صلاة وذكرا وصياما . ويقول صاحب المدرسة الخليلية العالم صالح أبو خليل : الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده ، لأن الشريعة : أمر بالتزام العبودية لله وحده ، والحقيقة هي مشاهدة الربوبية . وتقول الرسالة القشيرية : إن كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة غير مقبولة ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة غير محصولة . ويقول السيد أحمد البدوى : هذه طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة والصدق . ، وكان إبراهيم الدسوقي يقول لمن يطلب منه سلوك الطريق : يا فلان أسلك طريق النسك على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

غير أنه بالرغم من هذه الصفات الحميدة والأخلاق الطيبة التي ينطوى عليها التصوف والصوفية على اختلاف مدارسهم وأزمانهم ، إلا أن هناك البعض الذين يتسبون كذبا وافتراء وشكلا إلى التصوف . ويتكسب هؤلاء من وراء لبس الهلاهيل أو الدروشة الشكلية والتفاخر بعبارات وإشارات هم الأكثر جهلا بها والأقل دراية بمعناها ومدلولها .

الشيعة والمتصوفة . وما بينهما !!

إذا كان المسلمون سنة وشيعة يتشاركون حبهم للإمام على رضى الله عنه ، وإذا كان الصوفية يجعلون على رأس سندهم وقمة سلسلتهم الإمام على كما يفعل الشيعة ، فليس هذا مبررا للبعض بإتهام الصوفية بأنهم أخذوا عن الشيعة نظامهم فى التصوف ، ففى ذلك كثير من المغالاة الزائدة والخطأ .

قد يرى فريق من الباحثين أن هناك نقاط إلتقاء كثيرة بين الشيعة والتصوف ، حيث الدين لدى الفريقين يتمثل فى طاعة رجل ، فالمرجع فى أحكام الدين لدى الشيعة هو "الإمام" كما أن فى التصوف من ليس له "شيخ" على حد تعبير أبى يزيد البسطامى فشيخه الشيطان ، بل ذهب بن عطاء الله السكندرى تلميذ أبو العباس المرسى الذى هو تلميذ أبو الحسن الشاذلى ، للقول بأن من ليس له شيخ فهو كاللقيط، كما أن الشيعة أثبتت العصمة لأئمتهم وأثبت الصوفية الحفظ لشيوخهم ، ثم أن الشيعة والصوفية تستقى نفس فكرة الباطنية وأركانها .

ويشير بن خلدون إلى أن الصوفية قد خالطوا الإسماعيلية وأشرب كل واحد منهم مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم ، ويتحدث البعض أيضا عن الصلة بين التصوف والتشيع ، فيقول " إن الصلة وثيقة بين الفريقين فعلى رضى الله عنه معبود الشيعة ، وهو أيضا إمام الصوفية ، كما قيل أن الجنيد أخذ الطريقة عن خاله السرى السقطى الذى أخذها عن معروف الكرخى الذى أخذها عن على بن موسى الرضا أحد أئمة الشيعة .

غير أن الكثيرين لا يعلمون أن طائفة الشيعة والخوارج يزداد أثرها السلبى على الإسلام الذى يتمزق بسببها ، تلك الطائفة التى إنقسمت على نفسها إلى أكثر من ثلاث وسبعين فرقة تعادى صحابة رسول الله ﷺ يدفعها اليهود فى الخفاء قديما وحديثا لتمزيق الفكر الإسلامي وإضعاف شوكة المسلمين بتحزبهم ضد بعضهم البعض ، يكفر بعضها بعضا ، وإن كانت تتفق فى شىء واحد هو تكفير سائر

المسلمين الذين يخالفونهم الرأى .

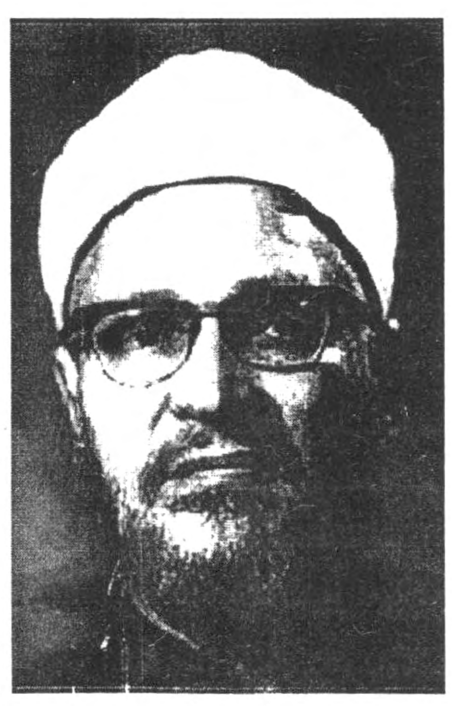
فإذا كانت الشيعة تدعى حبها لأهل البيت والإمام على ، فإنها تمزق فكر وعقيدة الإمام على رضى الله عنه وسائر أهل البيت المطهرين ، وتلصق بهم فكرا بعيدا عن الدين هم منه براء ، كما يقومون الشيعة بنشر التعصب والعداوة لدى أهل السنة والجماعة ، والباحث المنصف لدينه يجد فى النهاية أن الباعث الأيديلوجى للشيعة والخوارج أمس واليوم وغدا إنما هو سياسى بالدرجة الأولى من أجل الإمارة والتباكى على الحكم ، ولم يدر بخلد أحد منهم قول الرسول ﷺ " إنكم تحرصون على هذه الإمارة وستكون عليكم حسرة وندامة يوم القيامة " .

فإذا كان حب الإمام على رضى الله عنه يتيح ويسهل على البعض إبراز آثار شيعية فى الفكر الصوفى ، فهذا المنطق حق أريد به باطل ، فإن المسلمين جميعا يشاركون الشيعة فى حبهم للإمام على وأهل البيت جميعا ولما لا ؟؟ بعد قول الحق تعالى : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " .

ثم ألم يؤاخ الرسول ﷺ بينه وبين على ، وزوجه إبنته البتول السيدة فاطمة الزهراء ريحانة رسول الله ﷺ ، أليس على والد السبطين الأكرمين الحسن والحسين رضى الله عنهم جميعا ، ألم يقل له الرسول ﷺ : " أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى . لولا أنه لا نبى بعدى " .

قد يلتقى الشيعة والصوفية بل والمسلمون جميعا فى حب على رضى الله عنه ، غير أنها ليست إلا التقاء فى معنى صفة الحب وليس فى غايته وأسلوبه وطريقته بل وطريقة التعبير عنه ، وإن كان هذا الحب نفسه قد أفسده الغلو والتطرف لدى الفرق الشيعية ، فالصوفية محبون لأهل البيت ولكن ليس لهذا الحد من الغلو الذى يهدم الدين ويمزق العقيدة وينشر التعصب والعداوة واختراع النصوص التى يدرك العقلاء أن الإمام على رضى الله عنه وأهل البيت منها براء ..





الصوفية بين أرستقراطية الأخلاق وديمقراطية السلوك!!

إن من مآخذ البعض من " العقليين" على التصوف أنه ليس في متناول الجميع، فهو إذن "أرستقراطية" تتنافى مع روح الإسلام. ولأن "التصوف" ليس في متناول الناس جميعا، فهو إذن تكليف بما لا يطاق والله سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها. وان كان هذا القول بأن التصوف أرستقراطية هو في واقع الأمر حق أريد به باطل !!!

والأرستقراطية في أبسط صورها ومعانيها تعني التميز والاختلاف والاستئثار بما قد لا يكون متاحا للغالبية العظمى والتمايز عن الآخرين، في حين تعنى الديمقراطية المساواة وتكافؤ الفرص بين الجميع. ولأن التصوف تنعم به القلة دون الكثرة، كان ذلك مدعاة للتهجم عليه من جانب البعض ووصفه بالأرستقراطية.

غير أن هذه الأرستقراطية ليست أرستقراطية المظاهر بل أرستقراطية السرائر والأخلاق والتربية الحسنة. ليست أرستقراطية "الكم" بل أرستقراطية "الكيف" أرستقراطية " الظاهر " فقط بل أرستقراطية "الباطن"، فطبيعة الأمور تأبى إلا أن يكون "أرستقراطية"، لأنه نظام الصفوة المختارة، انه نضام هؤلاء الذين وهبهم الله حسا مرهفا، وذكاء حادا، وفطرة روحانية، وصفاء يكاد يقرب من صفاء الملائكة، وطبيعة تكاد تكون مخلوقة من النور.

وتزكية النفس طريق صعب المرتقي، وتركيز الانتباه في الله وعر المسلك، ولذلك كان طريق التصوف طريقا خاصا لا يمكن سلوكه إلا لطائفة قليلة من الناس، و إذا نظرنا إلى الشروط التي يجب توافرها في السالك، علمنا أن النفوس الجديرة بسلوك هذا الطريق من الندرة بمكان، ومن هنا يعترض خصوم التصوف قائلين: التصوف إذن " أرستقراطية ".

وعلى حد قول الإمام الغزالي إذا كانت الديمقراطية معناها التساوي في كل شيء فهي أسطورة من الأساطير: فالتساوي لا يوجد في عالم الطبيعة بحال من الأحوال: أنه لا يوجد

بين الحيوانات في الغاب ، ولا يوجد بين بنى آدم في المدن أو في القرى .

ثم إن الله لم يسو بين الناس في ألوانهم ، ولا في قوتهم الجسمانية ، ولا في ذكائهم، ولا في دهائهم ومكرهم ، ولا في أرزاقهم وحظوظهم .فهناك الطبقات في كل المجتمعات سواء كانت جمهوريات أو ممالك أو إمارات . وأفلاطون ، وهو فيلسوف كبير ، قسم جمهوريته المثالية إلى طبقات ، بحسب استعداد كل طائفة من الطوائف : ففي جمهوريته طائفة "الإنتاج" وهى طائفة المعدة الشرهة و الشهوات الغلابة وطائفة "الجند" ذات العاطفة القوية ، وطائفة " القادة" معدن العقل والحكمة والبصيرة والإشراق .

ثم إن الناس معادن على حد تعبير رسول الله ﷺ ومعادنهم ثابتة لا تتغير فخيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " إن فيهم المعدن الذهبي ، وفيهم المعدن الفضي ، وفيهم غير ذلك .ويحضرني هنا قول سمعته من العالم الجليل صالح أحمد الشافعي صاحب المدرسة الخليلية التي يزيد أتباعها على نحو خمسة ملايين ، وأنا أصافحه يوما بعد فترة غياب طويلة " إن أولادنا كالذهب ، فما أن تمسح ما علق به من تراب حتى يعود إلى بريقه ولمعانه " .

والله سبحانه وتعالى يذكر تمايز الناس فيما ينعم عليهم به ، ويبين أن منهم الأنبياء ، ومنهم الصديقون ، ومنهم الشهداء . الخ . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾ (النساء ٦٩ ، ٧٠) .

إن المتصوفة يستشعرون لذة القرب في حبهم لله وبالله ولأجل الله ، تلك اللذة التي يفتخرون بها ، و تجعلهم متميزين عن دونهم ، و تهتز لها خلجات أجسامهم عند ذكر الله والصلاة على رسوله الكريم أو الجلوس في مجلس ذكر تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ، تلك اللذة التي علموا أن أحدا من غير السالكين يستشعرها ولا ينعم بها حتى لو كان من ملوك الدنيا ، فقال الصوفية : " لو علم الملوك ما لدينا من لذة لجاهدونا عليها بالسيوف " .

وتتمثل أرستقراطية الصوفية في أنهم أهل مكارم الأخلاق ، فهم يقولون : من زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف . دعوتهم إلى إتباع الشريعة الغراء ، والسنة المطهرة، فيقول السيد البدوي مثلا : " هذه طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة والصدق " ، ويقول

الشاذلي : " ارجع عن منازعة ربك تكن موحدا ، واعمل بأركان الشرع تكن متشرعا ، واجمع بينهما تكن محققا " ويقول صالح أحمد الشافعي أبو خليل: إن الصوفية هم أهل الاعتصام بالكتاب والسنة ، دعوا الناس إلى الاستمساك بهما .

وإذا عاشرنا المتصوفة في أي مكان من العالم لوجدنا أنهم دعاة أمن وسلام ومحبة ، لا يعميهم التعصب ، ولا يحجرهم الجمود ، ولا يتأبى عليهم تذوق الجمال ، ولا تنقصهم الشجاعة وإنكار الذات ولا تقصر ملكات التفكير فيهم ، ولا يفزعهم ما يفزع أغلب الناس ، وما أربح الأمة إذا استطاعت أن تستمد من هذه الينابيع طاقاتها الروحية التي هي نماذج حية واقعية للب الدين وجوهره.

وإذا كان التصوف أرستقراطية الأخلاق فهو أيضا ديمقراطية السلوك لأن الحب هو الأساس له انطلاقا من أن الحب أساس نشأة الخلق ، وهذه هي ديمقراطية السلوك لدى المتصوفة ، حيث يجد المتأمل أن الحب قاسم مشترك في صنعة الله للمخلوقات ، وأساس عملها ووظيفتها في الكون والحكمة من وجودها .

ولكون الصوفية قد تخلقوا بأخلاق الله وأخلاق رسوله الكريم ﷺ اتفق سلوكهم وتعاملاتهم مع تلك التي يدعو إليها الله ورسوله ، ولم تكن عبادتهم مجرد حركات ظاهرة فقط بل اتفق ظاهرهم مع باطنهم فقاموا على حقوق الله وآثروا جناب الله ، هؤلاء هم الصوفية جمعوا بين أرستقراطية الأخلاق والتربية والباطن وبين ديمقراطية السلوك في التعامل والظاهر .

ويكفى الصوفية شرفا ، على حد قول أحدهم ، أن نبي الله موسى عليه السلام كليم الله ، وهو من هو ، قد سافر سفرة شاقة طويلة لكي يلتقي بالعبد الصالح سيدنا الخضر ليتعلم مما أفاض الله به عليه من العلم اللدنى الذي هو علم الحقيقة لدى الصوفية .





التقبيل والتمسح .. هل من الإسلام ؟

قد يستنكف المرء أن يرى مشهدا لأحد الأشخاص وهو يقبل يد أحد الأكابر من أهل الله أو يتمسح به ، وتأخذه العزة بالإثم لرؤية من يقبل حديد أحد مقامات العترة المحمدية من أهل البيت ، هذا الشخص هو نفسه قد لا يستنكف أن يرى رجلا عظيم الشأن دنيويا وهو يقبل يد سيدة أو واحدة من المشاهير أو الفنانات أو الراقصات أو سيدات المجتمع ، أو يفعل هو ذلك نفس الأمر على سبيل الفرنجة والإتيكيت .

ويتساءل المرء هل تقبيل يد أهل الله من الأولياء أو الأئمة المريين المشهود لهم . له أصل فى الإسلام ؟؟؟

ذات يوم كان الصحابى الجليل حسان بن ثابت يهم ليركب دابته فإذ بعبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو فى طور الشباب – الذى دعا له رسول الله ﷺ : " اللهم فقه فى الدين وعلمه التأويل " فكان بن عباس بحق حبر الأمة – يمسك بلجام دابة حسان بن ثابت حتى يثبتها ليمكنه من اعتلائها بسهولة ، فقال له حسان بن ثابت: تنح عنك يا ابن عم رسول الله .

فقال له عبد الله ابن عباس : هكذا تعلمنا أن نكون مع علمائنا .

فانحنى حسان بن ثابت وهو الشيخ الكبير ليقبل يد الصبى عبد الله بن عباس قائلا : وهكذا تعودنا أن نكون مع أهل بيت نبينا .

وحسان بن ثابت لمن لا يعرفه صحابى جليل دخل الإسلام عندما بلغ الستين من عمره وحسن إسلامه وكان شاعرا يدافع عن النبى ﷺ وعن الإسلام ويهجو خصوم الإسلام . وكان الرسول ﷺ يثنى على شعر حسان ويحثه عليه، بل كان حسان يحظى بمنزلة رفيعة لدى الخلفاء الراشدين .

ونقل غن رسول الله ﷺ – والله أعلم – أنه فعل ذلك مع أحد الصحابة عندما

جاء معاذ بن جبل رضى الله عنه ليسلم عليه ﷺ، فأمسك ﷺ بيد معاذ فوجدها خشنة من كثرة العمل فى سبيل الله فقال الرسول ﷺ: " هذه يد يحبها الله ورسوله ولا تمسها النار ".

وقد قيل لأبى يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه فى تمسح الناس به وتركه لهم يفعلون ذلك، فقال رضى الله عنه: ليس بى يتمسحون، وإنما يتمسحون بحلية حلانيها ربى، فكيف أمنعهم ذلك وذلك لغيرى.

وقيل لأبى مدين فى تمسح الناس به وتقبيل يده بنية البركة، وتركهم يفعلون ذلك ؟؟، أما تجد فى نفسك أثرا ؟؟؟، فقال: هل يجد الحجر الأسود فى نفسه أثرا يخرجه عن حجريته إذا قبلته الرسل والأنبياء والأولياء وكونه يمين الله ؟؟؟، قيل: لا، قال أنا ذلك الحجر.

قال تعالى فى هذا المقام ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (الفتح ١٠). فنفاه بعد ما أثبته صورة كما فعل به الرامى سواء أثبته ونفاه ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال ١٧) ثم جعل الله يده فوق أيدى المبايعين.

فمن أدب المبايعة إذا أخذ المبايعون يد المبايع للبيعة ليقبلوها جعلوا أيديهم تحتها، كما أخذ الرحمن الصدقة بيمينه من يد المتصدق، فمن الأدب من المتصدق أن يضع الصدقة فى كف نفسه وينزل بها حتى تعلو يد السائل إذا أخذها على يد المعطى حتى تكون هى اليد العليا وهى خير من اليد السفلى، واليد العليا هى المنفقة فيأخذها الرحمن لينفقها له تجارة حتى تعظم فيجدها يوم القيامة قد نمت وزادت.

ورأى آخر، يتمثل فى أن السائل إذا بسط يده لقبول الصدقة من المتصدق جعل الحق يده على يد السائل فإذا أعطى المتصدق الصدقة وقعت بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل كرامة بالمتصدق، ويأخذ الحق عين تلك الصدقة فيربيها فتربوا حتى تصير مثل جبل أحد فى العظم.

وقد قال رسول الله ﷺ: " لو دليتم بحبل لهبط على الله "، أى كما ينسب له العلو فى الإستواء على العرش هو فى التحت أيضا كما هو بكل شىء محيط، له الفوق كما له التحت وله الظاهر كما له الباطن هو المبايع والمبايع فإنه لا يبايع إلا بالسمع والطاعة والسمع لا يكون إلا هو والعمل بالطاعة لا يكون إلا له .

فلا تستنكف يا أخى عندما ترى من يقبل يد أحد أهل الله من المباركين المنسوبين إلى الدوحة المحمدية ، كما لا تستنكف من تراه يقبل حديد مقام أحد أهل البيت المكرمين، قد لا نفعل نحن مثل ما يفعلون ولنا الحق، ولكن من الأدب ألا ننكر عليهم حقهم . فلا تستنكف عليهم أفعالهم، لأنهم على ذوق ليس كذوقك .

ولتسأل نفسك لو كانت هذه الحديدة بالمقام التى يقبلها ذلك الشخص، فى الشارع أو فى مكان آخر وليس مقام السيدة ذينب أو الحسين مثلا، هل كان لصاحبك أن يقبلها أو يتمسح بها !!!! . إنها يا أخى فلسفة المكان . ثم ما أدراك من يقبل وبمن يتمسح ؟؟ . فإذا فتح الله عليك بهذا الذوق، لعرفت وأدركت وقد تفعل ما فعل . فإن المعرفة تقود إلى الذوق وذاك يقود الى اللذة . " لو علم الملوك وأبناء الملوك ما لدينا من لذة لحاربونا عليها بالسيوف " ...

"الكارت الأحمر" فى وجه الرئيس !!

" رب أشعس أغبر، ذى طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره " (حديث شريف) ..

هناك من البسطاء، لا يلتفت إليهم أحد ولا يلفتون نظر إنسان، يسيرون بين أظهر الخلق ويمرون عليهم، فقراء الهيئة والمظهر ولكنهم من أهل الله أهل صفوة الباطن، لهم مايشاؤون عند ربهم، أعطاهم الله سلطانا يفوق سلطان سلاطين ظاهر الدنيا الذين تزدان أزيائهم وملابسهم بالأوسمة والنياشين وتحفهم الموسيقات والمارشات العسكرية وتحرسهم جحافل الجند وتهتز لمواكبهم الطرق والشوارع .

عم صابر فلاح بسيط يستر جسده المتعب سروال من ذلك المربوط بحبل أو ما يطلقون عليه (دكه) -بكسر الدال -عند الوسط تعلوه فانلة تظهر جسده النحيل عند منكبيه، وخلف متصف الكمين من كثرة ارتدائها، تركت سنون العمر الطوال أثرها على ملامح وتضاريس وجهه السمح البسيط .

يقيم مع زوجته فى بيت يتألف من حجرة تتداخل مع أخرى من الطوب اللبن، ينزل الداخل إليه مقدار درجتى سلم لانخفاضه عن مستوى الطريق تعلو سطحه كميات من قش الأرز والذرة، كغيره من بيوت النجوع التى تنتشر فى أماكن كثيرة فى أنحاء مصر، أقامه على رأس قيراطين على الضفة الأخرى لنهر النيل قبالة مدينة المنيا فى صعيد مصر، قام فى الأصل باستصلاحها بيده على بر النيل، يستزرعها ببعض الخضروات التى يتغذى بها وزوجته الطاعنة فى السن ، ويبيع الباقى فى البر التانى حسبما يطلقون عليه .

ما أن بدأت قطعة الأرض الصغيرة التى استصلحها عم صابر تجود بثمار ما نثره من بذور حتى بادرت زبانية موظفى وزارتى الزراعة والرى فى التردد عليه وزيارته على طريقة "فيها لا:خفيها" ، وتحرير المحاضر والغرامات تلو الأخرى على الرجل، بحجة زراعة أرض

بماء النيل دون حيازة زراعية أو تصريح من وزارة الري .

وتراكمت الغرامات إلى أن وصل الأمر إلى ضبط وإحضار لعم صابر من جانب قسم الشرطة فى البر التانى . الرجل لا يملك سوى " الهدمة " التى تستر جسده فاما الحبس أو الدفع ، وضابط شرطة "الفلول" لم يتدرب سوى على لغة غاشمة واحدة يطبقها معصوم العينين دون رحمة أو مراعاة لظرف أو لكبر سن أو لرقة حال .

وكثر استدعاء الضابط "المستعفى" لعم صابر الى أن وصل به الأمر وكان برتبة نقيب أن قام فى أواخر هذه المرات " بمده بالفلكة "على رجليه كمن يؤدب تلميذا على تقصيره فى الواجب المنزلى ، دون أن تفلح توسلات الرجل الذى قد يماثل فى سنه عمر جده الكبير .

لم يجد عم صابر من يرد عليه أذى الضابط المتكرر ، الى أن ساقته قدماه المتعبتين إلى الذهاب الى قصر رئاسة الجمهورية فى العروبة بمصر الجديدة ، فقد ظن الرجل البسيط الذى تربى على مفهوم كبير العائلة فى المجتمع الريفى أن الموضوع فى يد " الكبير أوى" رئيس الجمهورية فذهب ليشتكى مشكلته مع ضابط النقطة ليتجنب مضايقاته المستمرة .

ولم يدرك الرجل أن الحال فى عهد سلاطين رئاسة الجمهورية لاسيما حسنى مبارك ليس كحال رب الأسرة كما يتصوره عما صابر ولن يشفع له كبر سنة فى تجاوز المعايير التى تحكم مقابلة فخامة الرئيس .

فما أن اقترب عم صابر من أسوار قصر الرئاسة فى مصر الجديدة حتى وقع فى قبضة الحرس الجمهورى ، وعندما قال لهم أنه جاء من الصعيد ليقابل سيادة الرئيس لأن الدنيا اسودت فى وجهه ولا يعرف أحدًا غير الله ثم سيادته ليشتكى له ضابط النقطة الذى إعتدى عليه بالضرب ، رد عليه فرد الحرس وهو يدفعه بيده ساخرا من كلماته " تقابل مين يا راجل انته . إنت مجنون . يا حاج اتوكل على الله وروح مش عاوز أشوفك تانى أصل كدا خطر عليك . والمرة الجايه هنحبسك !! .

وعاد عم صابر يجر قدميه المتعبتين ، قائلا فى نفسه " أعدى أقرأ الفاتحة لأهل البيت . السيدة والحسين ، شيالله يأم هاشم ومدد يا حسين . فهو من المحبين لأهل بيت الرسول ﷺ

متحسبنا الله على من ظلمه" .

ومرت الأيام، ولم يكد يمر وقت طويل حتى كان افتتاح الرئيس لأحد الكبارى المقامة على النيل عند محافظة المنيا التى كان يطلق عليها فى ذلك الوقت بعروس النيل .

كانت الجهة الأخرى من الكوبرى تنتهى عند منطقة تضم مجموعة من العشش والبيوت الطينية البسيطة التى تسكنها مجموعات من الأسر الفقيرة على الجانب الآخر من النيل على غير الجانب المقابل من الكوبرى الذى يضم عمارات سكنية مرتفعة تمثل الجانب الحضرى للحياة فى المدينة ، وأقيم هذا الكوبرى ليربط المدينة بالتجمعات العمرانية الجديدة بالظهير الصحراوى ، وبالتالى فقد جاء الكوبرى ليربط بين مجتمع فقير يسكن العشش والبيوت الطينية المتهدمة لناس يعيشون على الزراعة البدائية والصيد يعيشون على حد الكفاف ، وبين ناس يعيشون فى مساكن أسمنتية وبيوت عالية الطوابق يعيش بها أسر وعائلات أكثر ترفا وحياة هانئة ، لسكان أكثر تمدينا وتحضرا ، فى تناقض واضح بين فقر مدقع وغنى أو على الأقل ميسورى الحال فى أغلبهم .

وحرص المحافظ والأمن والهيئات التشريعية والتنفيذية وبطانة الرئيس أن يكون مكان قص الشريط والافتتاح من الجانب الجميل للكوبرى حتى لا يؤذى منظر العشش والبيوت الطينية المتهدمة على الجانب الآخر الطلعة البهية لفخامة الرئيس ، فى إطار الحرص الدائم من جانب بطانته على الإبقاء على الصورة الوردية الخادعة التى دائما ما يصورونها له عن الأوضاع الداخلية فى البلاد ، ولتغييبه عن كل ما يقلق سيادته أو يشعره بهموم طبقات الشعب الفقيرة فلا مجال لاهتمام سيادته بهؤلاء سوى من خلال الخطب الرنانة التى يعلو صوته فيها عندما يردد دون ملل أنه مع محدودى الدخل والفقراء والبسطاء من الشعب ، اهتمام لا يتعدى كاميرات التصوير التلفزيونى فقط ، أما الواقع فهو الاهتمام كل الاهتمام لطبقة رجال الأعمال المحيطين به وبنجله وبطانة حاشيته من المستغلين وذوى السيجار الكوبى والقصور الفاخرة فى جميع أنحاء مصر المحروسة ، الذين يحرصون كل الحرص على عدم شغل بال فخامته بتوافه أمور الشعب من الفقراء !!

ووضعت خطة التأمين للرئيس حيث جحافل الأمن المركزى وشرطة الداخلية ثم شرطة الرئاسة ثم الحرس الجمهورى بكامل عتاده وعدته والتى توضع دائما فى دوائر متقاربة حول الرئيس لتأمين فخامته بصورة تجعل تحركاته مكلفة للغاية ومعطلة بصورة كبيرة لأى منطقة ينتقل اليها ، وتصيبها بالشلل التام خلال ساعات قبل وأثناء تواجده فى المكان لدرجة تشعر الناس بالضيق الشديد المكبوت لتعطيل مصالحهم أينما يحل فخامته .

وضعت الخطة على أن يكون تواجد فخامته فقط على هذا الجانب المترف من الكوبرى دون أن يمتد الأمر إلى الجانب الآخر من الكوبرى الجانب سيء المنظر ، فلا وقت لدى سيادته لذلك ، وبالتالى لا يجب أن يرى فخامته هؤلاء الناس قاطنى العشش وبيوت القش والطين ، بل لا يجب أن يظهر منهم أحد إلى أن تنتهى الزيارة حتى لو كان به حاجة لقضاء حاجته ، فقد صدرت إليهم التعليمات فى اليوم السابق ألا يظهر أحد إلى أن يرحل فخامته من المكان .

فجأة نظر الرئيس صوب الجانب الآخر من الكوبرى حيث العشش التى لا يتجاوز عددها أصابع اليدين ، وسأل المحافظ المرافق ووزير الإسكان :

-" هوا الناحية التانية فيها إيه ؟؟؟ " .

ورد المحافظ والوزير : دايا أفندم مجرد شوية عشش لصيادين !! .

ورد الرئيس : خلونا نلقى نظره " .

ووقع المحظور لمسؤولى الأمن والمسئولين المرافقين ، فقد رسموا خطتهم على أن تنتهى المأمورية على عدم عبور الرئيس لى الجانب الآخر .

وسار الرئيس على قدميه إلى نهاية الكوبرى ، وشاهد عددا من البيوت والمنازل الطينية التى بدت فارغة تماما ، فلم ير أى حركة عن وجود سكان بهذه البيوت الطينية، وتجول نحو أحد هذه البيوت القريبة من الكوبرى ، وقال متساءلا لمرافقيه :

-مفيش ناس هنا . إنتوا مشيتوا الناس ؟؟ .

وشرع ليطرق باب أحد هذه البيوت فلم يرد أحد . أنتوا خوفتوا الناس . وطرق الباب مرة أخرى ، ليأتى صوت عم صابر وكأنه من مكان سحيق :

- مييين ؟؟ مييين ؟؟

رد الرئيس : أنا الريس إفتح !!.

رد الرجل من الداخل وهم ليفتح قائلا :

- ريس . ريس مين اللى بيخبط !!

فهم أحد السكرتارية الخاصة :

- افتح يا راجل آنت لسيادة الريس .

وفتح عم صابر ليظهر على حاله بسرواله الطويل وقد أخذته المفاجأة . حشد من المسئولين وزراء والمحافظ وحرس . ليقول له الرئيس: صباح الخير . إيه أخبارك. عايزين نشرب شاى معاك ، رد الرجل فاتحا الباب على مصراعيه : يا ألف مرحبة يا ريس ، مناديا على زوجته : الشاى يا بهية . سيادة الريس عندنا .

ومضى يقول على الفور مخاطبا الرئيس : دا أنا جيتلك مصر .بس الحراس طردونى ومسكونى من ياقة الجلابية وقالولى إمشى ياراجل إنت منشوفشى وشك هنا تانى فرجعت من غير ما أبالك . ومضى يقول :

كنت جاى أشتكيلك من إللى عملو فيه ضابط النقطة !!

ضربنى يا ريس ، ومدنى بالفلاْة . وحكى عم صابر للرئيس فى وجود المحافظ ما فعله معه موظفو الرى فى المحافظة والغرامات المطالبين بتحصيلها منه ومحاولة طرده من القيراطين اللذين قام باستصلاحها ، وسط دهشة الرئيس الذى كان ينصت له وينظر بسخط لمرافقيه من إساءة معاملة الرجل الطيب الكبير فى السن . ليصدر أوامره بحل مشكلة الرجل على الفور وعدم حرمانه من تلك الأرض وتقديم العون له .

وقال موجها حديثه لعم صابر : بتوع الرى مش هيتعرضوا لك تانى يا صابر ، عاوز

حاجة تانية . رد عليه صابر :

أنا بس كنت عاوز والنبي ياريس كارت منك لضابط النقطة لأنه عصبي أوي وإيده تقيلة عشان ميشتمنيش ولا يمد إيده عليه !!!!



"تسونامي مبارك ".. الأشد خرابا !!

استيقظ العالم فى الحادى عشر من مارس ٢٠١٢ على واحدة من أقسى صور غضب الطبيعة عندما خرجت موجات المد البحرى " تسونامى " الناتجة عن الزلزال المدمر تحت مياه المحيط شرق اليابان لتطيح بكل ما يقف فى طريقها ، وتحولت المنازل والشاحنات والسيارات وحتى عربات القطارات والجسور فى يدها إلى لعب أطفال ودمى صغيرة تدفع بها لمئات الأميال .

فى حين يستيقظ المصريون هذه الأيام - كل يوم - ومنذ ثورتهم الشعبية فى الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ ليكتشفوا بالأرقام والإحصائيات بأن ما فعله نظام الرئيس السابق مبارك وعائلته وحاشيته ووزراء حكومته ومسئولو حزبه يفوق ما فعلته الطبيعة عند غضبها ، وليصبح " تسونامى مبارك " الأشد خرابا وتدميرا للمصريين مقارنة بتسونامى اليابان وأنواع التسونامى الأخرى .

فإذا كانت خسائر زلزال اليابان وما صاحبه من تسونامى قد بلغت نحو ١٠ آلاف قتيل و١٧ ألف مفقود وتراوحت الخسائر المادية - طبقا لإحصائيات البنك الدولى - بين ١٢٢ و ٢٣٥ مليار دولار ، فإن نسبة هذه الخسارة المادية تتراوح فقط بين ٢،٥ فى المائة إلى ٤ فى المائة من إجمالى الناتج المحلى اليابانى ، إلى جانب كونها كارثة طبيعية لا دخل فيها لأحد من الحكومة أو المسئولين اليابانيين ، كما لا تحط من قدرهم أو تنال من وطنيتهم وولائهم تجاه شعبهم .

فى حين ما فعله رئيس مصر السابق وعائلته وحاشيته بدم بارد واستخفافه بشعبه الذى استأمنه على حياته ، حاضره ومستقبله ، قد فاق ما فعلته الكوارث الطبيعية ، وترتب على هذه الفعال سقوط الملايين من المصريين ضحايا للقتل والموت والمرض والفقر والجهل والظلم والخوف طوال ثلاثين عاما ..

فالإحصائيات تشير إلى أن الأموال التى تحت يد مبارك وعائلته ، ثانى أغنى

عائلات زعماء المنطقة العربية بعد عائلة آل سعود ، تصل إلى ما يزيد على ٥٥ مليار دولار . وأن فساد مبارك بدأ منذ أن عين رئيسا بعد مقتل السادات ، ففى سنة ١٩٨١ أصدر قرارا يفوضه بالتعاقد على الأسلحة التى تحتاجها مصر دون الرجوع إلى البرلمان ، بما ضمن له التحكم فى عقد صفقات شراء الأسلحة دون رقيب أو حسيب، وهو ما يمثل قمة الفساد ، فى الوقت الذى أشار فيه تقرير آخر إلى أن مبارك إختلس نحو ٣٠ مليار دولار من أموال المعونات والقروض الخارجية خلال الفترة من ١٩٨٢ الى ١٩٨٩ .

أما فساد نجلى الرئيس ، فقد فاق فساد والدهم ، حيث شارك علاء وجمال على سبيل الرشوة والبلطجة بحصص مجانية تبلغ ٥٠ فى المائة من رأس مال كبرى الشركات التجارية والصناعية فى مصر ، وهو ما أدى إلى إفلاس العديد منها وإرغام العمال المصريين بها الى الانضمام الى طابور العاطلين حسبما قال تقرير لرئيس الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، فضلا عن حسابات سرية مختلفة العملة بإسم الأخوين ووالدتهما سوزان ثابت تضم مئات الملايين داخل مصر وخارجها .

ووضعت سوزان مبارك يدها على نحو ١٠٠ جمعية رئيسية وتلقيها لمعونات ورشاوى مقنعة من مختلف دول العالم تبلغ فى المتوسط ٥ مليون دولار سنويا لكل جمعية ، لتحصل على ٥٠٠ مليون دولار سنويا تذهب إلى حساباتها السرية فى بنوك سويسرا ، بخلاف ثلاثة حسابات بنكية تخص مكتبة الإسكندرية تضم ما يزيد على ١٥٠ مليون دولار بخلاف العقارات المختلف أنواعها لأفراد العائلة .

وباهتمام مبارك وعائلته وحاشيته وطابور المتفعين من حوله فى دولة الفساد بجمع الأموال ، أهملت شئون الناس والخدمات واعتلت صحة المواطن وزادت سوء تغذيته بتلوث مياه الشرب والبيئة والمبيدات الكيماوية فى الزراعة وتناول الوجبات المشبعة بالزيوت والمسرطنة فتفشت الأمراض وكثرت الوفيات وعم الفقر ربوع الوطن ، والنتيجة ،من بين كوارث أخرى ، إصابة ١٠٠ ألف مواطن بالسرطان سنويا و ٤٠ ألف آخرين بالفشل الكلوى بينهم ١٥ فى المائة من الأطفال ويبلغ عدد المصابين بالسكر حاليا فى مصر أكثر من ٨ ملايين مريض بما جعل مصر من أكبر دول

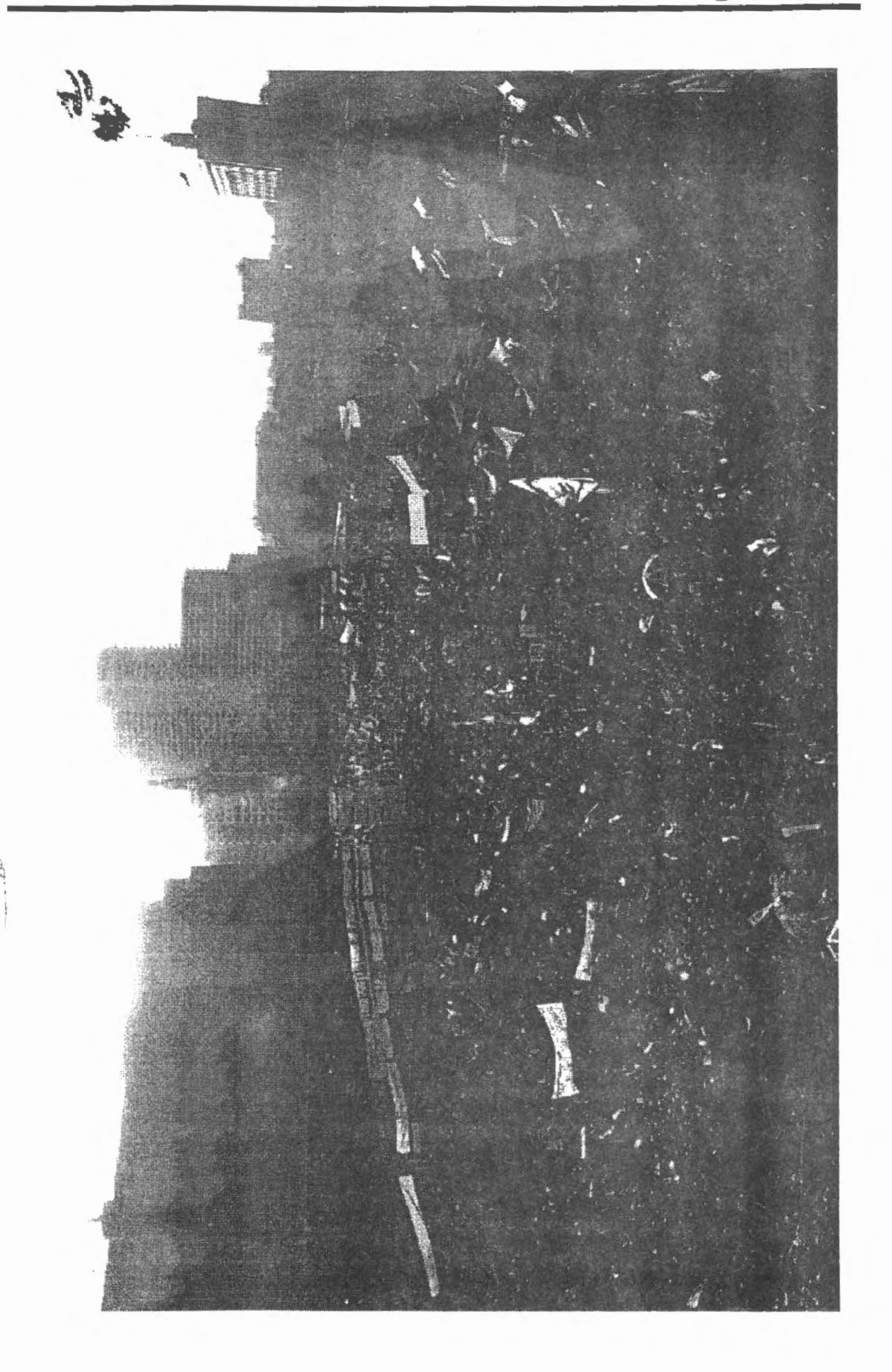
العالم إصابة بالمرض ، ويلغ عدد مرضى الكبد الوبائى فى مصر ما يزيد على ٢٠ مليون شخص .

وزاد ثراء وجشع مبارك وعائلته وحاشيته ليزداد الشعب فقرا وجوعا ،ليعيش ٤٠ فى المائة من المصريين تحت خط الفقر بدخل دولار واحد للفرد يوميا ولتصبح مصر من حيث الفقر فى المرتبة ١١٢ من بين ١٧٧ دولة فى العالم .

وحسب تصنيف مجلة باردى الأمريكية يعتبر حسنى مبارك الديكتاتور رقم ٢٠ الأسوأ على مستوى العالم لعام ٢٠٠٩ بينما حل فى المركز السابع عشر فى عام ٢٠٠٨ لنفس القائمة .

وحسب تصنيف مجلة فورين بوليسى الأمريكية يحتل حسنى مبارك المركز الخامس عشر فى قائمة فورين بوليسى (أسوأ السيئين) لعام ٢٠١٠ حيث تعتبره فورين بوليسى حاكم مطلق مستبد يعانى من داء العظمة وشغله الشاغل الوحيد أن يستمر فى منصبة ، ومبارك شخصية تشك حتى فى ظلها وهو يحكم البلاد من ٣٠ سنة بقانون الطوارىء لإخماد وقمع أى نشاط للمعارضة وكان يجهز ابنه جمال لخلافته ، وأضافت فورين بوليسى الأمريكية " أنه لا عجب أن ٢٣ فى المائة فقط من المصريين أدلوا بأصواتهم فى الانتخابات الرئاسية فى عام ٢٠٠٥ .

لم يكن أبدا ما عانى منه الشعب المصرى من وفيات وفقر ومرض وجوع وظلم وبطالة وقمع على مدى ثلاثين عاما نتاجا لقلة الموارد فى مصر أو لضيق ذات اليد أو لكوارث طبيعية لا دخل لأحد فيها ، بل كان لفساد أرتكب بدم بارد من حاكمه الذى طالما عاير شعبه وسمم بدنه بكلمات الاستهزاء ،وطمع وتجبر عائلته وانعدام وطنيتهم وإنسانيتهم واستحلالهم لمقدرات وثروات الشعب على نحو اتسم بالغرور ، بما يؤكد أن حجم ما خلفه " تسونامى اليابان " وأنواع التسونامى الأخرى أرحم بكثير من الخراب الذى خلفه " تسونامى مبارك " وحاشيته للمصريين .



أيقونة التحرير و"الغرز" على النيل !!

أصبح ميدان التحرير أيقونة الأحرار فى العالم ورمزا لكل الحركات والجماعات المنادية بالتحرر من الظلم السياسى والاقتصادى والاجتماعى على مستوى العالم وأصبحنا نرى خياما تنصب وشعارات ترفع لمحتجين على هذه المظالم فى ميادين كثيرة بعواصم غربية كتلك التى ظهرت لأول مرة فى ميدان التحرير .

واستوحت حركات مثل " إحتلوا وول ستريت " فى حديقة زوكوتى فى نيويورك ، وحركة منطقة " لا ديفانس " بالقرب من باريس وغيرها ما حدث فى ميدان التحرير فى إطار مد " الربيع العربى " وما بلورته ثورة الثمانية عشرة يوما فى مصر .

واستخدم المتظاهرون والمحتجون فى تلك العواصم العربية والأوروبية والمدن الأمريكية وحتى فى اسرائيل تلك الشعارات التى ظهرت لأول مرة فى ميدان التحرير مع تطويعها لتناسب المكان الذى تنطلق منه ، وتوحدت الشعارات تقريبا بين " الشعب يريد إسقاط النظام" أو ارحل " أو " الشعب يريد احتلال وول ستريت " وغير ذلك من الشعارات التى دشنت فى ميدان التحرير لأول مرة فى ٢٥ يناير الماضى.

غير أن ما يعكر صفو تلك الأيقونة الجميلة وهذا المشهد الرائع الذى استوحاه الآخرون على اختلاف جنسياتهم ، مظاهر البلطجة ومشاهد "الغرز" التى تتناثر فى كل مرة بمحيط وقلب الميدان وكوبرى قصر النيل وغيرة من الكبارى المجاورة من جانب البلطجية وأصحاب عربات "شاى الشوارع" التى تنتشر كالبقع السوداء فى الثوب الأبيض .

وأصبح طبيعيا أن نرى مجموعات للغرز بالكراسى البلاستيكية وقد تلونت بسواد التراب والتلوث وتراصت على جانبى كوبرى قصر النيل مع جراكن مياه

إعداد وغسيل أكواب الشاى والتخلص من مخلفات الزبائن من هذه المشروبات على أرضية رصيف الكوبرى .

بل أصبحنا نشاهد باعة "شاى الشوارع" هذه الأيام حتى فى غير أيام المظاهرات يجوبون إشارات المرور بين السيارات حاملين صوانى الشاى والسكر وهم يطرقون بالمعالق على هذه الصوانى للنداء على راكبى السيارات لاسيما على امتداد شارع التحرير بالقرب من مبنى الأوبرا على نحو يؤذى العين والأذن فى مناطق المفروض أنها نقاط عبور لوافدين على مصر من سياح وأجانب مقيمين أوزائرين .

وبدلا من أن يستمتع المتنزهزن على كوبرى قصر النيل والكبارى المجاورة من منظر النيل الخالد ، حجبت هذه الغرز التى أقامها البلطجية والباعة الجائلين المشهد الجميل على رواد هذه الأماكن من الشباب وقد توحلت أحذيتهم بمخلفات أكواب الشاى وغسيل الأوانى وزاحمتهم الكراسى البلاستيكية المتربة .

ففى ظل ضيق ذات اليد وارتفاع الأسعار فى كل مناحى الحياة اليومية على نحو يفوق طاقة الكثيرين من فئات المجتمع ، وعجز السواد الأعظم من هذه الطبقات والفئات خاصة الشباب منهم على الذهاب الى أماكن أكثر راحة جلوسا وخدمة ومناخا ، لجأ هؤلاء إلى الكبارى والجسور على نيل القاهرة كمتنفس ومكان للنزهة غير المكلفة .

وأتساءل أين هذه المشاهد المؤذية من شرطة المرافق والمئات من أفرادها المنوط بهم مكافحة من يستبيحون حرم الطرق والكبارى العامة ويشوهون أيقونتنا الجميلة فى عيون الآخرين ، بل وينغصون على الناس حياتهم فى الشارع والميدان ويزاحمون البسطاء فى متنفسهم الوحيد وأماكن رفاهيتهم .

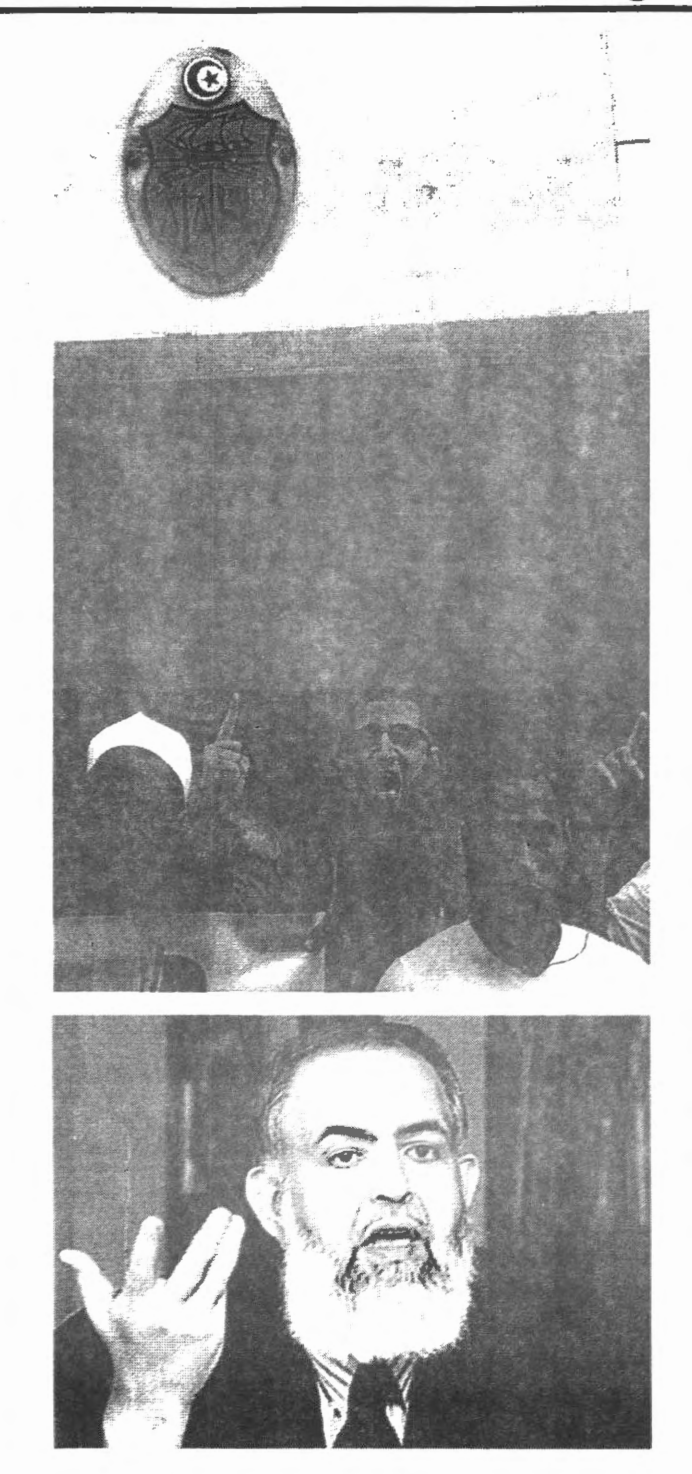
المتشيخون.. وانتخابات الرئاسة!!

" لا نوليها من يطلبها ". هذه الكلمات الذهبية كانت دستورا غير مكتوب معمول به فى زمن رسول الله ﷺ وصحابته من بعده الذين قال فيهم " أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " ، فكان قرنهم بحق خير القرون مثلما كانوا هم خير من حمل لواء الإسلام واستحقوا أن يكونوا روادا لنشر هذا الدين الحنيف الذى كان أول من وضع مبادىء الديمقراطية والشورى وحقوق الإنسان وحق الآخر ورعاية المرأة واحترامها قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة كانت فيها الحقوق مهدرة فى ممالك مثل أوروبا وفارس .

لم يعتمد هذا السلف الصالح فى ممارساتهم للحياة اليومية وتطبيق هذه المبادئ لخدمة الناس على مظاهر شكلية كإطلاق اللحى أو ترديد الشعارات أو إرتداء ما يدل على إسلامهم ، كما لم يتكالبوا على الإمارة وتولى المناصب ، بل كان السائد بينهم هو الاعتذار عن عدم قبول الإمارة وتولى المناصب .

أتذكر هذه الصورة الطيبة التى كان عليها مسلمونا وشيوخنا الأوائل بل وحتى الكثير من المعاصرين لأصطدم بتلك الصورة التى ظهر عليها بعض المتشيخين فى انتخابات الرئاسة هذه الأيام المحسوبين على الإسلام والمسلمين وقد خلى سلوكهم وتحركهم من قيم الصدق والإيثار والأمانة .

فلم يكتف المرشح المتشيخ بعدم مصداقيته فيما قدمه من أوراق تضمنت بيانات غير صحيحة عن حالته الشخصية والأسرية على نحو إعترف عليه حتى أقاربه ، بل راح يجادل ويصارع ويقاتل من أجل فرض موقفه ، حتى وإن كانت الوثائق الرسمية على غير ما يقول ، بل راح يهدد ويتوعد مسئولى لجنة الانتخابات بالويل وسوء العاقبة.



كما لم يكتف المتشيخ بالتهديد للمسؤولين المعنيين واتهام الكثيرين فى الخارجية والداخلية والمجلس العسكرى – وحتى البعض من أقرانه المتعقلين فى التيارات الدينية الذين رفضوا منطقه – بالعمالة والخيانة بل وصل به الأمر إلى رفع رايات العصيان وتجييش البسطاء من الملتفين حوله وتسييرهم فى مظاهرات وحبسهم فى إعتصامات لسد الطرق والكبارى والميادين .

ونسى المتشيخ الثائر حق الطريق فى الإسلام وحق الناس فى عدم محاربتهم فى أرزاقهم بتعطيل مصالحهم وأعمالهم جراء ما يفعله تابعوه .

وأتساءل . أمن الإسلام استقواء المرء شيخا كان أو متشيخا بالمحيطين به واستعراضه للقوة والتخوين والتعطيل لعموم الناس وزعزعة الأمن والتهديد والترهيب للمسئولين إما بحل مشكلته قبل موعد السادس والعشرين من الشهر وإلا فالويل كل الويل ؟؟؟؟؟.

لقد كان هذا الرجل الثائر يحظى قبل الأمر بتعاطف الكثيرين من أفراد الشعب على مختلف انتماءاتهم كأحد فرسان السباق وليس فقط تلك القلة الملتفة من حولة أو التابعة له ، أما الآن وبعد ما كابده الناس من أقواله وأفعال الملتفين حوله ، فإن الرجل الذى تعامل مع المسألة كما لو كانت قضية يترافع فيها أمام المحكمة ليكسبها بكل وسيلة ، قد خسر تعاطف الآلاف من هذا الشعب الواعى .

فأغلب الظن أن المسألة عند هؤلاء من الشيوخ والمتشيخين فى سباق الرئاسة ليست الرغبة المخلصة فى خدمة الشعب بقدر ما هى "وخز" فى الأنا والكرامة الشخصية أو المصالح الأيديولوجية أو الحزبية الضيقة التى لا تهم غيرهم .

أيها المحتملون..إنه ليس ترشيحا للأوسكار!!

طالعتنا مشاهد طوابير " المحتملين " المتقدمين لسحب استمارات الترشيح لانتخابات الرئاسة ونوعياتهم وقد حوت في بعضها لقطات لصور فكاهية تمزج الجد بالهزل،وكأنها صور لشخوص يتقدمون لنيل أدوار في مجاميع للكومبارس بمسرحية فكاهية هزلية تدور أحداثها بأحد الأحياء الشعبية .

فهذا يرتدي جلبابا،وذاك يتنعل "شبشب بصباع واحد" وآخر يرتاد دراجة بخارية وذاك فكهاني وذاك مقيد بالأغلال لضبطه يحمل لفافة بانجو وتلك ربة منزل..

وكأن الأمر لا يتعلق بمصر الدولة ذات المكانة الإقليمية والدولية،دولة ثورة ميدان التحرير الذي أصبح أيقونة الأحرار علي مستوي العالم،دولة الحضارة التي علمت الكثير من شعوب العالم،دولة حائزي جائزة نوبل العالمية المرموقة الأربعة،دولة الخمسة وثمانين مليون نسمة،بل وكأن الأمر يتعلق بعزبة تقبع في ضاحية لقرية نائية أو إن شئت القول "حوش أم رقرق " !!

أليس بين هؤلاء حكيم يتمتع بقدر من الجدية والكياسة لكي يعي قدر نفسه ولا يهدر وقت المسئولين والموظفين والعاملين القائمين علي عملية طبع وصرف وتوزيع الاستمارات وإنفاق الدولة عليها،لتصل الأعداد المتقدمة خلال اليومين الأولين فقط إلي أكثر من ثلاثمائة شخص السواد الأعظم منهم لم يسمع بهم أحد !!.

فالمتقدمون بين ثلاث : إما تلك الفئة السابقة التي تدعو إلي السخرية،وهي بالتأكيد من نتائج "أوحال الثورة والديمقراطية " وإن كنا لم نكن لنتوقعها أن تصل إلي هذا المستوي من الهزلية. والفئة الثانية من محتملين – غير محتملين – هم أكثر هنداما شكلا،أغلب الظن أنهم نظروا إلي الترشح للرئاسة كما لو كان ترشحا لجائزة

الأوسكار الأمريكية العالمية،طمعا أن يحمسوا في النهاية لقب " المرشح السابق للرئاسة " علي الطريقة الأمريكية،ونسي هؤلاء أن مجرد الترشح للأوسكار يستلزم شروطا معينة،فتمثال الرجل الأصلع المطلي بالذهب البالغ طوله٣٣سم ووزنه٨.٣ ك.ج يعتبر بمثابة الكأس المقدسة لأهل السينما العالمية،فقد أبصرت هذه التماثيل النور لأول مرة عام١٩٢٩ بعد عامين من تأسيس أكاديمية فنون وعلوم الصور المتحركة في أمريكا .

أما الفئة الثالثة فهم محتملون " محتملون" ،لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة ونأمل أن يعيننا الله على حسن الاختيار بينهم لحمل أمانة مصر في ثوبها الجديد بما يليق بشعب طال صبره وشوقه لحرية حقيقية وحكام أمناء.

لا يقنعني أحد بحقيقة أن القانون يعطي الحق للجميع للتقدم بما فيها هذه النوعيات للترشح لانتخابات رئاسة مصر،لأن الأمر لا يتعلق بتطبيق نص القانون بقدر ما يتعلق بروح القانون فليس بالقانون وحده يحكم القاضي وإلا لاستبدلناه بجهاز كمبيوتر للفصل في القضايا،بل يتعلق بصورة مصر أمام العالم بعد ثورتها البيضاء وجدية من يتقدمون لحمل الأمانة الذين يجب تحليهم بقدر من المنطق والرقابة الذاتية علي أنفسهم.

أغلب الظن أنها " ثقافة طوابير المزاحمة" أمام الجمعيات الاستهلاكية التي يحلو للبعض أن يمارسها لأخذ أي شيء من أي شيء،بغض النظر عن أهمية الأمر وجدية الحدث وصورة مصر أمام العالم،لتتلقف الفضائيات المتربصة هذه الصور الفكاهية بنية خبيثة لنشرها علي العالم لتقول: انظروا نوعية رئيس مصر القادم !!

"مكلمة" الأرزقية على الشاشات الفضائية!!

رغم ما بدت عليه ثورة ٢٥ يناير الرائعة فى ميدان التحرير ومختلف ميادين مصر بما جعلها رمزا لأحرار العالم وتميمة لحركات التحرر فى مواجهة الظلم السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى ميادين كثيرة بعواصم شرقية وغربية ، إلا أن هذه الثورة الجميلة شبه البيضاء أفرزت فى المقابل الكثير من الصفات غير المرغوبة فى المجتمع بل وبعض المسميات التى لا تألفها الأذن ولا ترتاح لها .

فقد أفرزت الثورة بين ذلك شريحة عريضة من "الكلمنجية" أنصاف المثقفين قليلى الخبرة ومدعى السياسة وحملة ألقاب وردية صناعية كالورود البلاستيكية التى لا تعطر الجو ولا يتنسمها الهواء لخشونتها وانعدام روائحها مثل مسميات "ناشط حقوقى" و" ناشط سياسى " راحوا ينسجون خيوط "مكلمة" لا تنتهى وقد امتلأت بها مساحات زمنية عريضة على شاشات الفضائيات .

وأصبحت مسميات " ناشط سياسى " أو"ناشط حقوقى " أو " خبير إستراتيجى " ألقابا تزدان بها أسماء هذه الشريحة من المتحدثين المتلعثمين فى معظمهم على شاشات الفضائيات المختلفة ، وظهر من خلال هذه المكلمة نوع جديد من "البزينس" على شاكلة تجار الشنطة فى أسواق السلع الاستهلاكية فى زمن الإنفتاح الاقتصادى .

وتراوحت تصنيفات هؤلاء الكلمنجية بين ثلاثة أنواع:

الأول: بين شباب قليلى الخبرة السياسية غلبت عليهم الحماسة الشديدة التى تصل إلى حد التهور رغبة فى إثبات الوجود الوهمى .

والثانى : صغار الصحفيين وأنصاف الكتاب الذين بهرتهم شاشات الفضائيات التى فتحت أمامهم أبوابا للاسترزاق فى وقت يعانى فيه الكثيرون ضيق ذات اليد.

الثالث : أولئك المنضمون حديثا إلى العمل السياسى من خلال أحزاب معظمها كرتونية وجماعات سياسية دفعت بهم قبل الأوان لاعتلاء منصات ذات مقاسات عريضة تفوق قدراتهم وإمكانياتهم وخبراتهم إن وجدت .

والقاسم المشترك بين هذه التصنيفات جميعها الذى ساعد فى الدفع بهم إلى شاشات الفضائيات هو إدراكهم بضرورة أن يتوفر فيهم سمات الصوت الجهورى المرتفع ،والمجاهرة بالعداء والاعتراض اللفظى على السلطة الحاكمة ، فهما شرطان أساسيان لرواج سلعتهم على الفضائيات وجواز المرور إلى شاشاتها وكثرة ظهورهم عليها .

فلا مكان على شاشات الفضائيات خاصة تلك التى تبيع الوهم أو تلك المدفوعة بأغراض ونوايا إقليمية خبيثة ، لذوى القول الهادئ والتحليل الرصين ما لم يكن منتقدا للسلطة حتى ولو كان الجيش الذى لولاه ما نجحت هذه الثورة .

وينضم إلى سباق المكلمة ، زمرة المرشحين المحتملين للرئاسة الذين حمل كل منهم أجندته الخاصة ومصلحته الشخصية وراح يشق طريقه بين صفوف المتظاهرين بحثا عن صوت بين هذه الجموع الغفيرة البسيطة والمتحمسة ، مدركا أيضا وبنفس الوتيرة المعادلة السحرية المتمثلة فى حنجورية الخطابة بكلمات بلاغية ومجاهرة العداء لسلطة المجلس العسكرى ، وقد التفت حولهم كردونات البودى جاردز فى صورة الأتباع والمريدين ، أملا فى نيل نصيب من كعكة الثورة .

غير أن هذه الأصناف جميعها - المتهز منها ومدعى المعرفة - قد اشتركت وللأسف فى تغليبها لمصلحتها الشخصية وأجندتها الخاصة على حساب مصلحة الوطن ، فهى ساعية فى الأساس إلى مكاسب مادية وأهواء شخصية وظهور وهمى وإثبات لوجود بلا تواجد ولتذهب مصر إلى الجحيم ، لا تكترث لما يسببه خطابها المبتور من إثارة وبلبلة وإفساد للآلاف من الشباب والبسطاء وحملهم على تبنى ممارسات وأفعال غير ناضجة تدفع بالبلاد إلى المزيد من الخراب ليحققوا بوعى أو بدون مآرب أعداء الوطن .

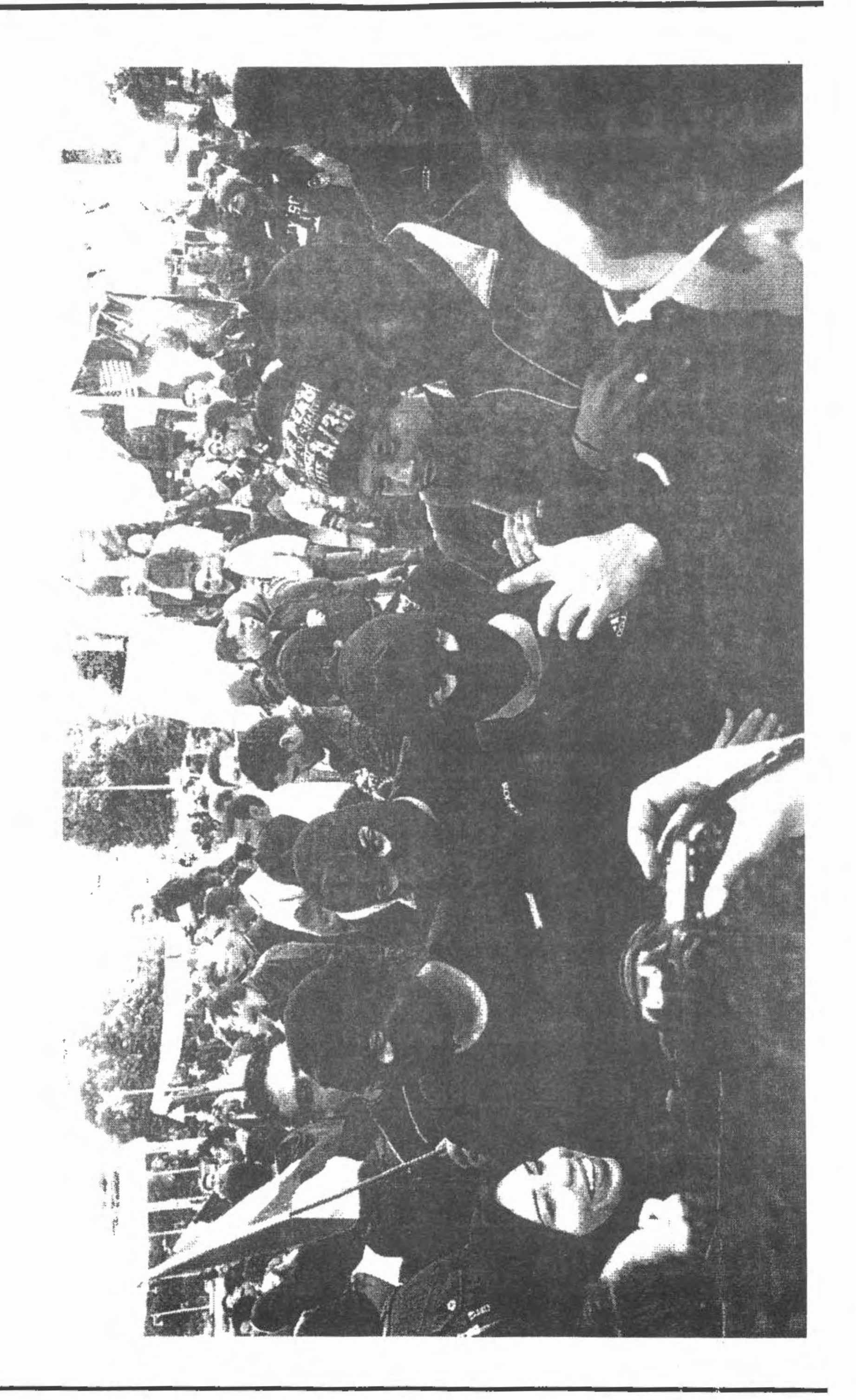
خاب ظنكم أتباع " حمزة " !!

عفوا واعتذارا لسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله ﷺ فقد لامس عنوان مقالتى دون قصد إسمك الشريف مما قد ينصرف ذهن القارىء العزيز لأول وهلة إليك أيها البطل المجاهد ، ولكنى ما قصدت إلا أشباه وأتباع "حمزة" ميدان التحرير ، وشتان شتان ما بين الحمزاوين !!.

عفوا سيد الشهداء وأسد الله كما أسماه رسول الله ﷺ والذى استأثر لشجاعته وإقدامه وهمته هو وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما بثلث قتلى المشركين فى غزوة بدر مما دفع بمشكرى قريش إلى التربص به لقتله والتمثيل بجثته الشريفه فى غزوة أحد عندما جندوا العبد الأسود "وحشى بن حرب" لقتله لقاء نيل حريته من سيده "جبير بن مطعم" .

إنما قصدت بحمزة وأتباعه وأشباهه أؤلئك الذين خاب ظنهم فى الدعوة إلى عصيان الهدم والتخريب لمصرنا العزيزة عصيان الفقر والبطالة وهدم الاقتصاد وزيادة الانفلات الأمنى وتعزيز البلطجة .

فبدلا من المساعدة فى توفير وسائل التهدئة واستتباب الأمن والعمل على البناء بعد ثورة هدم الفساد ، راح "حمزة" وأشباهه ذلك الذى أسقطه أبناء دائرته فى المدينة الساحلية فى انتخابات برلمان الثورة بسبب ممارستهم للمزايدات المجوجة على الفضائيات الهدامة لمصر وشعبها ، راح هذا "الثائر من أجل الثورة" ينفق المال على إطعام المتعطلين والأرزقية والصبية والمغرر بهم من البسطاء وأبناء الأقاليم موفرا لهم الغطاء من البطاطين والخيام لتحقيق دوام احتلال الجزيرة الخضراء التى باتت بفعلهم صحراء جرداء فى ميدان التحرير ، متباهيا عبر الفضائيات بأنه هو من يوفر لسكان التحرير الخيام والمأكل والمشرب .



وأصبحنا نسمع عن مرتبات ومصاريف جيب تحت عنوان "سبوبة الثورجية" تعطى وتنفق على الكثير من المقيمين فى الميدان لشغل الميدان بسكانه وتحويلة إلى مكان جذب لحشد الحشود إليه وعدم إخلائه من نوعية "ثائر من أجل الثورة"، ليقيم فى جزيرة الميدان البلطجية وأطفال الشوارع وصغار الباعة الجائلين ولصوص المواصلات والمتطفلين الذين هجروا بيوتهم فى ضواحى القاهرة والمحافظات ليقيموا فى " لوكاندة الميدان " حيث يتوفر المأكل والمشرب، فى بيئة تذكم الأنوف بروائحها ومناظرها .

إن لواء المزايدة الذى يرفعه هؤلاء وأتباعهم، ما هو إلا دعوة لهدم وإسقاط لمصر وحرب بالوكالة يقوم بها هؤلاء بقصد أو بدون نيابة عن أعداء هذا الوطن، بل دعوة لإفقار هذا الشعب وتعطيل انطلاقته وتلطيخ ثورته البيضاء أيقونة الأحرار على مستوى العالم والتى تغنى بها العالم لدرجة أن زعماء الديمقراطيات العريقة طالبوا شبابهم أن يتعلموا من شباب ثورة المصريين، وطالب آخرون بتدريسها فى مدارسهم.

" ناشط سياسى ".. نيولوك الثورة !!

ما أخشاه فى غمرة نشوة استمتاع القلة من البعض بالحرية التى خلقتها ثورة الخامس والعشرين الرائعة ، أن يصل بها الأمر إلى أن تملى على رئيس الحكومة ليس فقط أسماء من يختارهم من معاونيه وأعضاء حكومته بل إلى ما يتعين عليه أن يلبس أو يأكل !!.

فالحرمان الذى عايشناه لعقود عديدة ، قد دفع بنا لأن نتجرع دون هواده كأس الحرية حتى الثمالة بما يهدد إتزاننا وتوازننا ، والأصوب أن نتريث فى هضم ما تلقفناه فى عجالة حتى لا تصيبنا التخمة ، ولا تختلط علينا الأمور ، وتتداخل عندنا الحرية المسئولة البناءة بحرية فوضوية تتعدى على حقوق الآخرين وتختلط فيها الاختصاصات بين الرئيس والمرؤوس والحاكم والمحكوم .

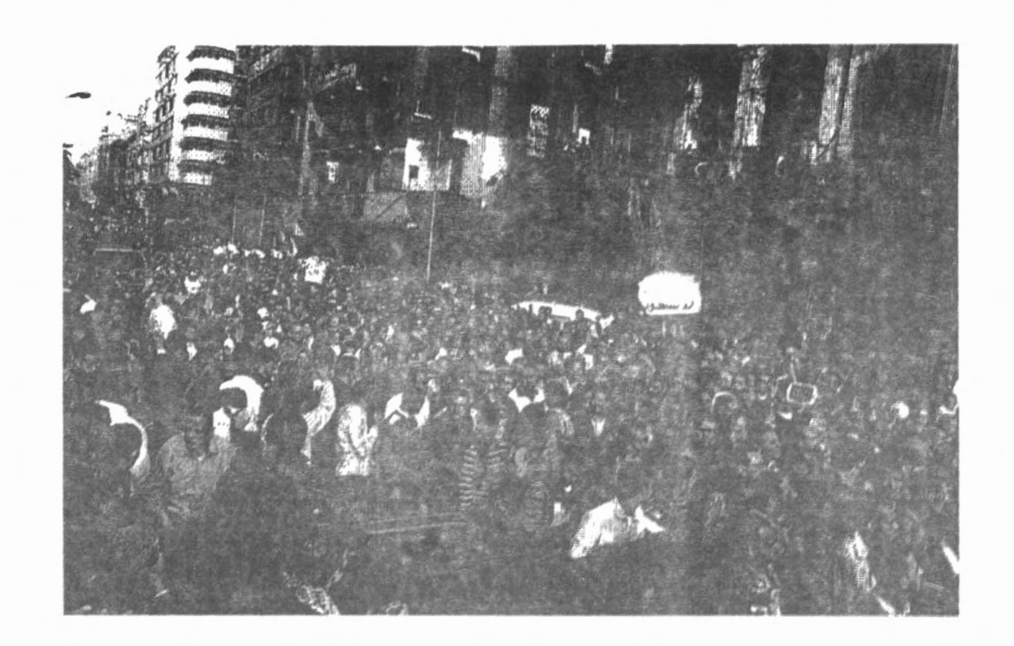
لاشك أن اعتصامات ومظاهرات ميدان التحرير والميادين الأخرى قد حققت معظم المطالب التى من أجلها ثرنا وتظاهرنا ، وأصبحنا مثار إعجاب العالم بأسره الذى وقف يتابع تلك الثورة البيضاء ، مقارنة بما يجرى لدى الأشقاء فى سوريا واليمن وليبيا الذين مازالوا يكابدون ولادة متعسرة تحصد أرواح العشرات من الأبرياء يوميا دون بارقة أمل قريب ، فلا يجب أبدا أن نخسر علامات الإعجاب والثناء والتعاطف والمساندة من العالم ، بل والاتجاه لاستثمار ذلك فى استعادة الأموال المنهوبة وبناء الدول المصرية الحديثة .

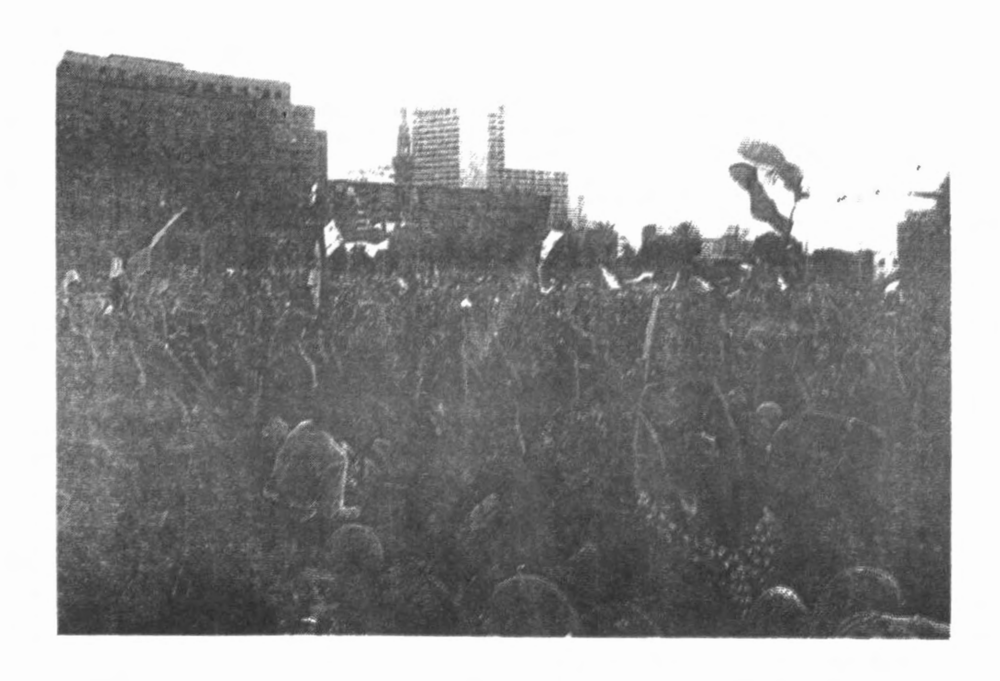
وها نحن نسير نحو العلانية الحقيقية لمحاكمات رموز النظام الفاسد الذين تسببوا فى قتل الأبرياء من شبابنا واغتالوا حقوقنا وأهدروا مكاسبنا وانتهكوا كرامتنا ونهبوا أموالنا وضيعوا أحلامنا ، وها نحن نمضى قدما بتطهير جهاز الشرطة وكوادره الأمنية المكروهة التى طالما أقلقت مضاجع الطيبين من شعبنا وأذلت بممارساتها المتعجرفة غير الإنسانية البسطاء منا ، وها نحن نقترب رويدا من إجراء انتخابات

تشريعية وصياغة الدستور الجديد يعقبها اختيار الرئيس الجديد ، كل ذلك بعد أن تحقق رد الاعتبار المالى والمعنوى لشهدائنا من الشباب ، ومساعدة أسرهم وعوائلهم ليس تفضلا من أحد بل ردا على جميل ما صنعوه بأرواحهم الذكية لأجلنا .

غير أنه بدت فى الأفق شواهد لأجندات خاصة داخلية وخارجية من جانب أفراد وجماعات راحت كلها تسترزق وتستثمر اعتصامات ومظاهرات الشباب الذين لا يعلم أكثر من ٩٥ فى المائة منهم أنهم مستخدمون من جانب قلة قبضت ملايين الدولارات واليورو .

فقد أكدت السفيرة الأمريكية الجديدة أمام الكونجرس تقديم ٤٠ مليون دولار وكاترين أشتون منسقة الاتحاد الأوروبى تقديم ٢٠ مليون يورو لمنظمات أهلية ومدنية منذ ٢٥ يناير فقط تحت مسمى تشجيع الديمقراطية للإبقاء على إشتعال الوضع فى مصر دون استقرار ، هذه القلة المستغلة التى تستاثر بالملايين خلف الكواليس ،تنفق جنيهات على إقامة الخيام وتهيئة أرض الميدان وكتابة اللافتات والشعارات وجلب الطعام ولوازم الإعاشة لسكان التحرير الطيبين ، وامتد الأمر لبعض مرشحى الرئاسة الذى اقاموا الخيام لحشد المؤيدين ، فالكل يسعى للاستفادة حتى وإن كان الثمن تعطيل مصالح الناس ووقف أحوالهم وإغلاق الشوارع والميدان، وضرب السياحة وتراجع الاستثمار ووقف الانتاج ، وأصبحنا نرى مصطلح "ناشط سياسى" فى ثوب جديد ونيولوك ينتشر بين الشباب ممن يشتغل بالاعتصامات والمظاهرات ،بغض النظر عن توفر المؤهلات السياسية أو النضج السياسى ،تتلقفهم الفضائيات المتعطشة لملىء المساحات الزمنية .





الشرعية تنتقل من التحرير إلى صناديق الاقتراع !!

نحو عشرة شهور فقط منذ الخامس والعشرين من يناير ، تغير الشعب المصرى وأصبح الحال غير الحال ، وكأنها عشر سنوات من الخبرة فى الديمقراطية وحرية الرأى والنضج السياسى لا عشرة شهور ، الأرض "بتتكلم" سياسة ، تلاميذ ، طلاب ، شباب ، كبار ، بسطاء ، مثقفون ، أصحاء ، مقعدون حتى ربات البيوت أصبح القاسم المشترك فى حديثهم هو السياسة والبرلمان والأحزاب والحرية والمشاركة السياسية ، لتأتى البداية جرعة ٤٨ ساعة ديمقراطية مكثفة من خلال المرحلة الأولى للانتخابات .

الكل يسأل يستفسر يتأكد يتحقق يتعلم ، كيف يكون مشاركا فاعلا وإيجابيا فى بناء مصر الحديثة ، متخليا إلى غير رجعة عن حالة اللامبالاه والاستكانة والسلبية والرفض التى زرعها الحاكم السلطوى وبات فيها الشعب لعقود من الزمن .

لتنتقل أيضا وفى ذات الوقت الشرعية الثورية من ميدان التحرير أيقونة الأحرار فى العالم الحديث إلى صناديق الانتخابات بعد نجاح الناخب المصرى عن جدارة واستحقاق فى اختبار جديد أثار بدوره إعجاب المسئولين والمحللين فى بلاد الديمقراطيات العريقة بالغرب مثلما أثارت إعجابهم بالأمس القريب صيحات الثائرين فى ميدان التحرير .

قد لا تزال هناك حلقات لنقاش جاد فى ميدان التحرير تغلب عليها حوارات عاقلة يسعى روادها لإقناع سكان الميدان بمغادرته وإعطاء الفرصة للمجلس العسكرى لإتمام ما وعد به وسار جادا لتحقيقه ، قائلين لهؤلاء المعتصمين لقد صبرنا وكابدنا ثلاثين عاما على المخلوع فلماذا نستكثر على المجلس العسكرى بضعة شهور أخرى وبالضبط حتى يونيو القادم ، مستغلين فى هذه النقاشات العاقلة شحنة الأمل التى خلقتها الانتخابات الرائعة فى مرحلتها الأولى ونقل هذه الروح الجميلة والتميمة المفرحة إلى الميدان .

غير أنه فى المقابل لا يزال الميدان يعج بحلقات أخرى من "الهزار" والكوميديا، لخليط من العناصر البشرية حتى المتسربين من تلاميذ المدارس وهواة التقاط الصور التذكارية مع السياح و"غرز" للباعة الجائلين وبائعى الشاى والبلطجية الذين يشتبكون فيما بينهم بين الحين والآخر، مخلفين الملوثات والمخلفات على أرض الميدان لتختفى المظاهر الجميلة لأيقونة الأحرار وليتعطل أهم ميادين العاصمة وتتضرر بسببه مصالح وأرزاق الناس من حوله .

لقد جعلت الصورة الرائعة التى ظهر عليها المصريون فى المراحل الأولى للانتخابات البرلمانية والتى حفلت بمظاهر الوعى والتحضر بمختلف طبقاتهم وأعمارهم، جعلت الكثيرين يشيحون بوجوههم عما يجرى حاليا فى ميدان التحرير بوصفه جزءا من صفحة يجب طيها وتطويرها وتجديدها، يعزز ذلك تلك المظاهر غير الضرورية التى أصبح عليها الميدان ونوعية المترددين عليه والمعتصمين به .

وبات واضحًا بعد بدء الانتخابات والصورة التى ظهرت عليها، أن المصريين شرعوا فى كتابة سطور صفحة جديدة فى ملف الثورة المصرية الرائعة لتنتقل الشرعية الثورية من ميدان التحرير إلى صناديق الاقتراع ليبدأ فصل جديد يسعون بجدية من خلاله إلى الحفاظ على ثورتهم وتتويجها ببناء مؤسسات دولتهم الحديثة دون إهدار للوقت أو ترك الأمر فى يد من لا يؤتمن جانبه من العابثين .

ولماذا لا تكون " ملكية دستورية " ؟؟؟

قد يعتقد الكثيرون – أن تناول هذا الموضوع – نوعا من السباحة ضد التيار ، أو قد يثير ذلك حفيظة البعض ممن يؤيدون أو ينتمون إلى معسكر ثورتنا الأولى التى أطاحت بالملكية المطلقة فى عام ٥٢ ، ولكن إذا كانت ثورتنا الشعبية الوليدة قد حررتنا من ثلاثين عاما ثقيلة هى فترة حكم مبارك .

فقد طهرتنا أيضا من أسر الفكر والوصاية على العقل وأتاحت نوعا من الحوار القائم على النقاش الحر . فلم لا نضيف " الملكية الدستورية " إلى خيارتنا المطروحة على بساط البحث حاليا جنبا إلى الجمهورية الرئاسية والجمهورية البرلمانية للاختيار فيما بينها ؟؟ .

والملكية الدستورية ، قبل أن أخوض فى غمار الأسباب والدوافع ، هى ليست تلك "الملكية المطلقة" التى انتهت برحيل الملك فاروق فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ عندما أجبره الضباط الأحرار على الرحيل والتنازل عن العرش لولى عهده الأمير أحمد فؤاد الذى أصبح بذلك ملكا وهو فى الشهر السادس من عمره ولمدة ١١ شهرا فقط .

فالملكية الدستورية أو بمعنى آخر الملكية المحدودة هى نوع من النظام السياسى الذى تتبعه بعض الدول فى العالم ، وهى مزيج بين النظام الديمقراطى والنظام الملكى، يكون للدولة بموجبه ملكا أو ملكة ، يمثل رمزا لحماية القانون وحقوق الشعب ، ويمثل الدولة حكومة منتخبة من الشعب بنظام وزارى يكون رئيس الوزراء فيه المسئول الأول عن الدولة أمام البرلمان المنتخب .

ويتميز هذا النوع من النظام السياسى بالجمع بين الماضى والحاضر بوجود آليات الدولة الحديثة الانتخابية ، مع بقاء النظام الملكى القديم كمصدر استقرار فى مواجهة الخلافات السياسية بين الأحزاب والطوائف المختلفة والاتجاهات المتباينة .

والملكية الدستورية أو كما يطلق عليها البعض الملكية الساحرة هى التطور

الطبيعى للملكيات المطلقة التى تلاشت تقريبا ، وبها يصبح الشعب والأسرة الحاكمة أقرب إلى تشكيل الدولة العصرية .

وينتشر الأخذ بنظام الملكية الدستورية فى الكثير من دول العالم مثل المملكة المتحدة وأسبانيا وهولندا واليابان وكندا والدنمارك وسويسرا والنمسا وماليزيا وغيرها من الدول الأخرى حتى فى بعض الدول العربية مثل الكويت مع بعض الإختلافات . فالكويت تعتبر نوعا من الملكية الدستورية فهى إمارة يحكمها أمير من أسرة الصباح لكنها تختلف عن إمارات مماثلة فى المنطقة ، ففى الكويت للبرلمان دور قوى بحيث يصوت على تنصيب الأمير وعلى عزله كما حدث للشيخ سعد العبد الله السالم الصباح عندما نحاه البرلمان عن الإمارة لمرضه كما يصوت البرلمان على ولى العهد فإذا رفضه يقوم الأمير بإرسال ثلاثة أسماء أخرى لمبايعة أحدهم ، كما أن المراسم الأميرية لا تكون نافذة إذا رفضها البرلمان .

ولكن ما هى الأسباب والدوافع التى قد تشكل حافزا لهذا الطرح من النقاش؟؟؟ . لقد جاءت الثورة الشعبية فى ٢٥ يناير لتميط اللثام عن أكوام من الصديد والتقيحات سيئة الصيت والرائحة لاتزال تنبعث من جمهورية الفساد التى حكمتها أسرة مبارك على مدى ثلاثين عاما ، لم تنازعها فى فسادها ومعاملتها للشعب أعتى "الملكيات المطلقة" فى التاريخ الحديث والوسيط .

واستباح هذا النظام الجمهورى السلطوى وأفراد عائلته وقرابته وحاشيته ووزرائه ورجال أعماله وأمناء سره وجهاز أمنه ، الأرض والمال والعرض والأخضر واليابس ، وتعاملوا مع الشعب بنوع من الكبرياء والتعالى تأبى المشاعر الإنسانية السوية أن تمارسة ، ثم مضى قدما غير عابئ بالشعب نحو مسلسل التوريث لابنه جمال فى حضور وعلى مسمع ومرأى من هذا الشعب .

وجميع الملكيات الدستورية على مستوى العالم تقريبا تنعم شعوبها بالاستقرار والحرية واحترام حقوق الإنسان والديمقراطية ومؤسسات حقيقية للمجتمع المدنى ، وحكومات متعاقبة متنوعة وصناديق اقتراع حرة وعادلة ، تعلى شأن القانون وتخضع الجميع للمحاسبة والتقييم وتتيح قدرا كبيرا من الحرية والشفافية .

كما أن دول الملكيات الدستورية تنتمي إلى مصاف الدول المتقدمة أو تلك الدول الناهضة التي يوصف بعضها بالنمور، فليس من بينها دولة متخلفة، كما لا تعتمد على استقرار زائف كذاك الذي يروج له الحاكم الجمهوري المستبد والمستخدم فقط لآلية الأمن وسيلة بديلة عن مؤسسات المجتمع في التعامل مع الشعب قمعا للناس وكبتا للحريات.

كما أن خيار الملكية الدستورية يتيح نوعا من الرمزية التي تتلاءم مع الشخصية المصرية التي تنزع إلى المركزية والعاطفة الالتفافية في وقت عز فيه وجود زعيم حقيقي يلتف حوله الشعب يوحد بين مشاعره وطوائفه وأطيافه.

لقد استلزم أمر الإطاحة بنظام مبارك الذي جثم علينا طوال ثلاثين عاما، من ثورة الخامس والعشرين من يناير المنصرم السلمية إراقة دماء نحو خمسمائة شهيدا من خيرة شبابنا الذين تخضبت بدمائهم الزكية أرض ميدان التحرير وميادين أخرى بالمحافظات ونحو خمسة آلاف مصاب بينها عاهات سيدوم أثرها مع أصحابها ما بقوا على قيد الحياة، في حين جرى رحيل الملك فاروق عندما وقع الانقلاب العسكري دون أن تراق أي من دماء أبناء هذا الوطن، وودع ملك مصر والسودان بعض رجال جمال عبد الناصر وقتذاك وكان من بينهم أنور السادات وهو على ظهر المحروسة " اليخت الملكي " لتطلق له المدفعية ١٢ قذيفة تحية له دون أن يتسنى لإبنه أحمد فؤاد أن يتوج ملكا، وألغت الثورة النظام الملكي لتطوى صفحة الملكية التي استمرت في مصر نحو قرن ونصف.

أن ما يخشاه المرء في ظل غياب الحريات الأساسية، أن يأتي على رأس الجمهورية المقبلة لاسيما الرئاسي منها نظام فردي سلطوي لا يردعه دستور ولا يثنيه قانون، عن الاستخفاف بالشعب واستباحة حقوقه على نحو يماثل أصحاب الملكيات المطلقة في القرون الغابرة.

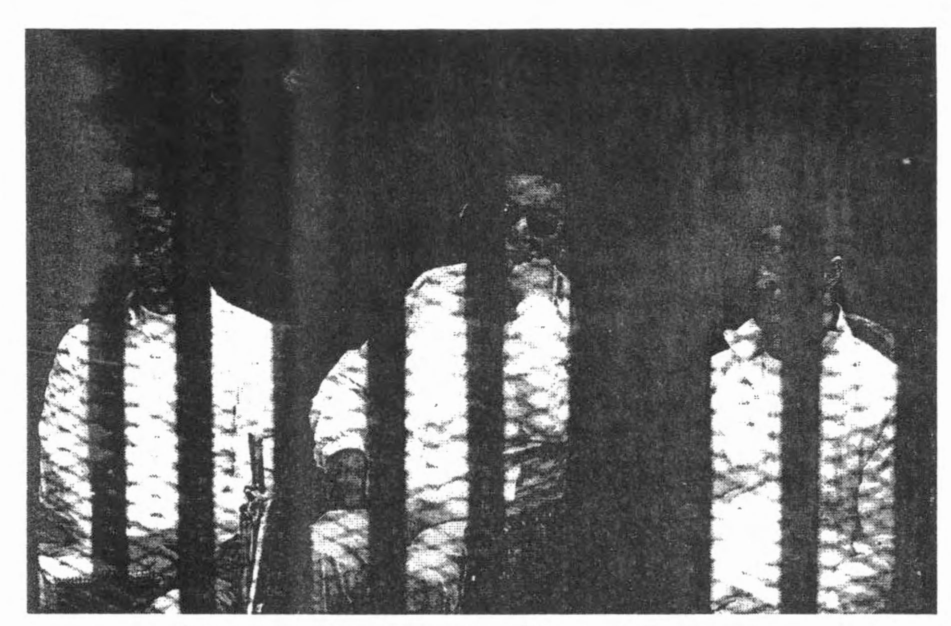
مبارك نيولوك .. داخل قفص الاتهام

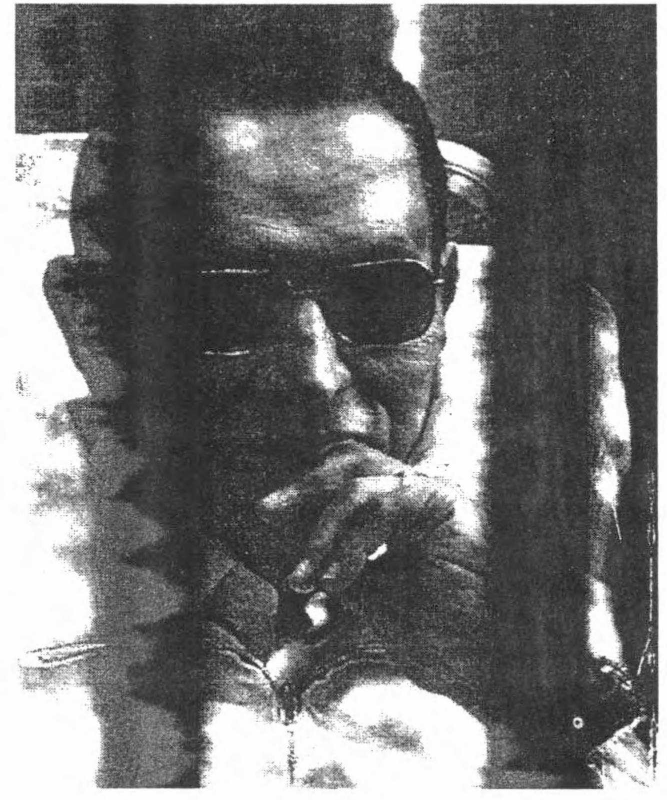
الرئيس الأسبق حسنى مبارك الذى خلعته ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ والذى تعاطفنا معه ولا نزال - وإن كنا لا ننسى الفساد الذى أغرق البلاد فى الثلث الأخير من ولايته المراثونية - أصابنا بالحيرة نتيجة السلوك والتصرفات التى بدت عليه وبدرت منه خلال جلسة إعادة محاكمته التى عقدت بعد عزل الرئيس السابق الدكتور محمد مرسى فى أعقاب ثورة الثلاثين من يونيو ٢٠١٣ .

لقد ظهر الرئيس المخلوع داخل قفصه بالمحكمة وقد بدت على وجهه إبتسامة عريضة متأنق المظهر صابغ الشعر مزهو فى قفصه أو إن شئت القول " نيو لوك " ، بل كثرت تلويحاته لمؤيديه وقد امتزجت بالابتسامة المتكررة بين الحين والآخر طوال مداولات الجلسة على غير سابقاتها من جلسات على نحو لاحظه مراسلو الصحافة لاسيما الأجنبية منها والتى علقت عليها .

وقالت إحداها وهى صحيفة نيويورك تايمز أن مظهره وتصرفاته بدت كما لو كان يظهر الشماتة لشعبه فيما يكابده ويعانيه من بلطجة وفوضى وسرقة وخطف وفتنة وانهيار اقتصادى وفقر ومرض وحالة عدم الاستقرار التى عمت البلاد خلال تلك الفترة من تولى محمد مرسى الحكم خلفا له .

وظهر حسنى مبارك كأنه يدشن لحملة إنتخابية مقبل عليها وليس متهما يقبع فى قفص إتهام داخل محاكمة ؟ .. وأتساءل . هل فعلا كانت إبتسامتك شماتة فى ناسك وشعبك الذى جثمت على قلبه ثلاثين عاما . وهل يجوز لك ذلك ؟؟ هل تعفى نفسك مما جلبت على البلاد لفسادك وفساد حاشيتك ؟؟ هل تشمت فى شعبك لأنه أبتلى بعدك بمن دون المستوى الذى يليق به وبمصر ؟؟ بل هل تشمت لأن أمورنا تولتها حكومات قصيرة صغيرة القامة ؟؟ . هل ستفرح إن سقطت مصر حتى وإن كانت تحت حكم ما لا تحب ولا تهوى ؟؟ هل ستكون سعيدا فى أيامك الأخيرة إذا تخضبت شوارع القاهرة بدماء شبابك وناسك وشعبك الذى تحملك طوال ثلاثة عقود ؟؟؟ هل القضية فقط "لفيها أنا وأولادى لأخفيها" ؟؟؟



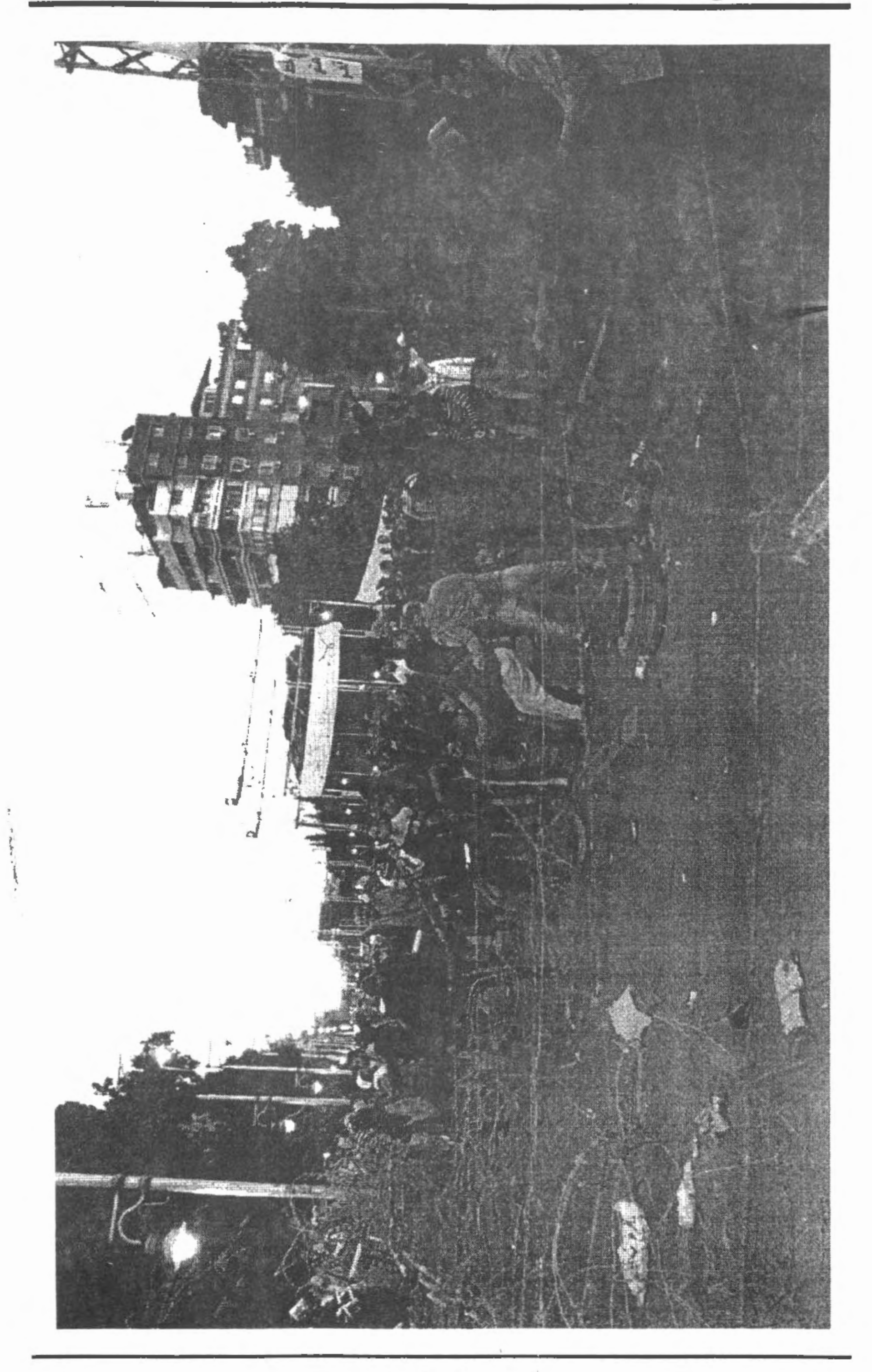


نعم . أحوالنا سيئة من بعدك . لكنك من يتحمل ذلك أولا . نعم .نزداد فقرا لأنك طوال ثلاثين عاما لم تنهض بشعبك تنمويا ، وكان همك وحاشيتك جمع السلطة والمال . نعم . ننهار اقتصاديا لأن حفنة من رجال الأعمال بدعم ومساندة ومقاسمة من ولديك ومباركتك قد استأثروا بتجارة واقتصاد ومال الدولة واحتكروا كل شيء لمصالحهم الخاصة وبيعت الدولة فى عهدك ؟؟؟.نعم . لم ننعم بعدك بحكم رشيد ينسينا أيامك ومآسيك وتصرفات آلك وأهلك وصحابتك ورفقتك .نعم وألف نعم؟؟.

أنت أنت وليس غيرك . بأفعالك وممارساتك وتسلطك ، وجبروتك . بفعلتك بغبائك وطمعك أنت ومن معك وأولادك وزوجتك أوصلتنا لما نحن فيه وعليه ، فلا تشمت فينا أو فى مرسى أيها الرجل وكما قال المثل الشعبى " لا تعايرنى ولا أعيرك فالهم طايلنى وطايلك " !!! .

أيها الرجل أنت هنت على الناس فلا تزيد هواننا عليك بما فعلت بنا فلا تخسر تعاطف هذا الشعب الطيب فى أخريات أيامك . واحرص على بقية من مجد ، يمكن أن يتحقق لك بصغير الفعل والعمل فى غضون أيام قليلة بقيت لك ، لم تحققه فى ثلاثين عاما عشتها طولا وعرضا .

يا ليت لا تسمع لمن تبقى حولك من رفقة السوء ، ولتتصرف على نحو رشيد ومحسوب ، ولا تغتر يا مخلوع فإن هذا الشعب الصبور لا ينسى "الأسية" أو التعالى من أحد !!!!



الذين يتحدثون عن "الخلافة" فى مصر

نقل عن رسول الله ﷺ قوله: " الخلافة بعدى لثلاثين عاما ثم تصبح ملكا " .(بضم الميم) . والخلفاء الراشدون لسيدنا النبى ﷺ هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن ابن على رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، حيث بلغ عدد سنوات خلافة الأربعة الأوائل ٢٩ عاما ونصف العام ، ثم تولى سيدنا الحسن الخلافة لمدة نصف عام فقط لتصبح ثلاثين عاما كما قال سيدنا المحب الحبيب المحبوب ﷺ ، تنازل بعدها سيدنا الحسن سبط رسول الله ﷺ عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان حقنا لدماء المسلمين وزهدا فيها ليأخذها معاوية بن أبى سفيان ملكا (بضم الميم) وليست خلافة كما بين لنا رسول ﷺ .

إذن سيدنا الحسن هو خامس الخلفاء الراشدين ، وطبقا لقول سيدنا النبى ﷺ فإن الخلافة للمسلمين توقفت بذلك عند إنتهاء الثلاثين عاما وآخرها كان الحسن رضى الله عنه لقد قال فيه رسول الله ﷺ : " إن إبنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين " فكانت نبوءة المصطفى ﷺ صادقة كالعادة فى الحسن بن على عندما تنازل لمعاوية بن أبى سفيان حقنا لدماء المسلمي وليس ضعفا منه أو ذلة .

وتشير الأحداث أنه لما سار الحسن بن علي رضي الله عنهما إلى معاوية بالكتائب قال عمرو بن العاص لمعاوية : أرى كتيبة لا تولي حتى تدبر أخراها ، قال معاوية : من لذراري المسلمين ؟ فقال :أنا ، فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة : نلقاه فنقول له : الصلح ، قال الحسن ، ولقد سمعت أنه: بينا النبي ﷺ يخطب جاء الحسن ، فقال النبي ﷺ: (ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين).

قال الحافظ بن حجر العسقلاني رحمه الله في فوائد هذا الحديث : -في هذه القصة من الفوائد : علم من أعلام النبوة ومنقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا لقلة لا لذلة ولا لعلة ، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين ، فراعى أمر الدين ، ومصلحة الأمة أوفيه جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك

صلاحا للمسلمين والنزول عن الوضائف الدينية والدنيوية بالمال .

والحقيقة أن ما يقال عن أن الفاضل الصالح عمر إبن عبد العزيز أنه خامس الخلفاء الراشدين ، إنما كان إشارة احترام وتبجيل له عن عدله وسماحته وصلاحه الذى ضاهى فى أخلاقه وخلقه أخلاق الخلفاء الراشدين وليست خلافة حقيقية ، وقد ترددت هذه التسمية على هذا النحو فى الأعمال الدرامية والسينما .

هذا الرجل الفاضل قد لقب بذلك كما ذكرت لأنه كان ميزانا للعدل والرحمة وتطبيق شرع الله على النحو الذى جعله يستحق لقب الخليفة للمسلمين ، فحاز عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه الولاية ظاهرا وباطنا ، وليس الخلافة .

ونسمع هذه الأيام فى وجود الرئيس الدكتور محمد مرسى وجماعته كثرة الحديث عن الخلافة الإسلامية فى مصر الجديدة بعد تحول الحكم لجماعة الإخوان المسلمين وبزوغ نجمهم وارتفاع مكانتهم فى مصر بقيادة مرشدهم الدكتور محمد بديع بعد ما يزيد على ثمانين عاما من العمل السرى لأنصار هذه الجماعة والتى ذاقت خلالها ما ذاقت على أيدى الأنظمة الحاكمة التى توالت على مصر طوال هذه الفترة منذ إنشاء هذه الجماعة والتى كانت نتيجة حتمية لأسلوب هذه الجماعة السياسية البحتة التى ترتدى عباءة الدين .

فالخلافة للمسلمين توقفت عند سيدنا الحسن وتحولت إلى ملكا فقط (بضم الميم) ، هذا بيان للذين يتحدثون خطأ عن الخلافة فى مصر لجماعة أو فصيل سياسى أو حتى دينى أو جهادى أو خلافة .!!!!!!!!

أيها "المتأسلمون".. وا جهاداه !!

سيسجل التاريخ بمداد أسود مشاهد الخزى لتلك القلة المتأسلمة وهى ترفع رايات "الجهاد الأسود" لاقتحام أشرف مؤسسة وطنية مصرية ، وهم يهتفون وقد أصابتهم ظلمة القلب والعقل "وا جهاداه . وا جهاداه ." وكأنهم أمام خط بارليف إسرائيلى آخر لا يراه غيرهم .

خمسة مشاهد أصابتنى وملايين المصريين من هذا الشعب الطيب بحالة من الحزن ،والخوف ، والندم . أما الحزن ، فلما آل إليه حال مصر بعد أن كنا نفتخر بما حققناه فى الخامس والعشرين من يناير ليصبح ميدان التحرير أيقونة لكل أحرار العالم، وأما الخوف فعلى مستقبل بلادنا وما ينتظر أولادنا إذا ما تولى سفهاؤنا أمورنا ، وأما الندم فهو على الثقة التى أعطيناها لمن لا يستحق فى الانتخابات البرلمانية الماضية ، وكان طبيعيا أن ينطبق علينا "على نفسها جنت براقش" .

أولى هذه المشاهد الخمسة ، تلك الفتاة المحجبة وهى تعتلى دون خجل أو حياء يملؤها الحقد والكراهية والجهل الأسوار الشائكة لتزاحم شبابا لا عقل لهم ولا دين يسعون لاقتحام وزارة الدفاع المصرية مفخرة الوطن ، ولو أنها أقدمت على فعل ما فعلته أيام المخلوع لفقدت هى وذويها مستقبلها قبل بشريتها.

ثانيها ذلك الشاب الملتحى فى نحو الثلاثين من عمره وهو يعتلى الأسوار ملوحا بهمة لمن خلفه بالجهاد والتقدم والتحرك إلى الأمام يستحثهم على القفز لاقتحام الأسوار مرددا السباب والشتائم والعبارات البذيئة للمشير وأقرانه رمز الوطنية والشرف ، فى سلوك يمثل عارا عليه وعلى من تولاه بالتربية والتعليم .

ثالثها ذلك المشهد الذى أظهرته الكاميرات لأشخاص حولوا بيت من بيوت الله إلى مخزن للأسلحة والذخيرة ومنصة لإطلاق النار على أقرانهم وأشقائهم من جنود القوات المسلحة ليستخدم فتحات تهوية مأذنة مسجد النور "كمزاغل" لإطلاق النار ، ونسى هذا المتأسلم أن من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا، ليقتل بدم بارد مجند شاب كان يستعد لزفافه على عروسه ليخطف منهما الفرحة دون ذنب أو جريرة .


محمد مرسى
رئيسا لمصر
2012
معاً.. لإنقاذ الثورة
محمد مرسى
رئيسا لمصر
2012



رابعها ذلك المشهد الذى ظهر فيه مرشح الرئاسة الأول أبو الفتوح يمشى كزعيم فاتح متفاخرا بين جنوده معتصمى العباسية من أقرانه ، بين الهتافات المعادية والسباب للمشير والمجلس العسكرى ونسى المرشح أنه لولا وقفة المشير ورجالاته فى ٢٥ يناير ، ما كانت تلك اللحظة التى يسير فيها بهذا الخيلاء .

خامسها مشهد شقيق الظواهرى وهو يسير متفاخرا بين قبلات وأحضان المحيطين به من المتمين لاتجاهاته كمن يتفقد رعيته من معطلى مصالح الناس وأرزاقهم فى العباسية ، تتقدمه كاميرات تصوير الفضائيات وتظلله الأزرع الممدودة الحاملة لأجهزة المحمول لتصوره من كل جانب ، موزعا ابتسامات الزعامة والنصر على المريدين .

لم يخلوا ميدان العباسية ومنطقة وزارة الدفاع قبل وقوع كارثة الجمعة السوداء من زيارات تفقدية متواترة من جانب رموز التيارات الإسلامية بمختلف أطيافها ، بين مرشح للرئاسة جامعا لأصوات الناخبين بأى وسيلة ولتذهب مصر إلى الجحيم وبين برلمانى أشتهر بالآذان للصلاة أثناء جلسات البرلمان لفتا للأنظار والشو الإعلامى ، وآخر من الذين لا تزال أيديهم ملطخة بدماء ضحاياهم من المسلمين الأبرياء الذين قتلوهم بدم بارد بما لا يقرة دين ولا يوافق عليه شرع . فهل ينقلب السحر على الساحر ؟؟ .

الأقطاب الورعون وأهل الإشارة

كثيرا ما نسمع أو نشاهد على شاشات التلفزيون أو فى المجالس من يقاطع شخصا متكلما أو تاليا لآيات القرآن أو لأحاديث سيدنا النبى ﷺ ، هذا المقاطع يجهل الجرم الذى تورط فيه ، فمع أنه يتخيل أنه يدافع عن الإسلام فإنه جاهل أحبط عمله بنفسه ..!!!

فقد عمى عن الناس قول سيدنا النبى ﷺ أنه لا ينبغى أن يكون هناك مقاطع أو منازع فى حضوره ﷺ . ولأن حضور حديثه ﷺ كحضوره ﷺ ، فإن المقاطع للقرآن الذى أنزل عليه ﷺ أو المقاطع لحديثه ﷺ هو المقاطع له فى وجوده ﷺ .

كما لا يجب أن يرفع السامع لحديثه ﷺ صوته عند سرد الحديث النبوى ، فإن الله يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات ٢) فتوعد الله من يفعل ذلك بأن يحبط عمله ..

فلا فرق عند أهل الله بين صوت النبى وبين أقواله على لسان غيره ، فمتى قيل قال الله أو قال الرسول ﷺ ينبغى على السامع أن يقبل ويتأدب ولا يرفع صوته على المتحدث بذلك ،فقد قال سبحانه : " أجره حتى يسمع كلام الله " مع أن الذى تلاه هو رسوله ﷺ وما سمعه السامع إلا منه ، فالناطق هو كلام الله ولكن بلسان المتحدث ، والكلام منطوق يسمع بالأذن والناطق هنا هو الله ولكن بلسان الذى تلاه، وكذلك الناطق للحديث النبوى هو ﷺ ولكن بلسان من يتلوه .

وللورع أقطاب من الرسل والأنبياء والأولياء يسمون الأقطاب الورعين

وسيدنا إبراهيم عليه السلام منهم ، فقد قال الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء : ٨٠) فبرغم أن الكل من عند الله إلا أنه نسب المرض لنفسه والشفاء لله ، ولم يقل " وإذا أمرضنى فهو يشفينى " .

والعبد الصالح سيدنا الخضر ، من أهل الورع ، حيث قال الله سبحانه وتعالى على لسانه ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (الكهف ٧٩) فنسب الخضر العيب لنفسه مع أنه ما فعل شيء إلا بأمر ربه ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ (الكهف ٨٢) .

كما أن أهل الورع لا يطلقون الكلمات التى تطلق على لفظ الجلالة لغير الله ، فهم لا يطلقون كلمة ملك على بشر فهى لله وحده ويقولون بدلا منها سلطان أو حاكم ، كما لا يطلقون كلمة رسول إلا عليه ﷺ ، ويستخدمون بدلا منها كلمة مبعوث أدبا مع الله ورسوله . فتأدبوا يا أحباب الله مع الله ورسوله ﷺ لتصبحوا من أهل الورع .

ومثل أهل الورع هناك من بين أولياء الله وأهل الله من يطلق عليهم علماء الإشارة الذين فتح الله عليهم بنعمة التأويل للآيات والكلمات والعبارات ، مثل دعوة سيدنا النبى ﷺ لعبد الله بن عباس عندما كان صغيرا ، فقوله ﷺ :" اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل " فاحتل بن عباس مكانة عالية فى التأويل بدعوة رسول الله ﷺ له جعلته يجالس كبار الصحابة فى عهد عمر بن الخطاب رغم صغر سنه لعلمه الوافر وقدرته على التأويل للقرآن .

فقد أصيب أحد الصالحين بمرض عضال ولم يعرف الأطباء علاجا له ومر وقت طويل على معاناة الرجل الصالح ، حتى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه يقول له يا فلان علاجك فى ثمرة لا ولا .

وأستيقظ الرجل حائرا فى معنى رؤية رسول الله ﷺ وذهب بها إلى كثير من علماء الظاهر والفقه ليجد لها تفسيرا أو يعرف معناها إلا إنه لم يجد ما يعينه بين علماء ظاهر عصره ما يدله عليها ، حتى أهداه الله سبحانه وتعالى إلى رجل من أهل الإشارة أو علماء الإشارة الذين فتح الله عليهم بالعلم والتأويل ، فأخبره الرجل عندما سمع منه قول رسول الله ﷺ فى رؤيته المنامية : يا أخى إن علاجك فى ثمرة شجرة الزيتون حيث يقول الله فيها : ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ (النور ٣٥) فاللهم فقهنا فى الدين وعلمنا التأويل .

كمال اللذة مع كمال الحب
وعفاف المحبين

معلوم أن حب من ذاق الشيء أقوى من محبة من لم يذقه ، بل نفسه مفطومة عنه، والمودة بين الزوجين والمحبة بعد الجماع أعظم من التي كانت قبله والسبب الطبيعي أن شهوة القلب ممتزجة بلذة العين فإذا رأت العين اشتهى القلب ، فإذا باشر الجسم الجسم اجتمعت شهوة القلب ولذة العين ولذة المباشرة .

ولذلك يتضاعف الألم والحسرة على من رأى محبوبه أو باشره ثم حيل بينه وبينه فتضاعف ألمه وحسرته في مقابله مضاعفة لذة من عاوده ، وهذا في جانب المرأة أقوى فإنها إذا ذاقت عسيلة الرجل ولاسيما أول عسيلة لم تكد تصبر عنه بعد ذلك .

وللحب لذة وطعم يستسيغه المحب في قلبه ولسانه وكلما زاد الحب زادت وقويت معه اللذة ، بسبب إدراك المحب لنواحي الجمال والذوق والوجد والوصل وطيب النفس وقرة العين حيال المحبوب . غير أن اللذة الحقيقية الجميلة لا ينبغي أن تعقبها حسرة أو ضرر تقع على من يستلذ أو ما يستلذ به وإلا لكانت لذة منقوصة .

وفى الحب السامي الحب الإلهي ، تتضاعف وتتزايد هذه اللذة بحسب ما عند المحب من الإقبال على الله وإخلاص العمل له والرغبة في الدار الآخرة .

ذكر أن بعض المحبين جنى جناية فجلده الحاكم مائة جلدة فما أحس بتسع وتسعين منها فما استغاث ، فلما كان في السوط المكمل مائة استغاث فقيل له في ذلك فقال : العين التي كنت أعاقب من أجلها كانت تنظر إلى فكنت أتنعم بالنظر إليها فما كنت أحس بمواقع السياط من ظهري فلما كان في السوط الموفى مائة غابت عنى فأحسست بموقع السوط فاستغثت .

ويروى محى الدين بن عربى أنه رأى المرأة الصالحة بمكة فاطمة بنت التاج ضربها أبوها ضربا مبرحا من غير جناية فما أحست بذلك وكانت تحس بشيء يحول

بين ظهرها ومواقع السياط فيقع السوط في ذلك الحائل وتسمع وقع السوط بأذنها وتتعجب حيث لا تحس به . فهذا المراد قد يعطيه الله اللذة دائما بكل شيء يقوم به من بلاء ونعمة ، فإن النعيم ليس بشيء زائد على عين اللذة القائمة بالشخص ، كما أن البلاء ليس بشيء زائد على وجود عين الألم ، وأما الأسباب الموجبة لهما فغير معتبرة عندنا فليس صاحب البلاء إلا من قام به الألم ، وليس صاحب النعمة سوى من قامت به اللذة ، ويكون السبب ما كان معتادا أو غير معتاد ، وهذا القسم قد يجعل الله فيه أن يكون مرادا له في نفسه جميع ما يريد الله أن ينزله به ، فإذا أعطاه الله مراده ولا بد من ذلك فإن ذلك مراد الله تعالى فإنه يلتذ بوقوع مراده .

اللذة التي يعقبها الألم :

غير أن كل لذة يعقبها ألم أو منعت لذة أكمل منها ، فهي ليست لذة حقيقية ، بل غالطت النفس في الإلتذاذ بها ، فأي لذة لآكل طعام شهى مسموم يقطع أمعاءه بعد ذلك ؟؟ وهذه لذات من يعلو في الأرض مفسدا بغير حق .

وكل حسن وجمال لا يخلو إدراكه عن لذة ، ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع ، فإن ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله كما قال رسول الله ﷺ " إن الله جميل يحب الجمال " .

أنواع اللذة :

ويقول بن قيم الجوزية في روضة المحبين . أن هناك ثلاثة أنواع من اللذات : لذة جثمانيه ولذة خيالية وهمية ولذة عقلية روحانية . أما اللذة الأولى فهي لذة الأكل والشراب والجماع ، وهذه اللذة يشترك فيها الإنسان والحيوان ، فليس كمال الإنسان بهذه اللذة لمشاركة أنقص الحيوانات له فيها وأنها لو كانت كمالا لكان أفضل الإنسان وأشرفهم وأفضلهم وأكملهم ، أكثرهم أكلا وشربا وجماعا ، وأيضا لو كانت كمالا لكان نصيب رسل الله وأنبيائه وأوليائه منها في هذه الدار أكمل ، وإنما تكون كمالا إذا تضمنت إعانة على ذات الدار الآخرة .

وأما اللذة الوهمية فلذة الرئاسة والتعاظم على الخلق والفخر والإستطالة عليهم وهذه اللذة وإن كانت أشرف نفوسا من طلاب اللذة الأولى فإن آلامها وما توجبه من المفاسد والمضار أعظم من إلتذاذ النفس بها .

وأما اللذة العقلية والروحية فهي كلذة المعرفة والعلم والاتصاف بصفات الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر والحلم والمروءة ، فإن الالتذاذ بذلك من أعظم اللذات ، فإذا انضمت اللذة بذلك إلى لذة معرفة الله تعالى ومحبته وعبادته والرضا به عوضا من كل شيء ، هذه اللذة في جنة عاجلة تنسب إلى لذات الدنيا . فإنه ليس للقلب والروح ألذ و لا أحب ولا أحلى و لا أنعم من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحده وقرة العين به والأنس بقربه والشوق إلى لقائه ورؤيته .

ولا يمكن أن تكون هناك لذة بلا حب في أي موضع من مواضع اللذة ، فكل من أحب شيئا من الأشياء وجد في حبه لذة وروحا ونشاطا ، فإذا خلا عن الحب تماما تعطلت النفس عن حركتها وثقلت وكسلت وفارقها خفة النشاط ولهذا نجد الكسالى أكثر الناس هما وغما وحزنا بخلاف أصحاب النشاط والجد في العمل أيا كان هذا العمل .

وقد تبين أن كمال اللذة تابع لكمال الحب فأعظم الناس لذة بالشيء أكثرهم محبة له . وقالوا : إن الله سبحانه وتعالى قد حبب إلى رسله وأنبيائه نساءهم وسراريهم فكان آدم أبو البشر شديد المحبة لحواء ، وقالوا: إن الشيطان استغل حبه لها وحمله على موافقتها في الأكل من الشجرة . وأول حب في هذا العالم حب آدم وحواء وصار ذلك سنة في ولده في المحبة بين الزوجين .

وقالوا : إن داود من محبته للنساء جمع بين مائة امرأة ، وكذلك ابنه سليمان عليهما السلام . وقالوا : قد كان عند إبراهيم خليل الرحمن أجمل النساء سارة ، ثم تسرى بهاجر وكانت المحبة لهما . قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : كان إبراهيم الخليل يحب سريته هاجر محبة شديدة وكان يزورها في كل يوم على البراق من الشام من شغفه بها .

الملك والجارية :

ويقول آخرون : ما ذاق طعم العيش من لم يكن له حبيب إليه يطمئن ويسكن .

وقيل كان لبعض الملوك ولد ساقط الهمة دنيء النفس فاتر ، فأراد أن يجهزه للملك ليكون وريثا لعرشه فسلط عليه الجواري والقيان (الأمة المغنية) فعشق منهن واحدة، فعلم الملك فسر وأرسل إلى المعشوقة أن تقول له : إني لا أصلح إلا لملك أو عالم .

فلما قالت له ذلك أخذ التعلم بما عليه للملوك من أدوات الملك حتى برع في ذلك. وقال آخر : لا يخلو أحد من صبوة إلا أن يكون جافي الخلقة ناقصا أو منقوص الهمة أو على خلاف تركيب الاعتدال .

ولأن العشق لا يحمد مطلقا و لا يذم مطلقا . لهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى وحده بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه ، فيوحد محبوبه ويوحد حبه والمحبة لا تصح إلا بذلك . فهذا الحب وإن سمى عشقا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله .

عفاف المحبين

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصديق عليه السلام من العفاف أعظم ما يكون فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره فإنه عليه السلام كان شابا والشباب مركب الشهوة وكان أعزب وليس عنده ما يعوضه ، وكان غريبا عن أهله ووطنه، وكان في صورة المملوك والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر ، وكانت المرأة ذات منصب وجمال وكانت هي المطالبة ، وأتت بالرغبة والرهبة ، ومع هذا كله فعف لله ولم يطعها ، وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك وهذا أمر لو أبتلى به سواه لم يعلم كيف كانت تكون حاله .

وقد أظهر الله براءته على لسان امرأة العزيز ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (سورة يوسف : ٥١)، ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ (سورة يوسف : ٥٢) وقيل أن هذا من تمام الاعتذار المقرون بالاعتراف ، وختمت ذلك بالطمع في مغفرة الله ورحمته .

ولذلك فإن أقصى أنواع الابتلاء هو الابتلاء فى نفس الإنسان ، وليس صحة الإنسان بالمرض أو غير ذلك ، وبالتالى كان ابتلاء يوسف أشد أنواع الابتلاء ، فقد كان شابا ، والشباب مندفع بطبعه غير أنه استعصم ، وكان غريبا عن الديار ، وفى الغربة تحلل من الخوف على السمعة ، وكانت المرأة جميلة وذات منصب ، والجمال والسلطة لا يقاومهما رجل لاسيما فى ريعان الشباب ، ثم إنها هى التى راودته ، وإذا رغبت المرأة فى شيء وكانت المراودة منها يعجز أمام ذلك الكثير ، وكان خادم عندها، والخادم لا يرفض أمر سيدته ، ومع ذلك قال ربى السجن أهون إلى مما يدعوننى إليه ، فقد نجح فى أشد أنواع الابتلاء ، غير أن الابتلاءات الأخرى يتساوى فيها المؤمن وغير المؤمن مثل المرض مثلا ، فليس أمام صاحبة سوى الصبر ليس إلا ، أراد أم لم يرد ، فلا جهاد فيه كابتلاء النفس .

وذكر الزبير بن بكار أن عبد الرحمن بن أبى عمار نزل مكة وكان من عباد أهلها، فمر يوما بجارية تغنى فوقف فسمع غناءها فرآه مولاها فأمره أن يدخل عليها فأبى ، فقال :

فاقعد في مكان تسمع غناءها و لا تراها ، ففعل فأعجبته فقال له مولاها : هل لك أن أحولها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ثم وافق ، فنظر إليها فأعجبته فشغف بها وشغفت به فقالت له ذات يوم :

أنا والله أحبك .

فقال : وأنا والله .

قالت : فإني والله أحب أن أضع فمي على فمك ،

قال : وأنا والله ،

قالت : فما يمنعك ؟ فإن الموضع خال ،

قال لها : ويحك إني سمعت الله يقول : ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (سورة الزخرف: ٦٧) فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة ، ثم نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبها .

وقال عمر بن بكير : قال إعرابي : علقت امرأة كنت أتيها فأحدثها سنين وما جرت بيننا ريبة قط ، إلا أني رأيت بياض كفها في ليلة ظلماء فوضعت يدي على يدها، فقالت : مه أي أكفف لا تفسد ما بيني وبينك ، فإنه ما نكح حب قط ، إلا فسد ، قال: فقمت وقد تصببت عرقا حياء منها ولم أعد إلى شيء من ذلك .

وقال سعيد بن عبد الله بن راشد : تعلقت فتاة من العرب بفتى من قومها وكان عاقلا فجعلت تكثر التردد إليه ، فلما طال عليها ذلك مرضت وتغيرت واحتالت في أن خلا لها وجهه ، فتعرضت إليه ببعض الأمر فصرفها عنه فتزايد المرض حتى سقطت على الفراش ، فقالت أمه : إن فلانة قد مرضت وعلينا حق زيارتها ، قال : فعوديها وقولي لها : يقول لك ما خبرك ؟ فسرت إليها أمه وسألتها ما بك ؟ فقالت وجع في فؤادي هو أصل علتي ، قالت : فإن إبني يسألك عن علتك ، فتنفست الصعداء ثم قالت :

يسائلني عن علتي وهو علتي

عجيب من الأنباء جاء به الخبر

فانصرفت الأم إلى ابنها وأخبرته وقالت له : تريد أن تصير إليك ؟ فقال : نعم ، فأخبرتها أمه بذلك فبكت الفتاة وقالت :

ويبعدني عن قربه ولقائه

فلما أذاب الجسم مني تعطفا

فلست بآت موضعا فيه قاتلي

كفاني سقاما أن أموت تلهفا

وتزايدت بها العلة حتى ماتت .

وذكر المبرد عن أبى كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمر النخعي ، قال : كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد فنزل جوار قوم من النخع ، فنظر إلى جارية منهن جميلة فهويها وهام بها عقله ، ونزل بالجارية ما نزل به. ، فأرسل يخطبها من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مخطوبة لابن عمها فلما اشتد عليهما

ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية : قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك ، فإن شئت زرتك ، وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي ، فقال للمبعوث :

ولا واحدة من هاتين الخلتين ، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ (يونس: ١٥) أخاف نارا لا يخبو سعيرها ، ولا يخمد لهيبها ، فلما أبلغها المبعوث قوله قالت :

وأراه مع هذا يخاف الله ؟؟ والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه لمشتركون ، ثم إنخلعت من الدنيا وألقت ما تتعلق به منهاخلف ظهرها وجعلت تتعبد ، وهى مع ذلك تذوب وتنحل حبا للفتى وشوقا إليه حتى ماتت عن ذلك ، فكان الفتى يأتى قبرها فيبكى عنده ويدعو لها ، فغلبته سنة من نوم عند قبرها ذات يوم فرآها في منامه في أحسن منظر فقال :

كيف أنت وما لقيت بعدى ؟

قالت :

نعم المحبة ياسؤلى محبتكم
حب يقود إلى خير وإحسان

فقال : على ذلك إلى ما صرت ؟؟

فقالت :

إلى نعيم وعيش لا زوال له
في جنة الخلد ملك ليس بالفاني

فقال : أذكريني هناك فإني لست أنساك .

فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد .

فقال لها : متى أراك ؟

فقالت : ستأتينا عن قريب فترانا ، فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات رحمه الله .

وقال الأصمعي : قيل لأعرابي : ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تهوى ؟؟ قال : كنت أمتع عيني من وجهها ، وقلبي من حديثها ، وأستر منها ما لا يحبه الله ، ولا يرضى كشفه إلا عند حله ، قيل : فإن خفت إلا تجتمعا بعد ذلك ؟؟ قال : أكل قلبي إلى حبها ، ولا أصير بقبيح ذلك الفعل إلى نقض عهدها .

قال : وقيل لآخر وقد زوجت عشيقته من إبن عمها لرغبة أهلها ، أيسرك أن تظفر بها الليلة ؟

قال : نعم . والذي أمتعني بها وأشقاني بطلبها ، قيل : فما كنت صانعا ؟ قال : كنت أطيع الحب في لثمها ، وأعصى الشيطان في إثمها ، و لا أفسد عشق عشر سنين بما يبقى عاره ، وتنشر بالقبيح أخباره ، في ساعة تنفد لذتها ، وتبقى تبعتها ، إني إذا للئيم ، لم يغذني أصل كريم .

وذكر أبو الفرج وغيره أن امرأة جميلة كانت بمكة ، وكان لها زوج ، فنظرت يوما إلى المرآة فقالت لزوجها : أترى أحدا يرى هذا الوجه ولا يفتتن به ؟

قال : نعم .

قالت : من .

قال : عبيد بن عمير .

قالت : فإذن لي فيه لأفتننه .

قال : قد أذنت لك.

قال : فأتته كالمستفتية ، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام ، فكشفت عن وجه مثل فلقة القمر ،

فقال لها : يا أمة الله استتري ،

فقالت : إني قد فتنت بك ،

قال : إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك ،

فقالت : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك ،

قال : أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا ، قال : صدقت ،

قال : فلو دخلت قبرك وأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لكي ؟

قالت : اللهم لا ،

قال : صدقت ،

قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أنى قضيتها لك ؟

قالت : اللهم لا.

قال : صدقت .

قال : فلو أردت السير على الصراط و لا تدرين هل تنجين أو لا تنجين أكان يسرك أنى قضيتها لك ؟

قالت : اللهم لا .

قال : صدقت .

قال: فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أنى قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا .

قال : صدقت .

قال : اتقى الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك ،

قال : فرجعت إلى زوجها .

فقال : ما صنعت ؟

قالت : أنت بطال ونحن بطالون ، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة ، فكان زوجها يقول : مالي ولعبيد بن عمير أفسد على إمرأتي ، كانت في كل ليلة عروسا فصيرها راهبة .

وهناك الكثير من أمثلة العفة في الحب قديما وحديثا . على غير ما يدور في أيامنا حاليا فلا عفة في حب و لا شرف ، حيث لا يرضى الشاب المحب لفتاة بأقل من أن يجامعها ، فيفسد ما بينهما من حب ويزول ولا يتبقى لهما إلا الإثم .

والله سبحانه وتعالى يعوض المحب للمستعف حيث ترك يوسف الصديق عليه السلام امرأة العزيز لوجه الله واختار السجن على الفاحشة فعوضه الله أن مكنه في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، وأتته المرأة صاغرة راغبة في الحلال فتزوجها ، فتأمل كيف جزاه الله ، وهذه سنته تعالى في عباده قديما وحديثا إلى يوم القيامة .

ولما عقر سليمان بن داود عليهما السلام الخيل التي شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس ، سخر له الريح يسير على متنها حيث أراد . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (سورة الطلاق ٢ ، ٣) فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه إذا اتقاه العبد بترك أخذ مالا يحل له رزقه الله من حيث لا يحتسب سواء بجنس ذلك العمل أو أفضل منه وكذلك الزاني لو ترك ركوب ذلك الفرج حراما لله لأثابه الله بركوبه حلالا أو ركوب ما هو خير منه . والأمثلة كثيرة في هذا الموضع أيضا .

وذكر أن رجلا أحب امرأة وأحبته ، فاجتمعا فراودته المرأة عن نفسه فقال : إن أجلي ليس بيدي ، وأجلك ليس بيدك ، فربما كان الأجل قد دنا فنلقى الله عاصيين ، فقالت : صدقت ، فتابا وحسنت حالهما وتزوجت به .

وذكر بكر بن عبد الله المزني أن قصابا ولع بجارية لبعض جيرانه ، فأرسلها أهلها إلى حاجة في قرية أخرى ، فتبعها فراودها عن نفسها ، فقالت : لا تفعل : أنا لأشد حبا لك منى ، ولكنى أخاف الله ، قال : فأنت تخافينه وأنا لا أخافه ؟؟ فرجع تائبا ، فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه ، فإذا هو برسول لبنى إسرائيل ، فسأله

فقال : مالك ؟ قال : العطش ، فقال : تعال حتى ندعو الله سبحانه حتى ندخل القرية، قال : ما لي من عمل فأدعوه ، قال : فأنا أدعو وأمن أنت ، فدعا وأمن الرجل ، فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية ، فذهب القصاب إلى مكانه فذهبت السحابة معه ، فرجع إليه ذلك الرسول فقال : زعمت أن ليس لك عمل وأنا الذي دعوت وأنت أمنت ، فأظلتنا سحابة ثم تبعتك ، لتخبرني ما أمرك ، فأخبره ، فقال الرسول : إن التائب إلى الله بمكان ليس بأحد من الناس بمكانه .

وهناك الكثير من الأمثلة التي يتواتر ذكرها في هذا المقام والتي حظي أصحابها بتعويض الله لهم عندما لزموا حدود الله ورفضوا عصيانه في ممارسة حبهم مع من تعلقوا بهم من المحبين .

الاتجار" بالسياسة و "الاشتغال" بالوطنية !!

أصبحت " الوجاهة السياسية " هدفا يسعى إليه الكثيرون من رجال المال والأعمال هذه الأيام اكتمالا لجمال الصورة وتنعما ببريق الشهرة وتنمية لكثرة الأتباع والمريدين والتحافا بعطاء السلطة ، تيسيرا لدولاب المال والأعمال و" استخديم " على الأنشطة وحماية التطلعات والجمع بين الوجاهتين السياسية والاقتصادية . وقد يحقق المال بشكل أو بآخر "الوجاهة السياسية" لصاحبه ، لكنه لا يحقق لصاحبه "زعامة سياسية " !! .

والحقيقة أن الوطنية ليست حكرا على أحد دون الآخر ، مثلما أن السياسة ليست قاصرة على شخص دون غيره ، غير أن الاشتغال بالسياسة وتحقيق الزعامة الوطنية السياسية في غياب المقومات الشخصية " الكارزمية " ، يصبح مجرد "اتجار " بالسياسة و " اشتغال " بالوطنية ، فالزعامة الوطنية السياسية ليست ساحة مفتوحة لكل من يريد الدخول إليها حتى إذا توفر له المال الوفير .

كما أن الاشتغال بالسياسة هذه الأيام – على غير ما تعودنا في الماضي – أصبح مكلفا لصاحبه ، فلم يعد كافيا أن تكون صاحب رأى ترغب في الدفاع عنه وتأكيده بين الناس أو الدفاع عن حقوق الآخرين ومناصرة المظلوم وبالتالي أصبح هذا المجال غير متاح للجميع ، بل أصبح بابا صعب الدخول إليه إلا على القادرين من وزراء أو وزراء سابقين أو كبار مسئولين أو رجال أعمال أو أثرياء حتى من أهل الريف " أصحاب الأطيان " ، وهذه الشرائح جميعها لم تدخل إلى باب السياسة انطلاقا من الحاجة إلى تعديل أوضاع أو رفع معاناة أو وطنية حقيقية بل من باب الوجاهة فقط والتمتع " بيافطة" تسبق الاسم بالانتساب إلى منتديات المجالس التشريعية " السيد فلان عضو مجلس ... " أو " عضو لجنة ... " ، فهي وجاهة يراد بها المصلحة الشخصية أساسا .



وقد تسبب هذه الوضع في التوقف عن تفريخ أجيال من الشباب المثقف سياسيا المدرك للوطنية الصحيحة والانتماء الوطني ، لينصرف الشباب إلى مجالات أخرى زادت من سطحيته وعدم اكتراثه وكراهيته للبلاد فتمخضت عن ذلك ظاهرة التطرف والكراهية و الشماتة في كل ما يلم بالوطن ومؤسساته بعد أن تكرس أمامهم مفهوم أن الاشتغال بالسياسة للبالغين القادرين فقط ، وليس أدل على الشماتة في الحكومة من وقوف الناس يتفرجون على ألسنة اللهب تأكل مجلس الشورى أمام أعينهم رافعين أجهزة المحمول تصور النيران وقد خلت قسمات وجوههم من أي أسى . فضلا عن أن هذه الشريحة من أصحاب المال يصبغون التشريعات داخل المجالس – على الأقل – بما لا يتعارض مع مصالحهم واحتكاراتهم .

لقد عودنا التاريخ أن الزعامة السياسية يولد أصحابها من رحم معاناة الشعوب ومن طبقاته البسيطة الأكثر مكابدة ومعاناة للحياة الصعبة بمختلف ألوانها ، طبقات تمثل "ملح الأرض" للمجتمع ، من أولئك الذين ولدوا لآباء بسطاء وعاشوا حياة غير مترفة وكابدوا شظف العيش ، ولم يعبهم أعمال آبائهم أو بساطة نشأتهم بل كانت تجارب مفيدة لتكوينهم وتأسيسهم ونشأتهم وإلاحساس بغيرهم فتحققت لهم زعامة لم يسعوا إليها بأموالهم .

فلم يعب الرئيس الأمريكي بيل كليتون أن أمه كانت ممرضة تركب الموتوسيكل وهى ذاهبة إلى المستشفى ، ولم يعب هتلر أن أمه كانت خادمة في بيت أحد اليهود ولا أن أباه كان سائقا للقطارات ؛ وهناك من الزعماء السياسيين في بلادنا وعالمنا العربي الذين خلدهم التاريخ خرجوا من بيوت البسطاء والفقراء في القرى والنجوع في محافظات صعيد مصر ودلتا الفلاحين البسطاء .

غير أننا أصبحنا هذه الأيام نرى الكثير من رجال المال والأعمال الذين نبغوا في تنمية ثرواتهم وتعاظمت أنشطتهم التجارية والمالية والصناعية ، أعضاء في المجالس النيابية والتشريعية والهيئات الحزبية واللجان السياسية فباتوا بين ليلة وضحاها وجوها مألوفة على صفحات الصحف والمجلات وشاشات الفضائيات وضيوفا لمؤتمرات ومنتديات سياسية بعد أن كانوا في الأمس القريب لا تتجاوز شهرتهم

القليلة موضوعات إعلانية مصورة مدفوعة الأجر .

واستغلت هذه الطائفة نجاحها وشطارتها وخبرتها الطويلة في مجال المال والأعمال والصناعة والاحتكار التي اكتسبتها في الترويج لبضاعتها وسلعتها ، استغلتها في الترويج السياسي لأفكارها وتحولت شخصياتها من العمل في صمت بمجال المال والأعمال إلى التعود على مكبرات الصوت والميكروفون واعتلاء منصات الخطابة .

ويعد هذا التزاوج بين الوجاهة الاقتصادية والوجاهة السياسية ، تشكلت شريحة من السياسيين الأثرياء التي تعمل بالسياسة و تشتغل بالعمل الوطني توفرت لها سلطة تفوق تلك التي دائما ما يتمتع بها أصحاب المناصب السياسية في ثوبها القديم ، وتوفرت لبضاعتهم على صعيدي المال والسياسة رواجا كبيرا بميزاته وعيوبه ليفتح منافذ جديدة للفساد والمفسدين المتفعين من القائمين على تنفيذ القانون خلال سعي هذه الشريحة لتحقيق مصالحها الشخصية . فلم نكد ننسى ما فعله رجل الأعمال الشهير مستغلا نفوذه عندما قام بتهريب شقيق صديقته للإفلات من جريمة قتل بأحد الفنادق .

وحقق هؤلاء دعاية مجانية لأنفسهم بملايين الجنيهات ، فإذا ما أنفق بضعة آلاف من الجنيهات على فقراء دوائرهم الانتخابية ، حققوا بظهورهم السياسي في وسائل الإعلام الرسمية دعاية مجانيه بالملايين لمنتجات شركاتهم ، ليصبح الأمر وكأنه اتجار بالسياسة واشتغال بالوطنية .

إن هؤلاء الذين لم يتربوا في شبابهم على زحمة المواصلات أو السير على الأقدام لمسافات ذهابا إلى المدرسة والجامعة ، ولم يعتقلوا الفكر أو تعبير عن الرأي في شبابهم بل عاش معظمهم حياة رغدة لم يكابد ولم يعان ولم يتعر ولم يذق طعم الحاجة ، فكيف له أن يحس بمن يكابد هذا كله أو التحدث عنه والشعور بمشاكله وآلامه . إنها ببساطة "اتجار" بالسياسة وَ"اشتغال" بالوطنية !! .

المسؤولون بين أمراض الأفعال والأحوال

بفعل ما كانت عليه فترة حكم الرئيس المخلوع التى أنهتها ثورة ٢٥ يناير، لا نزال نعيش وسط مناخ يتفشى فيه ما يسمى بأمراض الأفعال والأحوال، لاسيما ما يظهر بوضوح بين الغالبية العظمى من المسئولين كبيرهم قبل صغيرهم، مناخ غابت عنه نسمات الصدق والشفافية فى التعامل قولا وعملا، لتنتقل هذه العدوى من التعاملات بيننا الى تلك التى بيننا وبين الله سبحانه وتعالى فى أدائنا لشعائرنا الدينية .

فقد أصبح المسئول بدءا من الموظف الصغير الى الكبير وحتى الوزير، وقد أصابه مرض الفعل والحال عندما يكون أداء المرء للفعل فى وجود من يرأسه أو على الملأ غير أدائه بينه وبين نفسه دون وازع من ضمير أو خوف من الله .

فترى العامل فى مصنعه والموظف فى مصلحته والمسئول فى مؤسسته، والطبيب فى مشفاه، والمعلم فى مدرسته، والمحافظ فى محافظته والوزير فى وزارته وقد اختلف أداؤه ونشاطه عن ذلك الذى يكون فى وجود رقيب أعلى منه درجة أو أرفع منه مقاما، خشية المحاسبة والعقاب حرصا على منصبه .

فكم من شوارع تجملت وكم من مصالح وأرصفة تزينت وكم من أبنية تلونت وكم من مصالح تحولت إلى خلية نحل أثناء زيارة مسئول كبير أو وزير إليها، ولا ننسى ما كان يحدث فى جولات الرئيس المخلوع على مدى ثلاثين عاما .

فإذا ما انقضت الزيارة وانفض الموكب، عاد المكان إلى سابق عهده مهملا، هامدا، غير نظيف، ويتحول الموظفون الجالسون على مقاعدهم إلى زمرة من الكسالى ذوى ردود جافة فى وجه الزائر للمكان، فتعطل المصالح وتتوقف الأحوال . انها أمراض الأفعال التى يختلف فيها أداء المرء بين أداء على الملأ قد يعرضه التقصير فيه للمحاسبة والعقاب وبين ملأ لا سلطان له عليه .

والأمر نفسه فى أمراض الأحوال عندما يلبس المرء حالا ليس حاله الصحيح ، كأن يبدو أمام مرؤوسيه فى حال ليس الذى عليه ، كأن يبدو نشيطا ذو همة وصدق ليقال عنه أن فلانا كذا وكذا ، غير أن هذه الهمة وذاك النشاط ليس لصالح العمل بل لغرض فى نفسه ، فيحسبه الناس على غير حاله الصحيح .

وقد تفشت أمراض الأفعال والأحوال لتنتقل حتى إلى أدائنا لشعائرنا الدينية فأصبح أداء الفعل الذي هو عبادة لله ، كالصلاة مثلا عند الغالبية في الملأ غير الأداء لها في السر ، فترى المرء إذا أم صلاة بمجموعة من المصلين أطال واستطال وتلى القرآن على نحو استعراضي ويصيبه نوع من " خنف الأنف " فى الصوت وتصنع الخشوع ويطيل دونما إعتبار لمريض أو مسن ،وإذا ما وجدته يصلى بمفرده كانت صلاته على غير ذلك من السرعة وعدم الخشوع وعدم الاكتراث .

انه فى هذه الحالة من أؤلئك الذين يحبون أن يقال عنهم أن فلانا صالحا أو فلانا مشهود له بالتقوى . فهو على هذا النحو لا يراعى سوى الخلق دون الخالق المستحق له بالمراعاة سرا وعلانية سبحانه وتعالى ، يقول الرسول ﷺ في مثل هذه الفعل : " تلك استهانة استهان بها ربه في رجل حسنت صلاته في الملأ وأساءها في الخلوة " ، وهذا من أصعب الأمراض النفسية والله أحق بأن يستحى منه .

ومن أمراض الأحوال ،فى الدين تلك التي يصاب بها البعض الذي يصحب الصالحين حتى يشتهر في الناس عنه ، أنه منهم وهو في نفسه مع شهوته ، كمن عشق فتاة أو امرأة أو هوى ، ولا تعلم الناس من حوله بذلك ، فيصيبه وجد ويغلب عليه الحال لتعلقه بذلك الشخص الذي في نفسه فيتحرك ويصيح ويتنفس الصعداء ويقول الله الله ، أو هو هو ، ويشير بإشارات أهل الله ، ويبدو كمجذوب بين الناس إذا ذكر اسم الله ، و الناس تعتقد في حاله أنه حال إلهي مع كونه ذا وجد صحيح وحال صحيحة ، و لكن ليس لله .

حكى :عن رجل يدعى الشيخ روزبهار ، كان قد أبتلى بحب امرأة مغنية وهام فيها وجدا وكان قبل حبه للمرأة كثير الزعقات في حال وجده في الله بحيث أنه كان يشوش على الطائفين بالبيت الحرام فكان يطوف على سطوح الحرم وكان صادق

الحال ، ولما أبتلى بحب هذه المغنية لم يشعر به أحد ، وبقى ظن الناس به أنه من أهل الله، ولأنه كان صادقا في حاله ، فخرج إلى الصوفية وخلع الخرقة ورمى بها إليهم وحكى للناس قصته وقال : لا أريد أن أكذب في حالي ولزم خدمة المغنية ، فقيل للمرأة عن حاله ووجده بها وأنه من أكابر أهل الله فاستحت المرأة وتابت إلى الله مما كانت فيه ببركة صدقه ولزمت خدمته وأزال الله ذلك التعلق بها من قلبه ، فرجع إلى الصوفية ولبس خرقته ، فلم ير أن يكذب مع الله في حاله .

فيجب على المرء أن يكون صادق القول والفعل والحال ، وإذا كان وجده لغير الله فلا يتواجد بين أهل الله، فان تواجد ولم يقل للحاضرين فهو صاحب مرض ، وليحذر من الكذب في ذلك وليلزم الصدق ولا يظهر للناس إلا بما يظهر لله ، فان العلم بحكم الله في تفاصيل هذه الأمور شرط في أهل الله و لابد من ذلك ، فما عبد الله من لم يعلم حكمه فإن الله ما اتخذ وليا جاهلا .

"حذاء" بوش .. هل يعي أوباما الدرس !!

لن ينسى العالم والأمريكيون أنفسهم، ما فعله المواطن العراقي عندما رشق جورج بوش رئيس أكبر قوة على مستوى العالم " بفردتى حذاء " أثناء المؤتمر الصحفي المشترك مع رئيس الوزراء العراقي نورى المالكي، مرددا مع الأولى " هذه قبلة الوداع يا كلب "، ومع الثانية " وهذه من أجل الأرامل والأيتام وكافة الذين لقوا مصرعهم في العراق "، ليحاول بوش والمالكي تفادى قذيفتي الحذاء في مشهد أقرب إلى سينما الكاوبوى الأمريكية .

والحقيقة أن بوش بزيارته للعراق يثبت من جديد أنه يفتقر إلى التفكير السليم الذي عانت من نتائجه شعوب الشرق الأوسط طوال الثماني سنوات العجاف التي سكنها البيت الأبيض في واشنطن، فبدلا من أن يقلل من علنية الظهور خلال ما تبقى له من أيام لاسيما بعد أن تبرأ منه حتى أنصاره من المحافظين الجدد خلال الانتخابات الرئاسية الشهر الماضي وكأنه " جرب " يخشاه الجميع، راح بوش يقلب " مواجع " العراقين وشعوب الشرق الأوسط ويجدد جراحهم التي لم تندمل بعد ويذكرهم بأيام لا تنسى .

فبينما وقف بوش فوق الأرض التي عاث فيها وجنوده فسادا وتدميرا وخرابا وتقتيلا، متباهيا ومتشبثا بأذيال وهمه الكبير في فرض " الديمقراطية المخضبة بالدماء"، عبر مواطن عراقي عن مكنون أبناء وطنه الزاخر بمشاعر الكراهية والمعاناة والكبت الذي يشعر به العراقيون حيال الغزو الأمريكي . وجاءت مسالة إلقاء الحذاء أسوأ صفعة وأكبر إهانة ممكنة تمثل أقسى درجات عدم الاحترام والازدراء والكراهية تجاه شخص الرئيس الأمريكي .

فهذا الرجل الذي جاء إلى العراق ليعلن متباهيا أن الحرب لم تنته بعد، هو نفسه الذي تبرأ منه منذ أيام قليلة أنصاره من المحافظين الجدد وتفادى الناخبون الأمريكيون مجرد ذكر اسمه – الذي وصفه البعض بفيروس يتفشى في صفوف





الجمهوريين - خوفا من الإصابة بالعدوى، حتى أن مرشحهم الجمهوري جون ماكين نفسه أعلن تنصله منه خوفا من أن يصيبه "وباء بوش" ، وان كان لم يسلم من تلك الإصابة ليمنى بهزيمة ثقيلة أمام باراك أوباما في هذه الانتخابات .

ولم يكن تصرف المواطن العراقي الذي جاء رمزا معبرا عن الكراهية لبوش بسبب ما ألحق بالعراق من مآسي إنسانية هو الوحيد تجاه بوش ، فقد وصفته دوائر أوروبية - كانت تحسب سابقا على معسكره - بأنه "جرب" أصاب البيت الأبيض، فبات الجميع يحاولون الابتعاد عنه والنجاة بأنفسهم، والسبب بالطبع هو المحصلة الكارثية للرجل الذي سكن البيت الأبيض طوال ثماني سنوات .

وطبيعي ألا تقتصر مشاعر الرفض والكراهية لبوش وسياساته المدمرة على الأصعدة الإقليمية والدولية والجانب الأمريكي وحده، بل شمل ذلك المعسكر الأوروبي الغربي الذي طالما دار في فلكه لسنوات معصب العينين، والتي كان آخرها إعلان مارتن شولتز رئيس المجموعة الاشتراكية في البرلمان الأوروبي خلال جلسة للبرلمان وعلى مسمع ومرأى من الرئيس الفرنسي وباقي زعماء أوروبا - أن الرئيس الأمريكي جورج بوش " أسوأ رئيس للولايات المتحدة الأمريكية "، محذرا من الانقياد الأعمى وراء سياسته التي كانت وبالا على العالم.

ويدرك الأمريكيون أنفسهم قبل غيرهم حجم الفشل الخارجي الذي جره بوش على الولايات المتحدة من سوء استغلال للسلطة والإنفاق على الحرب في العراق وتنامي ديون الحكومة والإرث الثقيل الذي تركه إلى الرئيس المنتخب باراك أوباما .

ومثلما ستتذكر شعوب فلسطين والعراق وأفغانستان والشرق الأوسط ومناطق بآسيا وأمريكا اللاتينية، لبوش أنه كان سببا في فقرها وتدميرها وظلمها وعدم استقرارها وتبديد ثرواتها وزرع الفرقة والانقسام بها خلال السنوات الثماني العجاف من حكمه لأمريكا من خلال تدخلاته السافرة بإشعال الحروب تارة وبإنابة من يشعلها نيابة عنه تارة أخرى بذريعة محاربة الإرهاب ودعاوى نشر الديمقراطية، فان الشعب الأمريكي سيذكر لبوش مقتل ما يزيد على ثلاثة آلاف جندي أمريكي

من بين القوات الأمريكية العاملة في العراق وأفغانستان من جراء حربه المزعومة على الإرهاب، بما يتجاوز عدد قتلى هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، التي أصابت بوش بمزاج موتور انعكس على قراراته وسياساته حيال الآخرين ليزج ببلاده في مستنقع تلو الآخر، متوهما أنه يحقق بذلك الريادة والقيادة لأمريكا على العالم.

وبزيارته للعراق هذه الأيام في الوقت الذي يستعد فيه إلى إخلاء البيت الأبيض لساكنه الجديد باراك أوباما ، أثبت بوش أنه لا يزال غير مدرك للحقيقة المرة في أن أمريكا وحدها لا تستطيع أن تقود العالم وفق منطق الاستعلاء والكبرياء على الآخرين، بل لا يمكنها حتى أن تواجه مشاكلها الذاتية بمفردها.

لقد توقع البعض بعد توحل الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان بداية لإرهاصات انهيار تلك الإمبراطورية، وان كان من باب التمني الذي يراود المواطن العربي الذي يشعر بالغبن والظلم والعجز أمام سطوة أمريكا بوش وجبروتها وهيمنتها على الثروات وصنع القرار في وطنه الكبير .

إن ما فعله المواطن العراقي في وجه الرئيس الأمريكي خلال المؤتمر الصحفي قد أشاع – رغم رمزيته – قدرا كبيرا من الارتياح لدى السواد الأعظم من شعوب الشرق الأوسط ودول العالم الثالث خاصة أولئك الذين تجرعوا مرارة الغزو الأمريكي للعراق والتجاوزات غير الأخلاقية للجنود الأمريكيين في سجن أبو غريب وممارسات المرتزقة من جنود شركات الأمن الخاصة التي توظفها البنتاجون مثل " بلاك ووتر " والتي أزهقت أرواح المئات من المدنيين العراقيين .

كما أشاع مناخ الارتياح لدى أبناء الشعب الفلسطيني الذين كابدوا طوال ثماني سنوات ازدواجية المعايير لإدارة جورج بوش في التعامل مع النزاع الفلسطيني الإسرائيلي ، وغض الطرف عن ممارسات التجويع والحصار والهدم والقتل من جانب قوات الاحتلال الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة .

فليكن هذا التصرف رغم رمزيته إنذارا للرئيس المنتخب باراك أوباما ولكل

القوى المستبدة الظالمة للشعوب من أن هناك من أساليب الإهانة ما قد يتفوق تأثيره المعنوي التأثير الذي يحدثه السلاح النووي عندما يصل الأمر إلى الكبت والظلم.

فهل يعي أوباما الدرس !!

خوارج الشيخ القرضاوى

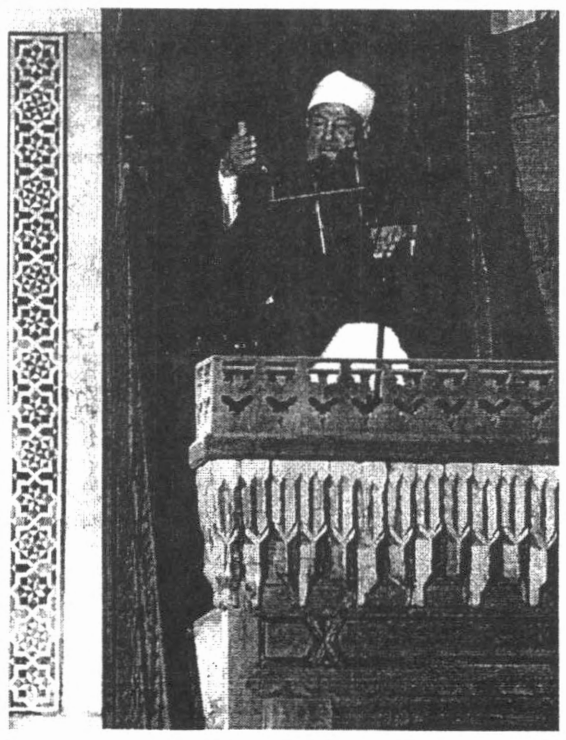
هالنى ما شاهدته من حديث للرجل الطاعن فى السن الشيخ السياسى يوسف القرضاوى على شاشة "جزيرة" دويلة قطر فى حلقة عنوانها الخوارج من برنامج الشريعة والقانون.

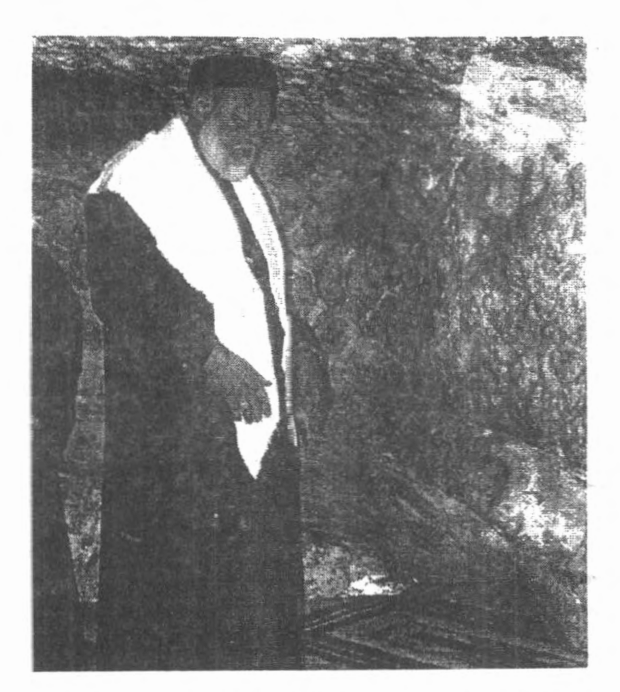
فقد راح الرجل "الكبير" يصب جم غضبه وهجومه على مصر وعلمائها وجيشها وقادتها العسكريين الوطنيين على نحو اتسم بمشاعر السخط والكراهية لمصر والمصريين فى عهد ما بعد الإطاحة بالرئيس محمد مرسى بثورة شعبية حاشدة فى الثلاثين من يونيو ٢٠١٣ فاقت فى شعبيتها وحشودها ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ .

راح الشيخ القرضاوى يصف الفريق أول عبد الفتاح السيسى وزير الدفاع والإنتاج الحربى وزملائه فى القوات المسلحة والقوى الشعبية والتيارات السياسية الحرة الأخرى وذوى التوجهات الوطنية والدينية الوسطية أمثال الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر والدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية والذين أنقذوا مصر من خراب ودمار وجهل دعوى سياسى ارتدى على نحو مزيف ثوب الدين والدين منهم براء ، وحالوا بين مؤامرات ومحاولات ومساعى تدمير مصر وحرقها وإسقاط الدولة بها ، وصفهم بـ "الخوارج " !!! أى والله .

ليلوح دون وجه حق بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (المائدة ٣٣) .









فبدلا من أن يوجه تفسير الآية الكريمة إلى تلك الجماعة المحظورة وأنصارها والمتحالفين معها فى الداخل والخارج الذين أحرقوا وهدموا وعطلوا العمل وقطعوا الطرق وأطلقوا النيران وروعوا الآمنين والمسالمين وأشعلوا نار الفتنة بحرق دور العبادة ، راح الرجل يلوي الآية دون حق ويلا موارية ليطلقها على السيسى وزملائه وجيشهم الذى حمى هذه البلاد من السقوط فى هاوية نفق مظلم .

وشن الشيخ المسن هجوما جارحا على زملائه من العلماء المصريين ليحظى المفتى السابق الدكتور على جمعه بالقسط الوافر من حديثه الجارح وكلماته النابية ...

ولم يقتصر هجوم الشيخ على مصر وعلمائها على شاشات الفضائيات المسمومة لاسيما تلك التابعة للدويلة ، بل حمل موقعه الرسمى على الإنترنيت هجمات متتالية لا تتوقف والتى كان أحدثها على شيخ الأزهر الذى اتهمه باغتصاب السلطة والاعتداء على الشرعية المتمثلة فى الرئيس المعزول قائلا : " أنسيت أن الشرعية مع أنصار الرئيس مرسى الذين يدافعون عنها ، ويتمسكون بها ، إنهم لا يغتصبون شرعية ، وإنما اغتصبتموها أنتم منهم ، بتهديد السلاح وفوهات المدافع ، بآلة البطش ، وسلاح القمع ....".

فى الوقت الذى ظل الرجل الشيخ يتباكى فيه على جماعة الإخوان اللطيفة السلمية الوديعة حاملة لواء الإسلام دون غيرها ... والتى لم ترفع سلاحا ولم تسفك دما ولم تحرق أرضا ولم تدمر مبنيا ولم تعذب بدنا ولم تقتل نفسا !!!!!

ولا يدرى الشيخ الذى لا يزال يتمسك بدعم فصيله الإخوانى ويتعلق بالأحبال البالية ، أنه قد خسر الرهان على هذه الجماعة التى خاب ظن الجميع فيها داخليا وخارجيا ، مثلما خسرت قطر رهانها على هذه الجماعة ، بل فقدت قطر دورها ونفوذها الإقليمى والدولى والخليجى والعربى منذ ثورة الثلاثين من يونيو ٢٠١٣ ، ولم تعد مليارات دولاراتها تجدى نفعا لاسترجاع حتى البعض من هذه الأدوار التى كانت ترنو إليها .

ولم يكتف الشيخ المسيس الطاعن فى السن بأن وصف جيش مصر بالانقلابيين

كما يحلو لجزيرة الدويلة الخليجية أن تقول وتردد وتهزى على طول الوقت والدوام ، بل راح يدلل دون سند أو حق على أنهم من الخوارج الذين قتلوا واعتقلوا مئات الآلف وأكرر الآلاف من الإخوان السلميين المسالمين ، ولا أعرف من أين جاء بهذه الأرقام ، مستخدما على نحو ملتو أحاديث السنة النبوية المطهرة بما يخدم توجهاته غير الشريفة التى رسمها له مستخدموه للنيل من رموز مصر الوطنيين الذين تصدوا لمخططات العملاء وأفشلوا إسقاط مصر وكذا النيل والتنكيل برموز مصر الوطنية على اختلاف ميادينها ومجالاتها .

ومازال الرجل يغرد فى سربه الذى رسمه لنفسه ورسمه له الآخرون من ذوى النوايا غير الطيبة تجاه مصر ولغير صالح المسلمين ليصبح بهذه الرؤى ضيفا دائما بالمحافل والتجمعات والمؤتمرات التى تتحدث عن الشأن المصرى على نحو مغرض وقاسما مشتركا فى كل المنتديات التى تمولها دويلة الخليج وتغطيها إعلاميا آلتها الإعلامية على طريقة الصغار "خالف تعرف". وأتساءل . ؟؟؟؟؟

أحقا . يعى الشيخ المسن ما يقوله ويردده ؟؟؟ وهل من الإسلام أن يسلط المسلم العادى وليس العالم لسانه على خصومه ومن يختلف معهم ؟؟؟؟ ألم يتعلم الشيخ المسن الذى يلقب بالعلامة ما كان يفعله الشافعى و الحنفى و الحنبلى و المالكى رضى الله عنهم أجمعين عندما كان يختلف أحدهم مع الآخر ، فيقول " رأيى خطأ يحتمل الصواب ورأيه صحيح يحتمل الخطأ" ؟؟؟ ألم يسمع الشيخ من قبل قول الحبيب المصطفى ﷺ " المسلم من سلم الناس من لسانه ويده " ..

أغلب الظن أن الرجل المسن لا يعى أو يفطن لما يفعله مستخدموه به . وإنى والله مشفق عليه ولن أقول ما قاله عنه أحد علماء الأزهر على التلفزيون منتقدا ما يفعله فى هذه السن : " ومن نعمره ننكسه فى الخلق .." بل فقط أذكره وأحذره – وهو أكثر منى علما وفقها وشرعا – من قول الله تعالى " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون " ..

لقد دفع الشيخ بممارساته المغلوطة وانتقاداته المستمرة لمصر وعلمائها وشيوخها، إلى استفزاز الكثيرين من علماء مصر للرد على مزاعمه وتطاوله على نحو

لا يقره الدين الحنيف ، كان من بينهم الدكتور أحمد عمر هاشم عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف الذى دعا القرضاوى إلى العدول عن مواقفه المناهضة لمصر وشيخ الأزهر والتوقف عن الهجوم المستمر على علماء ورجال الدين المصريين . وقال الدكتور عمر هاشم " أدعو القرضاوى إلى التوقف عن هجومه على مصر وعلمائها لأن لحوم العلماء مسمومة ، وليعلم أنه محاسب أمام الله تعالى " .

لقد عرض الشيخ نفسه وتاريخه الطويل الطاعن لخطر سهام القاصى والدانى والعالم والبسيط بل باع الغالى بالرخيص زهاء حفنة من الريالات التى لن تغنى عنه من الله شيئا . ونعوذ بالله من سوء الخاتمة .

المنهج التعبدى للطريقة الصوفية الخليلية(١-٣)

يحتفل أتباع الطريقة الخليلية الصوفية بالزقازيق بقيادة العارف بالله الشيخ صالح أبو خليل يوم ٢٧ يونيو بذكرى تأسيس هذه الطريقة على يد جده الشيخ الحاج محمد أبو خليل الكبير . وسأتناول بهذه المناسبة ضمن سلسلة من المقالات الموجزة منهج وأسلوب أشياخ هذه الطريقة الصوفية التى تتسع رقعتها وأتباعها داخل مصر وخارجها ..

النشأة والتاريخ :

في العقد قبل الأخير من القرن التاسع عشر ظهر عارف بالله هو الحاج محمد أبو خليل رضى الله عنه ، وبالرغم من أنه كان أميا ، إلا انه كان يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، فلم يتلق علما في جامعة أو مدرسة أو معهد ، ومع ذلك كان رضى الله عنه آية من آيات الله تعالى في ذاك العصر . فكان الله يفيض عليه في جميع العلوم الدينية والعلوم المتصلة بالإنسان والكون والحياة . بل كان يتحدث في الكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والعلوم الاجتماعية والكونية كمتخصص بارع ، وكان يكشف للمتخصصين في هذه العلوم ما يستشكل عليهم فيها ، ناهيك عن علوم التفسير والحديث والتوحيد والفقه والأحكام والأدب والتاريخ والفلسفة .

التطور :

وبالرغم من أن الشيخ الحاج محمد أبو خليل مؤسس المدرسة الخليلية ، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب الا أن احدا لم يلحظ عليه شيئا من الأمية ، بل كان مع العلماء عالما ، وللجهال معلما . ينتسب رضى الله عنه الى سيد الشهداء الإمام الحسين سبط رسول الله ﷺ. كما تنتمى والدته إلى أشراف عرب بنى سليم بسنورس بالفيوم التى تنتسب إلى مولانا سيدنا الحسن سبط رسول الله ﷺ . ومن هذا النسب الطاهر ولد شيخنا الحاج محمد ابو خليل فى قرية القضابة بشمال الدلتا حيث قدر لوالده ان يرحل من شبرا بجوار القاهرة إلى هذه القرية الواقعة على فرع رشيد ثم لم يمض طويلا حتى



انتقل الى مدينة الزقازيق حيث استوطن أحد احيائها (كفر النحال) المقر الحالى للمدرسة الخليلية وموطن العارف بالله الشيخ صالح أبو خليل وارث البيت المحمدى .

كانت طفولة الحاج محمد أبو خليل مؤسس الطريق الخليلى تبشر من البداية بكل الخير ، هدوء عجيب ملفت للأنظار وانصراف عن لهو الصبية وعبثهم ، وخلق كريم منحة من الله االوهاب . طفل يصلى ويصوم فى السابعة من عمره . متعلق بالمصطفى ﷺ فى حب عميق حتى اشتهر بين القوم بهذه اللمحة . وشوهد الحاج محمد ابو خليل رضى الله عنه نفسه على أول الطريق يلوذ باهل الطريق فيما لايخرج عن روح الشرع فسار فى موكبهم على درب الوصول ، مهتديا بالقرآن وسنة الرسول ﷺ وآثار الصحابة والتابعين . لينضم هذا الشاب الى الشيخ الشناوى يوسف أحد شيوخ الطريقة البيومية .

ثم اختاره الشيخ نقيبا للحضرة يطوف على اخوانه محييا ومشجعا فكانت لمدة ثلاث سنوات أخرى ، ثم تولى نيابة الطريق وامامة الحضرة ثلاثة سنوات أخرى ، انخرط بها فى المجلس ليصل الى مرحلة التخرج ، فقد قيدته الخلوة بنفسه وحب التفرغ للعبادة والذكر حتى رغب عن الناس وشغل عن لقاء اخوانه ، ليختلى الشاب محمد أبو خليل بنفسه فى خلوة (الخلوة الصغرى) ظهرت آثارها عليه حتى أدرك الشيخ الشناوى أن المنازل تساوت وأن التلميذ محمد أبو خليل وصل الى مرتبة الشيخ فهنأه قائلا : هنيت بما أعطيت .

وانتقل الشيخ محمد أبو خليل من منزله الى مكان بعيد عن الناس يطوى جسمه فى حيز صغير ويطلق روحه فى عالم كبير (الخلوة الكبرى) - دامت خمس سنوات . ثم وجد نفسه ينطلق من منزله بلا زاد ولا رفيق الى مقبرة "كفر النحال" ليعيش بين قبورها لسنوت أخرى بعيدا عن معالم المادية .

لينطلق الشيخ بعد ذلك فى سياحة لسنوات أخرى خارج مصر أخذته إلى مكة فى جوار البيت الحرام ليعود بعد هذه السياحة إلى دنيا الناس ولتتأسس المدرسة الخليلية لتربى الناس وتصوغهم إلى رحاب الدين والعبادة الحقة ، إلى ساحة القدس

مسبحين ذاكرين ، فكم من مفكر أقر ، وكم من مارق عاد وانقاد ، وكم من مشكك أيقن ، وكم من متكبر تطامن .تلك المدرسة الخليلية .

وهكذا كانت نشأة المدرسة الصوفية الخليلية في مدينة الزقازيق بمصر ، ومثلما كانت أحوال وكرامات الشيخ الحاج محمد أبو خليل ، كانت كرامات الشيخ أحمد الشافعي محمد محمد أبو خليل رضى الله عنه الذي حمل راية الهداية إلى طريق الله في هذه المدرسة بعد محمد محمد أبو خليل ابن الشيخ الحاج محمد أبو خليل مؤسس الطريق.(إلى الحلقة القادمة))

المنهج التعبدى للطريقة الصوفية الخليلية (٢-٣)

١ - ذكر ، استغفار ، صلاة على الرسول ٢ - لا مجاذيب ولا دروشة ولا هلاهيل وملابس بالية !!

والمنهج التعبدى للطريق الخليلى يتمثل فى الذكر والاستغفار والصلاة على الرسول ﷺ وذلك بالأسماء والصيغ التى وردت بورد الاستغفار الخاص بالطريقة وعددها ١٣ اسما من أسماء الله الحسنى بوصف ذلك هو الطريق القويم لمن أراد القرب فى الدارين ، بل هو سعى المؤمن لحياة روحية ، بل هو سر العمل الحقيقى ، وقد حث الله سبحانه وتعالى وأمر به فى جميع الكتب ، فما وصل نبى ولا تقرب ولى إلا به .

كما يتضمن المنهج التعبدى للطريقة الاستغفار لله سبحانه والذى يعطى رضاه ويعطى صفو تقواه ، والمستغفر يحظى بحسن مغفرة الله ، وعفوه سبحانه وتعالى ، ويمسح الزلات ، ويبدل الله به أوقات الذنوب بأوقات التجلى .

ثم تأتى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لتكمل المنهج التعبدى للطريق الخليلى ، لأنها تعطى محبته ، التى تمنحنا عطايا حبيبنا الذى يسمعنا عند الصلاة عليه ، ويسأل الله للعاصين منا المغفرة من الكريم الذى جلت عطاياه ، فمن أحب رسول الله كان له الحب من الله ، فالصلاة عليه وجبت علينا ليرضى عنا مولانا سبحانه وتعالى .

ويؤمن أشياخ الطريق الخليلى بأن المعرفة المذاقية الوجدانية التى تعمر الصدور أهم بكثير مما يكتب فى الأوراق والسطور ، فالشيخ فى منهجه هو مربى بالحال قبل أن يربى بالمقال ، فهو لا يلقى الخطب والمواعظ و لا يعتلى االمنابر ليخاطب العقول ولكنه كما يقول الشيخ صالح عن نفسه : نحن نخاطب القلوب قبل أن نخاطب العقول . ومن اللطائف حين داعبه االشيخ متولى الشعراوى رضى الله عنه وأرضاه (وكان معتادا على زيارته فى الزقازيق) فقال له أنا قررت أعمل طريقة وأسميها الطريقة



الشعراوية ، فتبسم الشيخ صالح قائلا : يا شيخ محمد أنتم تخاطبون العقول أما نحن فنخاطب القلوب .

وعن الشيخ المربى فإن من شروط الشيخ المربى أن يربيه الحق من صغره ، فتراه فى الطفولة معتزلا عن الصبيان ، وكأنه فى الصبا شيخ ينبو عن الرذائل ، ويفزع من النقائص ، ثم لا تزال شجرة همته تعلو حتى يرى ثمرها متهدلا على أغصان الشباب ، فهو حريص على العلم منكب على العمل .

إن النظرية الخليلية – مثلها مثل الشاذلية – في الغنى والفقر تفضل الغنى الشاكر عن الفقير الصابر ، وتعلل ذلك بأن الصبر فضيلة في الدنيا فقط ، أما الشكر فانه فضيلة في الدنيا والآخرة .

ويتأكد هذا المعنى من القول بأن هذا الطريق ليس بالرهبانية و لا بأكل الشعير والنخالة ، ولا بقبقة الصناعة ، وإنما هو بالصبر على الأوامر ، واليقين في الهداية .

ويقول تعالى : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون " (الأعراف – ٣٢) . ونحن نرى الصورة الحسنة التى عليها الآن أشياخ الطريقة الخليلية خاصة الشيخ صالح أحمد الشافعي محمد محمد أبو خليل ، الذين تربينا في الطريق على أيديهم وأمدونا بمدد الله ورسوله ﷺ. ولما لا وهم ورثة سيد الأنام ورسول الرحمن ، وزهرة الأكوان ، وشفيعنا لدى الحنان المنان الرحمن .

ونلحظ على نحو لا تخطئه العين أن المدرسة الصوفية الخليلية – على غير ما تبدو عليه مدارس صوفية أخرى – تخلو من المجاذيب وممارسات الدروشة الشكلية ، وذوى "الشخاليل" و"الهلاهيل" وحاملى الأجراس ، وكافة أنواع الممارسات البهلوانية التى تعج بها بعض الطرق الصوفية الأخرى ، وصيحات ذوى اللغة السريالية ، بل هى مدرسة أرستقراطية التربية والسلوك والأدب النبوى وذكر الله على بصيرة ، والجوهر دون إغفال المظهر ، والباطن دون نسيان الظاهر ، والتحلى بآداب الذكر ، وحسن المظهر والثياب ، وخفض الصوت فى وجود الشيخ .

المجذوب فيها أشد جذبا لأنه مستور باطنى الوضع ، لا يظهر فى حركات بهلوانية تعكر الصفو وتلفت الأنظار ، وتصرف الملائكة الحاضرة للمجلس . المجذوب فيها يظهر الجذب عليه من نظراته المتأدبة التى ترنوا الى أسفل ، وفى تنهيدة بسيطه يلحظها جالسه دون هوس أو صيحات .

(إلى الحلقة القادمة)

المنهج التعبدى .كرامات الشيخ (٣-٣)

قد يكون الحديث عن الكرامات مثارا للإنكار من البعض ، إلا أن من يعرف الحب الإلهى ، يدرك أن من ينعم به تطوى أمامه معالم المادة . فلا إنكار على من يبصر بنور الله ويمشى بقوة القادر الخالق ويبطش بقدرة الله ، وسوف أنقل عينة رمزية بسيطة للغاية من كرامات الشيخ المؤسس للطريقة الخليلية للدلالة فقط .

١- مع العلماء :

كان الشيخ الحاج محمد أبو خليل مربيا روحيا لعلماء عصره ، فهو العالم الربانى محب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الغر الميامين ، وبالرغم من أنه كان أميا أبجديا لا يقرأ ولا يكتب كما ذكرنا آنفا ، إلا انه قد التفت حوله كوكبة كبيرة من كبار العلماء فى عصره على مختلف نوعياتهم ومناصبهم وكانت له وقائع أحوال مع الكثير منهم ، ويكفى أن نذكر آية واحدة من كراماته وهى هداية المئات على يديه .

- من ذلك ما وقع مع فضيلة الشيخ أبو الفضل الجيزاوى : أن الشيخ ابو الفضل الجيزاوى شيخ الأزهر حضر لزيارة الشيخ فى الإسكندرية فتلقاه الشيخ بترحاب عظيم قائلا : أهلا يا شيخ الإسلام . فقال الإخوان : شيخ معهد الإسكندرية يا عم حيث لم يكن وقتها شيخا للأزهر . فرد عليهم سيدنا الشيخ: بل شيخ الإسلام إنشاء الله تعالى . فهنأه الحضور على هذه البشرى العظيمة . ومكث فى حضرة الشيخ مدة حضر أثناءها "على بطاطا" أحد التابعين من طنطا ، فأمره الشيخ بكتابة طالع لفضيلة أبو الفضل الجيزاوى ، فبشره بمشيخة الأزهر ، وحدد لذلك أياما قليلة كانت شهرين ، فكان ذلك بيانا للبشرى ، وعند انصراف فضيلته قال له سيدنا الشيخ : اتوصى بى بعد وفاتى يا شيخ أبو الفضل . فتعجب الشيخ أبو الفضل . وقال ما تأويل ذلك يا عم؟؟ فقال له الشيخ : ستعلم تأويله بعد حين . وفى الميعاد المحدد بالطالع نال الشيخ الجيزاوى مشيخة الأزهر بعد وفاة فضيلة الشيخ البشرى .

أما تأويل الوصية :

فعند وفاة شيخنا الحاج محمد أبو خليل ، فانه قد تم دفنه فى مكانه الحالى قبل استحضار موافقة وزارة الصحة والتى اشترطت فى تثبيت الشيخ بمكانه اما أن يكون عالما ، أو فاعلا لخيرات كثيرة موقوف لها فيستحق ذلك التكريم ، الأمر الذى يستلزم صدور شهادة من الأزهر ، بأن سيدنا الشيخ من العلماء ، وعلم بذلك فضيلة الشيخ أبو الفضل الجيزاوى فجمع بعض رجال هيئة كبار العلماء وسألهم رأيهم فى سيدنا الشيخ . فأجمعوا على أنه كان عالما راسخا فى العلم ، عارفا بربه ، ووليا لله داعيا له ، قال لهم : أتشهدون بذلك كتابة ؟؟ قالوا : نعم . قال : وأنا أصدق على شهادتكم إجابة لرغبته فى حياته . وأخبرهم بما كان من بشراه بالمشيخة وقول سيدنا له " اتوصى بى بعد وفاتى " .

فى مجال الكشف العام أراد أحد التابعين فى الطريقة ويدعى محمد ذكى أن يلتقط صورة فوتوغرافية خلسة للشيخ – الذى لا يسمح لأحد بتصويره – عند زيارة الشيخ لمنزله ، ولكن لم يظهر بالصورة سوى ملابسه ، فاستعان بمن له دلال على سيدنا الشيخ أن يوافق على التقاط صورة فوق السطح ، والتقط جملة صور احتياطيا ، ولكن للأسف الشديد لم تظهر سوى ملابسه بكل الصور .

وعندما أعلمنا الشيخ بذلك ، طلبها للرؤية ، ثم قال عند رؤيتها : سبحان الله وبحمده . ألم أقل لكم أنه لا تظهر صورتى .؟ وصار يمزح قائلا : يا خسارة تعبك يا ذكى .

فى مجال شفاء المرضى :

– من ذلك ما وقع مع أحد الأقباط :

نقل عن الشيخ محمد ظافر من الزقازيق قوله : أن شقيق عبد الملاك الصائغ قد مرض ، وكان يشعر بآلام شديدة فى ساقه انتهت إلى حالة تشبه الشلل ، وعجز عن علاجه الأطباء ، حتى صار ميؤوسا من شفائه ، فأشار عليه البعض أن يذهب بأخيه إلى سيدنا الشيخ ليدعو له فيبرأ مما هو فيه ، فتوجه إلى السيد المرصفى ، العالم والأديب

الكبير، ورجاه فى التوجه معه إلى الشيخ، لعلمه بقبول رجائه عنده وحب الشيخ له، فوافق، وصاحبهما إلى منزل الشيخ، وعرض حالته عليه.

فقال سيدنا: مدوه. وضربه على قدمه. ثم قال: قم بإذن الله تعالى فقام. وكأنه لم يكن به شيء سوى الضعف الطبيعى بسبب طول فترة المرض. فكان ذلك أول أسباب هداية الكثير من الأقباط لقضاء الشيخ مصالحهم وعدم التفرقة فى المعاملة بينهم وبين المسلمين.

وقد كان الشيخ يقول إذا حضر مسيحى عنده: سبحان مفرق الأديان. ويلاطف القادم إليه منهم بقوله: وأنت عاوز إيه يا قبطى؟؟ ويبتسم له ويهدئ من روعه ويقضى له مصلحته ولو كلفه ذلك مشقة.

وقد كان الأقباط يحكمونه فى منازعاتهم فيقضى بينهم وينهى خصومتهم ويصلح البعض على الآخر عند وجود خلاف بينهم.

سلطان الشيخ على الجن:

- من ذلك ما حدث للأخ محمد زكى أنه كما يذكر الله تعالى فآتاه مجموعة من الجن ظاهرة غير خافية وسلموا عليه بسلام الإسلام، وجلسوا فى مقابلته وقالوا له: نريد أخذ العهد الخليلى منك. فقال لهم: حتى أستاذن شيخى. فقالوا: وهو كذلك. وانصرفوا حتى يعودوا بعد زيارته الشيخ. وعند وجوده عند الشيخ أخبره بذلك فقال له: لا بأس، فهناك الكثيرون ممن أخذوا العهد عنا. وعند رجوعه ووجوده لمكانه الذى كان فيه، أتاه هؤلاء الجن قائلين له: الآن وقد أخذت الإذن وجب علينا تلقينا العهد فتم ذلك. وصار يتوالى عليه أمثالهم لذلك الغرض فيتم لهم ذلك.

عار على حكومة قنديل ودولة مرسى

عندما أقرأ أن الضباط الثلاثة وأمين الشرطة المصريين المخطوفين منذ اكثر من عام لا يزالون محتجزين فى داخل غزة ، وقبلها مصيبة قتل ستة عشر من جنودنا بدم بارد على الحدود مع رفح ، ماتوا ولقيمات إفطار رمضان فى أفواههم لم يكتمل مضغها بعد ، وقد انغمست بدمائهم الشريفة ، ناهيك عن خراب بيوتنا بسبب تجارة الأنفاق التى تسحب السلع المدعمة فى الوقت الذى يتضور الآلاف من سكان أحيائنا الفقيرة والمئات من سكان القرى ، جوعا ، تنتابنى حالة من المرارة والحزن الشديد على ما آل إليه حال مصر فى ظل هذه الحكومة الحالية .

مسافة قدرها نحو ١٤ كيلو مترا على الحدود مع من أناس كونهم أنهم أشقاؤنا الفلسطينيين وقد تم " تخريمها " بأنفاق يصل عددها إلى نحو ألف ومائتين ، تتنوع بين أنفاق لتهريب الأشخاص من كل جنسية ، وأخرى لتهريب السيارات المسروقة من شوارع وأحياء القاهرة ومحافظات مصر ، وأخرى لتهريب مواد البناء والحديد والأسمنت ، وأخرى لتهريب السلع الغذائية المدعمة والمفروض أنها مخصصة لإطعام فقراء مصر غير القادرين ، وأخرى لتهريب الوقود وبيارات البنزين التى تشفط من خلال أنابيب السولار والبنزين المدعم والمهرب رأسا إلى الحمساويين وأباطرة الحرب فى صفوف حماس .

تحدث تجارة الأنفاق أو إن شئت القول خراب الأنفاق وسرقة مقدرات مصر وقوت سكانها على مسمع ومرأى من حكومة قنديل وأباطرة الرئاسة وقادة الإخوان المتأسلمين وبأوامر منهم الذين لم يكتفوا فقط بتمكين أنفسهم من الحكم على عرش البلاد بل راحوا يمكنون أباطرة الإرهاب فى حماس والمنتمين لها من الجماعات الجهادية والقسامية والتكفيرية وغيرهم من قوت مصر والمصريين .



حتى أن محطات البنزين فى غزة شملت علانية ودون موارية وجود طرمبات تضخ بنزينا مصريا مهربا يباع بثمن رخيص بجوار البنزين الإسرائيلى الذى يباع بضعف السعر وبالتالى زاد الطلب على سرقة البنزين والسولار المصرى لتمتلىء خزانات سيارات ليس الفلسطينيين وحدهم بل حتى الإسرائيليين والمتعاملين معهم ببنزين وسولار المصريين .

ووجدناهم يعيشون فى رغد العيش المصرى والوقود المصرى وينعمون بوفرة فيه فى وقت يقتتل فيه المصريون ويصطفون بالساعات أمام البنزين والسولار بمحطات الوقود فى أنحاء مصر بسبب أزمات نقص الوقود التى عانينا منها كثيرا لتسد السيارات بمختلف أنواعها الشوارع المؤدية لمحطات الوقود طلبا لبضعة لترات، فى وقت ينعم فيه الحمساويون وجيرانهم بذلك .

بلغت المهانة فى ظل حكومة قنديل ومرسى ، أن يتخذ رئيس حكومة حماس المقالة هنية ومهندسها خالد مشعل من شوارع القاهرة نزهة يترددون عليها فى حرية تامة بين الحين والآخر ، بل الأدهى أن يعتلى هنية منابر أكبر وأقدم المساجد فى مصر ليخطب فى أيام الجمعة لاسيما الأزهر الشريف ومسجد عمرو بن العاص أقدم مساجد مصر . أليس هذا هوانا .

وما كان لهذا الهوان على مصر ليحدث ، لولا ممارسات نظام الرئيس مرسى الذى رفض بكل السبل هدم الأنفاق ، وعدم تدخل الجيش لمعاقبة قتلة أولادنا على أيدى شرزمة من القتلة والتكفيريين الذين استباحوا أرض الفيروز سيناء واستباحوا أرض مصر بل استباحوا دماء أولادنا بتسهيل من حماس والجماعات المنضوية تحت لوائها ، ولم تكتف الرئاسة بذلك ، بل صاحب ذلك إصدار أوامر رئاسية بالعفو عن العديد من عناصر الإرهاب والمتطرفين غير مكترث بإدانتهم على أيدى المحاكم وكأنه يرد لهم جميلا أو ينفذ معهم تخطيطا سريا متفقا عليه .

مثلما تعبث عناصر حماس بكل حقد وضغينة بأمن مصر فإن عناصر فتح ومجرميها ليسوا أقل منهم سوءا على أمن مصر وشعبها الذى ضحى بدماء الملايين من شبابه على مدى عقود من أجل قضيتهم فى أوقات تعرضوا هم فيه للقتل والذبح على أيدى جيرانهم الآخرين من العرب قبل الإسرائيليين .

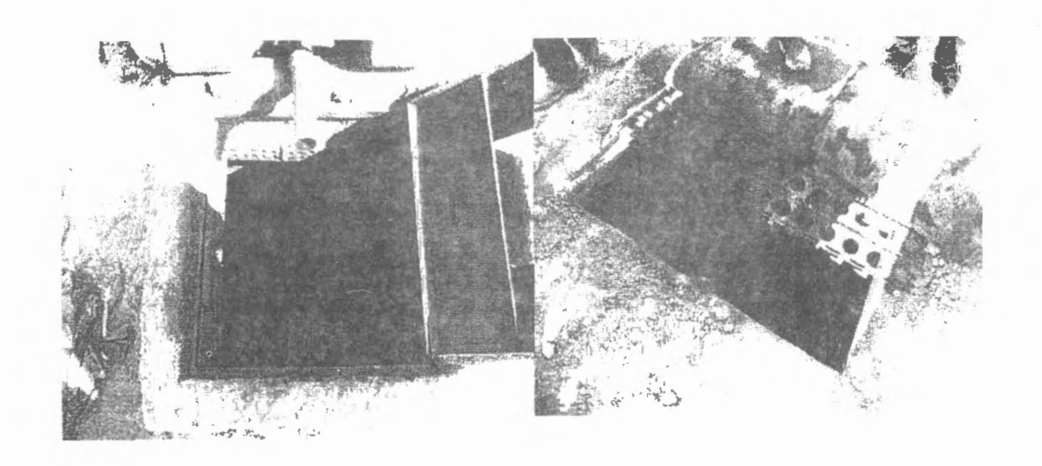


فقد أفادت التقارير المتواترة أن أجهزة الأمن تمكنت مؤخرا من ضبط فلسطينى عند مبنى أمن الدولة القديم فى العريش عقب عمليات التمشيط التى أعقبت الهجوم على مبنى قسم ثان العريش، يبلغ من العمر ٣٠ عاما ويحوزته موبايل عليه صور أسلحة بكميات كبيرة. وقالت المصادر أن المتهم ينتمى لحركة "فتح" وأنه من رجال الفلسطينى "محمد دحلان" ذائع الصيت بهدف خلق توتر فى سيناء، وبذلك يتحقق ل "فتح" توريط غريمتها "حماس" مع مصر وكله على حساب الأمن القومى المصرى.

عجبا !!! أنهما حتى يتنافسان ويتخاصمان ويتصارعان على حساب دماء وأشلاء المصريين. ففى الوقت الذى تسعى فيه مصر للمصالحة بينهما، وتفرد لهم ذراعيها وجناحيها كل يوم لاستقبال مسؤوليهم الذين تفتح لهم صالات كبار الزوار فى المطار والقصور الرئاسية.!!، فإنهم لا يتورعون عن طعنها من الخلف. فلا تكتفى حماس بخراب الأنفاق الحمساوية، كما لم تتردد فتح والمنتمين لها - دون حمرة وجه - عن إرسال عناصرها الإرهابية للتخريب فى مصر !! لكى الله يا مصر يا من هنت على أولادك فهنت على من دونهم !!!

هل هانت علينا مصر إلى هذه الدرجة ليفعل بنا هؤلاء من القتلة والإرهابيين والتكفيريين الذين تتخضب أيديهم بدماء أولادنا، ألا يعلم أباطرة حماس أين يحتجز أولادنا فى غزة، فى وقت نفتح لهم أبواب القاهرة ومنابر مساجدنا، أغلب الظن يا سادة، لقد هانت مصر على نظامنا الحاكم وحكومتنا الصغيرة فتعرضت بالتالى للإهانة من كل من هب ودب ...

أيها الفريق السيسى. لتضرب بيد من حديد على كل من استباح أرض مصر وقتل غدرا أولادها، وسرق أقوات وغذاء أبناءها، ولتهدم الأنفاق التى حفروها، وأبيار الوقود التى شيدوها. وإياك وما فعله سابقوك من المجلس العسكرى السابق الذين وقعوا ضحية مؤامرات مؤسسة الرئاسة والحكومة. والله إن فعلت ذلك فقط، فسيسطرها لك التاريخ بأحرف من نور.





الصوفى والزاهد والعابد

يخلط الكثيرون من الناس بين الصوفى والعابد والزاهد ، فإذا ما رأوا أو سمعوا عن شخص كثير العبادة قالوا عنه أنه صوفى ، ولاشك أن الصوفى كثير العبادة ، ولكنك قد تجد أشخاصا كثيرين يقيمون الصلوات المفروضة ويكثرون النوافل ويداومون على العبادة ، ولا يكون معنى ذلك أنهم من الصوفية .

وقد حاول ابن سينا أن يفرق بين الصوفى والزاهد والعابد وبين أهداف كل منهم فى كتابه الإشارات . فقال أن المعرض عن متاع الدنيا وملذاتها وطيباتها يخص الزاهد ، فى حين أن المواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يخص العابد ، غير أن المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت ، مستديما لشروق نور الحق فى سره يخص العارف عند ابن سينا وهو الصوفى .

ويتحدث ابن سينا كما يتحدث غيره أن الزاهد قد يكون عابدا ، والعابد قد يكون زاهدا ، فيمتزج الزهد والعبادة فى شخص واحد ، ولا يكون بعبادته وزهده معا صوفيا ، ولكن الصوفى لا محالة زاهدا عابدا .

غير أن هناك تفرقة بين زهد الصوفى وعبادته ، وبين زهد غير الصوفى وعبادته وهذه التفرقة إنما بين هى فى الهدف ، وأكثر منها فى الإسلوب والمنهج . ومثلما قالت السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها أن زهد غير الصوفى إنما هدفه الإستمتاع بالآخرة فهو نوع من المعاملة "يشترى متاع الدنيا بمتاع الآخرة" .

أما الصوفى يزهد فى الدنيا لأنه يتنزه عن أن يشغله شيئا عن الله ، وعبادة غير الصوفى هدفها دخول الجنة ، كأن يعمل فى الدنيا مقابل أجر يأخذه فى الآخرة فهو كالأجير الذى يعمل بالنهار مقابل أجر يأخذه فى آخره ، أما عبادة الصوفى ، فإنها استدامة لصلته بالله تعالى ، فهو يعبد الله لأنه مستحق للعبادة لا لرغبة أو رهبة . لا أعبد الله ليس طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره وإنما لوجهه الكريم .فالتصوف ليس

خلقا فحسب ولا زهدا فقط ولا عبادة فقط ، غير أنه وإن كان متضمنا الخلق الكريم والزاهد الرفيع والعبادة المتجردة فهو شيء آخر . فالصوفي هو الذي صفى الله قلبه من شوائب الأكدار فامتلأ قلبه نورا ومن دخل في عين اللذة بذكر الله .

إن المثل الأعلى للصوفية على بكرة أبيهم إنما هو رسول الله ﷺ وهم يحاولون باستمرار أن ينهجوا نهجه ، وأن يسيروا على منواله ، فهو إمامهم الأسمى في كل ما يأتون وما يدعون وهم يتابعون مهتدين في ذلك بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١) .

فالتصوف ليس عملا علميا ولا بحثا نظريا أنه لا يتعلم بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية ن بل إن ما كتبه كبار مشايخ الصوفية أنفسهم لا يستخدم إلا كحافز مقو للتأمل ، والإنسان لا يصير صوفيًا بمجرد قراءته لكتب الصوفية، على أن ما كتبه كبار الصوفية لا يفهمه إلا من كان أهلا لفهمه ، ولأجل أن يسير الإنسان في طريق التصوف لابد له من استعداد فطري لا يغني عن اجتهاد أو كسب ، وكذا الانتساب إلى سلسلة صحيحة تتمثل فيما يسمى بالبركة ، وأن يحظى بمباركة شيخه في الجهاد الأكبر المتمثل في التأمل الروحي والذكر وفي تركيز الذهن في الملأ الأعلى فيصل موفقا من درجة إلى أخرى حتى يصل إلى أعلى الدرجات وهي حالة تسمو به فيصبح عبدا ربانيا ذلك هو الصوفي الحقيقي ..

يا ساكن البيت الأبيض الأمريكى

أيها الساكن فى البيت الأبيض ، أيها الصانع للقرار فى الكونجرس أو البنتاجون أو الخارجية ، أيها المخطط أو المنفذ داخل جهاز السى أى إيه ، إن مصر لم تعد أبدا دولة تابعة تدور فى فلك المدار الأمريكى المشبع بأدخنة الصهيونية الخانقة ، كما لم تعد مناسبة أبدا لرئيس ضعيف أو جاهل أو تابع أو دمية أو فاسد يراعى أو يخطب ودكم على حساب أبنائها ، ولم يعد المصريون شعبا صامتا صابرا ساكتا على الإهانة أو الترهيب له ولمحيطه العربى والإسلامى أو التدخل فى شئونه أو شئون أشقائه العرب.

إن ما شهدته مصر على مدى اليومين الأخيرين بعد ٣٠ يونيو من تلك الحشود والموجات البشرية وهى تتدفق إلى ميادين وشوارع مصر ، لخير دليل جلى وواضح على عبقرية هذا الشعب .. قد يصبر على العيش . قد يتحمل الأذى . قد يسخر من نفسه .لكنه حينما ينهض فهو كالطوفان لا سبيل للوقوف فى طريقة .

أيها الأوباما الأمريكى فى كل مكان داخل الولايات المتحدة أو طفلك المدلل فى إسرائيل ، إياك وإساءة تقدير صحوة المصريين ، أو التقليل منها أو تصويرها إنقلابا للنيل من جيشها ، فإنها مصرية خالصة صنعت فى مصر ، يتعذر أن تجد لها مثيلا لديكم أو حتى غيركم .

نعلم جيدا ، والله ، أنه لم ولن يسعدك أبدا أن ترى مصر على هذا النحو المشرف كما لن يسعدك أن يكون جيشها على هذا القدر العالى من المسئولية تجاه شعبه ، فإياك أن تقول شيئا ينال من صورة هذا الجيش " خير أجناد الأرض " .ولتكتفى أيها الأوباما بإنفاق فلوس دافعى ضرائبك على ما يهم شعبك المحب للسلام بدلا من الكذب عليه وإنفاق أمواله على خرابَ دولنا وشعوبنا باسم الإرهاب . ولتستيقظ أيها الأوباما من غفوتك فليس اليوم كالبارحة !!!


OPCROM



الأستاذ " تاجر شنطة " بدرجة "زعيم"

لا ينكر أحد أنه بالرغم من إيجابيات ثورة ٢٥ يناير العظيمة وكذا ٣٠ يونيو ، إلا أنها أفرزت الكثير من الأمور السيئة وإن كانت من ميزاتها أنها كشفت سوءات الكثيرين ممن كنا نعدهم من الوطنيين الثوريين الذين يعملون فقط من أجل مصر لا من أجل أنفسهم وأجندات شخصية .

فما هى إلا شهور قليلة حتى سقطت أوراق التوت التى كانت تستر الكثيرين أشباه الرموز والزعامات السياسية ليعرف الشعب سطحية هؤلاء وزيفهم وليتضح له أنهم ليسوا سوى "تجار شنطة" يتخفون وراء الشعارات التى لم تعد تغنى أو تفلح مع الشعب الجديد فى بلادنا .

من بين هؤلاء - وهم كما قلت كثيرون - أبو الفتوح وزملائه ، فهو يتقلب يوما بعد يوم من جانب لآخر ، يهتف يوما من أجل الثورة ويوما ضد الجيش وقواته المسلحة .. ليؤكد هذا الرجل من جديد دون أن يدرى ،أن كل تاريخه ليس سوى لقطة تلفزيونية واحدة تمثلت فى جدله أثناء الجامعة مع الرئيس السادات فى ذلك الوقت .

والحقيقة أن مهنة "تجارة الشنطة" ظلت على مدى العامين الماضيين هى المهنة الأكثر رواجا بين السياسيين والمحامين والأطباء والإعلاميين وحتى المشايخ وغيرهم من مدعى السياسة والكلمنجية الذين أفرزتهم الثورة من كل صوب وحدب بأرض المحروسة .

ليصبح هؤلاء وقود الفضائيات على أنواعها التى تستغل طمعهم فى الجرى وراء الشهرة والمال لتملأ الفترات الزمنية لإرسالها ، والمسألة بسيطة فالمؤهلات المطلوبة أن يكون المتحدث معترض بصوت عالى أوى وتشويح ممزوج بشوية شعارات ومصطلحات تخينة زى الدوميقرطية والديمو من غير طية ، هى دى الخلطة السحرية . ومشى حالك يا صاحبى !!! . تشتهر وتمتلئ شنطتك برزم الفضائيات ، وممكن تاخد بيها وزير أو محافظ !!

التصوف . والسبيل لحماية شبابنا

يتزايد هذه الأيام وعلى نحو مستمر ، ما يتعرض له أولادنا وشبابنا لرياح من المغريات ، ليست موسمية أو غربية فقط ، بل تهب عليه وتحاصره من جميع الاتجاهات في الشارع والمطعم والجامعة والنادي وأمام الفضائيات . رياح مشبعة بكلمات وعبارات ومناظر وفنون هابطة وحفلات ماجنة وفتاوى متطرفة وأفكار غريبة . في وقت يقترن فيه ذلك بأحوال وظروف معيشية سيئة تمتزج بتطلعات غير واقعية تسحق تحت أقدامها الضعفاء من أبنائنا ويئن تحت وطأتها الآباء والأمهات من البسطاء ، وتجعل الدنيا في عيون الجميع حالكة السواد .

وأصبح الخطاب الديني المتشدد من جانب غير المؤهلين من الدعاة ، ينخر في أرواح أولادنا ومعنويات شبابنا ، ويزكى فيهم روح الحقد والكراهية ورفض المجتمع والإحساس بالترهل قبل الأوان والشعور بالشيخوخة المبكرة ، بدلا من تعزيز روح الحب والألفة والعمل والتنوير . فهل يكون التصوف الذي هو جماع الحب والأخلاق والعبادة سبيلا لحماية الشباب ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

فالحب هو أساس الطريق الصوفي ، انطلاقا من أن الحب أساس نشأة الخلق ، حيث يجد المتأمل أن الحب قاسم مشترك في صنعة الله للمخلوقات ، وأساس عملها ووظيفتها في الكون والحكمة من وجودها ، ويتحدث الفيلسوف الأمريكي أريك فروم في كتابه " فن الحب "عن شيوع وعموم قطبية الذكر والأنثى في الكون والطبيعة وليس فقط كما هو واضح في الإنسان والحيوان والنبات فقط ، بل في قطبية الوظيفتين الرئيسيتين التلقي والنفاذ في مختلف الأشياء .

إنها الثنائية القطبية بين الأرض والسماء والنهر والمحيط والليل والنهار والحلكة والضياء والمادة والروح ، وغيرها . وهى قطبية ثنائية تقوم على الألفة والإعتمادية والتشابك على أداء الهدف من وجودهم تلك الألفة التي تنطوي على الحب والانسجام بين كل زوجين في هذا الكون .

ويقول محي الدين بن عربي في فتوحاته المكية إن العالم ظهر في مقام الزوجية فقال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(الذاريات ٤٩) ، وإن كان واحدا فله نسبتان ظاهرة وباطنة إذ كان هو الظاهر والباطن ، فما أعز معرفة الله على أهل النظر الفكري ، إن يدا واحدة لا تصفق . ومن كل شيء خلقنا

إن الحكمة الإلهية قدر وميثاق يجعلنا محبين لبعضنا. ويسبب هذا الرسم الإلهي فإن كل جزء من هذا الكون مقترن بأليفه . وفى ضوء ما هو حكيم ، فإن السماء هي الرجل والأرض هي المرأة ، والأرض تثمر بما تسقطه السماء ، والسماء في دورانها أشبه بالرجل الذي يسعى من أجل زوجته ، والأرض مشغولة كربة بيت تقدم للموالين ما تحمله من غذاء، انظر إلى الأرض والسماء أنهما يعملان عمل العقلاء ، وما لم يذق هذان التوأمان اللذة من بعضهما فلماذا يزحفان معا أشبه بالأحباب ؟؟؟ .

ويقول العارف بالله صالح أحمد الشافعي محمد أبو خليل صاحب "كشف الغطاء عن أهل البلاء" : إن كل ما أتى حظا من المعرفة ، ونصيبا من الفهم والتذوق لنصوص الإسلام من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تتضح أمامه الرؤية ويعلم يقينا أن الإسلام دين الحب وأن المؤمن لا يجد حلاوة الإيمان إلا إذا أحس حرارة الحب .

ويقول أريك فروم ، وكما وضع الرب الرغبة في الرجل والمرأة إلى ما لا نهاية حتى يمكن الحفاظ على العالم بإتحادهما ، فقد غرس في كل جزء من الوجود الرغبة في الآخر ، رغبة النهار في الليل ، وهما يحققان غرضا واحدا كل منهما في حب الآخر لكي يحسنا عملهما المشترك . هكذا الحب أساس نشأة الخلق ، وهو أساس الطريق الصوفي .

فبالحب تتجاوز عبادة المتصوفة لله مسألة الثواب والعقاب ، أي العبادة بالمقابل، أي لأجل الطمع في جنته والخوف من ناره ، بل حب لذاته وحب ما يحب ، ويغض ما يبغضه الله ، فهو حب في الله ولله وبالله ومع الله ولأجل الله .

والتصوف خلق ، والصوفية هم أهل مكارم الأخلاق . ومثلما يقول أحد علماء التصوف : أنه لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار

الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئا من سيرهم ، وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

ويقول " أبو بكر الكتاني " : التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق ، فقد زاد عليك في الصفاء " ، وهو كما تروى الرسالة القشيرية : الدخول في كل خلق سني ، والخروج عن كل خلق دنى " ، وهو أيضا كما يرى " أبى الحسين النورى " : هو التخلق بأخلاق الله .

إن القرآن الكريم وسنة رسولنا الحبيب ﷺ هما مصدر التصوف الإسلامي ، فإننا نرى أن كل آية تذكر الفكر أو الذكر ، أو الإستقامة أو المستغفرين أو الذاكرين أو العابدين أو الموقنين أو المتبتلين ، أو عباد الله المخلصين ، أو أولى الألباب ، وكل آية تصف الخوف أو الرجاء أو الإستقامة أو الإيمان أو المعرفة أو الصبر أو الرضا أو التوكل أو الحب أو التوحيد وأقواله ﷺ تشريع وتعليم وثمرة أعمال وإيمان ويقين ، وذلك طريقه العملي ، وهو أصل طريق القوم .

والشريعة والحقيقة مجتمعان يطلق عليهما : التصوف ، وهو ليس مذهبا خاصا : لأنه الحقيقة المطلقة ، وليس الطرق مدارس مختلفة : لأنها طرق ، أي : سبل موصلة جميعها إلى الحقيقة المطلقة : "التوحيد واحد" .

وفى هذا المعنى ، تقول الرسالة القشيرية " إن الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة هى غير مقبولة ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول ، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن نعبده ، والحقيقة أن نشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر .

والصوفية على وجه العموم نبهوا بصورة قاطعة وحاسمة إلى وجوب إلتزام الشريعة يقول الإمام " أبو الحسن الشاذلي : من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعي . ويقول أبو يزيد البسطامى في قوة حاسمة ونطق

صادق في هذا الشأن : لو نظرتم إلى رجل أعطى الكرامات ، حتى يرتقى في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى ، وحفظ الحدود وأداء الشرائع .

ويقول الجنيد عن الصلة بين التصوف والشريعة : الطرق كلها مسدودة عن الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ واتبع سنته ولزم طريقه . فالطريق إلى الله هو التحقيق بالعبودية وهو ما سار الصوفية عليه .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود إن الصوفية يمثلون العلم الإسلامي في قمته، وفى جميع فروعه : في الفقه ، وفى التفسير ، وفى الحديث ، وفى الأخلاق . وما كان علم الكتب هو غايتهم الأخيرة ، وإنما مع علم الكتب ، كان طموحهم إلي العلم الوهبى : العلم الذي يمنحه الله لبعض عباده . وكما قال عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه : " كفا شرفا بعلم القوم " أي بعلم التصوف " قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (الكهف : ٦٦) وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة أي التصوف وهو : علم الأخلاق الباطنة.

وأغلب الظن أن أول من أخرج التصوف عن تأثره بعامل الخوف وأخضعه إلى عامل الحب هي العابدة رابعة العدوية المتوفاة في سنة ١٨٥ هجرية والتي يقول عنها " ماسينيون " أنها تركت في الإسلام أريجا لم يتبخر ، وأنها استعملت في غير تردد لفظة الحب في العشق الإلهي معتمدة على ما ورد في القرآن الكريم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة : ٥٣) .

وإن كنا نرى أن الحب الإلهي لدى المتصوفة قد وصل بهم إلى منتهى السعادة واللذة الروحية التي لا يضاهيها سعادة أخرى بل أحسوا وفطنوا إلي هذه السعادة فأدركوا قصور السعادة التي عليها الآخرون وعجزهم عن إدراك هذا التذوق الذي ينعمون به . كما قال أحد العارفين بالله : " نحن في لذة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجادلونا عليها بالسيوف " .

والتصوف أرستقراطية، ليست أرستقراطية المظهر أو الشكل بل الخلق والتربية والسلوك والأدب النبوى وذكر الله على بصيرة، والجوهر دون إغفال المظهر، والباطن دون نسيان الظاهر، والتحلي بآداب الذكر، وحسن المظهر والثياب، وخفض الصوت فى وجود الولي المربى. تلك الأخلاق التى إستمدوها عن نبع أخلاق النبوة، " أدبنى ربى فأحسن تأديبى ".

ويقول الإمام الغزالي أن التصوف قهر الرغبات والميل عن الشهوات والإخلاص لله في العقيدة والعبادة والمعاملات، مع التزام الطاعة كافة الأوقات، انقطاعا عن كل ما سواه، مع الأخذ بإصلاح ما أمر الله به.

وكما يقول رينيه جينو المفكر الصوفي الفرنسي المسلم الحكيم الصوفي النشأة: قد تكون العقيدة الإسلامية هي العقيدة التي يظهر فيها بوضوح التفرقة بين جزأين متكاملين هما " الظاهر " و "الباطن " أعنى "الشريعة" و " الحقيقة "، والشريعة هى الباب الذي يدخل منه الجميع، و "الحقيقة" هى التي لا يصل إليها إلى المصطفون الأخيار، ذلك أن استعداد الناس متفاوت وبعضهم معد لمعرفة الحقيقة، وهؤلاء بالطبع هم الصوفية.

وعن حاجة الناس للتصوف، يقول العارف بالله صالح أحمد الشافعي أبو خليل: أن التصوف علم تزكية الأخلاق وتطهير القلوب مما يشوبها ويدنسها، وتحلية الأسرار بوصفه التوحيد الكامل.

لقد كان التصوف ولا يزال سبيلا لحماية الملايين من الشباب على مدار التاريخ الإسلامي لإنطوائه على الحب للناس ولرب الناس ولرسول الإنسانية (ص) ولأهل بيته المكرمين رضوان الله عليهم أجمعين، وأسبغ العبادات والمعاملات بالأخلاق الحميدة المستمدة من أخلاق النبوة، والإقبال على العمل والأمل والشعور بالسكينة والسلام ونبذ العنف والتطرف وفظاظة القول والفعل، فما أجمل أن تطالع عيناك شابا حسن المظهر عف اللسان مستنير الوجه هادئ الطباع، غير متكلف في تعامله أو عبادته فهذه كلها نعوت المتصوفة..

العلمانية .. تضر بالمسيحى قبل المسلم !!

على مدى العقود القليلة الماضية ، مر المجتمع المصرى بمرحلة من التفكك والانقسام أتسمت بقدر كبير من التعصب بين المسلمين والمسيحيين ، استغلها النظام الحاكم السابق لتأمين بقائه فى السلطة بما ترتب عليه إضعاف قوة المجتمع ، حتى جاءت ثورة الخامس والعشرين من يناير ليبدأ المجتمع طريق التخلص والخلاص من ذلك النزاع الطائفى العميق أملًا فى استعادة وحدته مرة أخرى .

وفى السبيل إلى هذه الغاية ، كثر الحديث هذه الأيام عن الشكل الذى ستكون عليه هوية الدولة المصرية فى فترة ما بعد الثورة بين علمانية أو دينية أو مدنية ، أو مدنية بمرجعية دينية أو مدنية بمرجعية علمانية ، غير أن البعض بدافع من التسرع والعاطفة غير المحسوبة ، تبهره بعض مسميات العولمة السياسية التى يرى فيها طرحا مضادا للمشروع العربى الإسلامى دون ما يدركه من مخاطر كبيرة على وحدة المجتمع المصرى .

ويكشف لنا هذا الأمر بوضوح أن العولمة الغربية التى فشلت سابقا فى مواجهة المشروع الإسلامي بالكامل ، تسعى الآن إلى استقطاب جماعات ترضى بالعمل وفق شروط العلمانية السياسية الغربية بديلا عن الوحدة الإسلامية للأمة ، وهدف الغرب وغايته بالأساس ، ما هو إلا استمرار الهيمنة الغربية وحماية دولة الاحتلال الصهيونى، لأن الغرب يدرك تماما أنه إذا ما قامت دولة الوحدة الإسلامية فإن حلم الهيمنة الليبرالية الغربية على العالم سينتهى كما لن يستمر الغرب كقوة عظمى .

والحقيقة ، أنه إذا ما أخذت مصر بتطبيق العلمانية ، فإن هذا الأمر سيهدد دور الدين فى الحياة العامة وسينحسر دور الإسلام كما سيتقلص دور الكنيسة الحالى بل ستتفكك جماعة المؤمنين داخل الكنيسة وسيقود الأمر فى النهاية إلى تراجع الحضور المسيحى فى مصر .





وكذلك الأمر بالنسبة للدولة الدينية الأمر الذى سيدخلنا فى نفق طويل حول شروط الإمامة فى الحاكم وكذا المسئوليات والالتزامات الواجب أن يكلف بها رئيس الدولة وما يمكن أن يحدث من خلط فى الدين بين العقيدة من جهة والشريعة التى هى الجانب التطبيقى العملى للدين من جهة أخرى .

ولكننا سنتجنب ذلك بلا شك من خلال دولة مدنية ذات مرجعية دينية . فالدولة المدنية تستمد مرجعيتها من الإرادة الشعبية الحرة التى ينتخب فيها حكام وممثلو الشعب بإرادة الشعب الذى يتولى اختيارهم ومحاسبتهم بل وعزلهم ، وبالتالى فإذا اختارت الأغلبية المرجعية الإسلامية من خلال أحزاب سياسية ذات مرجعية دينية ، لا أحزاب دينية ، فلا ضرر ولا خوف ما دامت هذه الأحزاب ستحتكم إلى رأى الأغلبية وسترضى بنتائج صندوق الاقتراع وستخضع لاختيارات الأغلبية فى المجتمع .

ولهذا فإن البعض من الأقباط الذى يخشى من المادة الثانية من الدستور لا يدرك أن هذه المادة تقدم المساواة فى الحقوق والواجبات للمسيحيين كما توفر لهم حماية التميز الدينى وتتيح لهم قوانينهم الخاصة بالأسرة ، ومرجعية الشريعة الإسلامية بذلك تحقق أمرين : أولهما المساواة ، وثانيهما : الحفاظ على التميز ، أما القوانين الوضعية العلمانية ، فإنها وإن حققت المساواة فإنها تلغى التميز ، وكما قال أحد الأقباط " إذا طبقت العلمانية فى مصر فلن يسمح للمسيحيين بأن يكون لهم قانون للأحوال الشخصية لأنهم سيخضعون للقوانين التى توافقت عليها الأغلبية " .

فالمرجعية الحضارية الإسلامية هى مكون الأمة المصرية الذى يعبر عن المسلمين والمسيحيين فى مصر حيث اشترك المسيحيون تاريخيا فى بناء الحضارة العربية والإسلامية وأسهموا إسهامات ثقافية وحضارية فاعلة ، كما أن الأمة المصرية الإسلامية ذات خصائص حضارية أكسبتها صفة الأمة الوسط – على عكس غيرها من الأمم الإسلامية الأخرى بالمنطقة – تتميز بالتكامل بين الدين والدنيا والروح والجسد بين المادة والمعنى بين الظاهر والباطن وهذه التكاملية تحميها من أى نزاعات متطرفة أو خلافات طائفية مادية متعصبة .

فالإسلام دين ودولة أى عقيدة وشريعة ، فإذا كانت الأولى تمثل الجانب العقائدى ، فإن الثانية تمثل الجانب التطبيقى فى الحياة وهو ما أنتج الثقافة الحضارية التى إشترك فيها المسلمون والمسيحيون عبر التاريخ بل وهو الأرضية الثقافية والحضارية التى يمكن أن يجتمع فيها المسلم والمسيحى فى منظومة حضارية واحدة .

ولهذا فإن المواقف المزدوجة التى تبنتها الكنيسة أحيانا من خلال اللجوء إلى قوى المهجر وبالتالى إلى الغرب والتفاوض مع النظام الحاكم السابق لكسب بعض المطالب مقابل تأييده ، تحتاج الآن إلى مراجعة بعد تغير الأوضاع عقب ثورة الخامس والعشرين من يناير ، فالحل الحقيقى للكنيسة - كما يراه كثيرون - هو الحاضن الاجتماعى بأغلبية مسلمة .

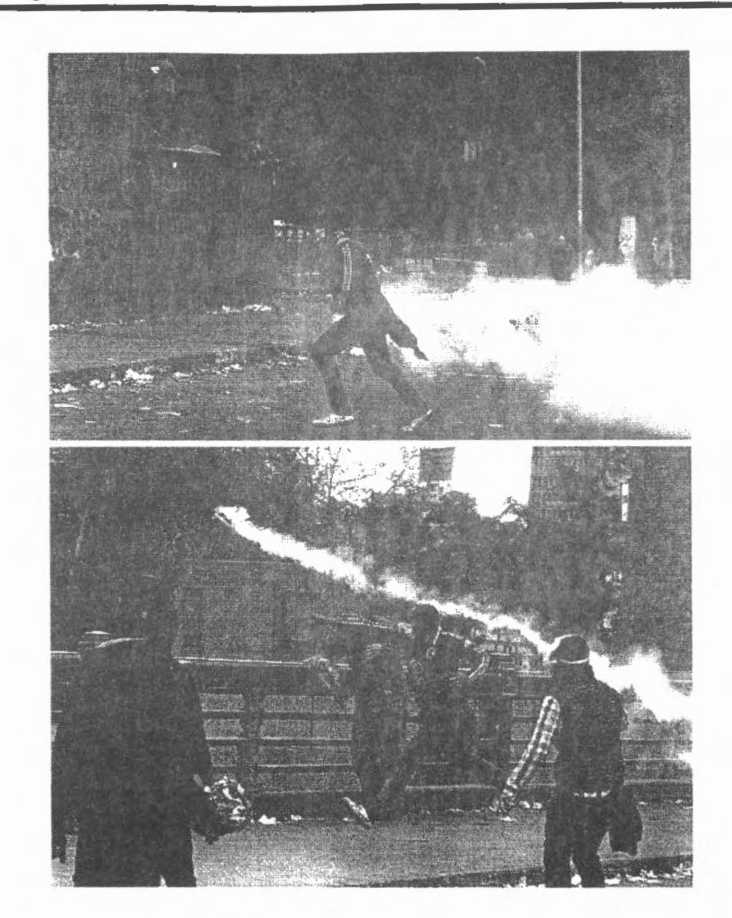
" بلطجة " على كوبرى قصر النيل !!

أقيمت الكبارى والجسور فوق النيل الخالد لتسهيل العبور بكافة أنواعه بين ضفتيه شرقا وغربا ، غير أن هذه الكبارى لاسيما الموجودة فوق نيل القاهرة الكبرى قد لعبت دورا مهما كمتنزه ومتنفس للكثير من سكان القاهرة فى وقت عزت فيه أماكن المتنزهات على الكثير من شرائح المجتمع المصرى هذه الأيام .

ففى ظل ضيق ذات اليد وارتفاع الأسعار فى كل مناحى الحياة اليومية على نحو يفوق طاقة الكثيرين من فئات المجتمع ، وعجز السواد الأعظم من هذه الطبقات والفئات خاصة الشباب منهم على الذهاب إلى أماكن أكثر راحة جلوسا وخدمة ومناخا ، وبعيدا عن ذلك التلوث المنبعث من عوادم سيارات القاهرة ، من مدن للملاهى أو مطاعم أو فنادق ، لجأ هؤلاء إلى الكبارى والجسور على نيل القاهرة كمتنفس ومكان للنزهة غير المكلفة بعد أن عجزوا عن ارتياد هذه الأماكن الأخرى المخصصة لذلك .

وأصبحنا نرى فوق تلك الكبارى لاسيما كوبرى قصر النيل مجموعات الشباب فرادى وجماعات أو مثنى وثلاث وغير ذلك يتريضون فوق تلك الكبارى التى لا يكلفه الوصول إليها والتنزه فوقها والتنعم بالنظر الى مياه النيل الخالد سوى تذكرة بوسائل النقل العام الموصلة اليها وهى أقصى ما يستطيع .

لكن " يافرحة ما تمت " كالعادة تظهر فئة مستغلة من تلك التى تعج بها قطاعات المجتمع تعكر صفو هذه الناس وتزاحمهم وتضيق عليهم الخناق تمارس نوعا من البلطجة على هؤلاء الناس خاصة الشباب الغلبان الذى فر من غلاء أماكن اللهو والتنزه والمطاعم والفنادق المكلفة التى يعجز عن ارتيادها وغير الواردة حتى فى قاموس حياته اليومية إلى كوبرى قصر النيل حيث منظر المياه والهواء والهوى بلا تكلفة تتجاوز طاقته .





ذات يوم وأنا فى طريقى من بيتى إلى مكتبى مارا بكوبرى قصر النيل سيرا على الأقدام ممارسا المشى لأسباب صحية ، وإذ بى أجد بلطجى الهيئة والجسم والتصرف من هؤلاء البائعين لأغصان الورد الصناعى يمسك برقبة وتلابيب شاب نحيل الجسم وقفت جواره صديقته ، بعد أن رفض إلحاحه الممل والممجوج لإجباره على شراء ذلك الغصن ، ليكيل له كلمات السباب والشتائم التى تعايره بفقره وشكله لأنه رفض الغصن " الفردة " ويدفع خمسة جنيهات .

وحيال هذا المشهد المؤلم ، تدخلت وقد تملكنى الغيظ والحزن الشديد لتخليص الشاب من براثن بلطجى الورد وعلا صوتى لتخويف البلطجى الذى بدا بارد الأعصاب جامد العين ، ليظهر شاب آخر ظهر من تصرفه أنه من الحراسة الخاصة تبع وزارة الداخلية على الكوبرى فى زى مدنى ليأخذ البلطجى الضخم الذى سر لرؤيته ويدأ يرد علينا ببجاحة شديدة واختفيا بما يظهر من تصرفهما تواطؤ واضح ظاهر جلى لا تخطئه العين.

وأتساءل — وقد اعتصرنى الأمل من زيف كل شيء — هل لو كان هذا الشاب وصديقته يملكان هذه الجنيهات وغيرها ، أكان يأتى للتنزه فوق الكوبرى ؟ ، أنضيق على هذا الشباب الذى يئن تحت وطئة الظروف والأحوال القاسية فى التنعم حتى بالهواء كسلعة حرة أتاحها الله للجميع ؟؟ ، وهل من الأفضل أن نشجع الشباب لارتياد الأماكن المفتوحة على الملأ أم ندفعه الى ارتياد أماكن مغلقة قد لا تحمد عواقبها عليه وعلى من يصادق ؟؟؟ .

هذا الشباب من فتيه وفتيات الذى يظهر هزيل البنية ، معتل الصحة ، شارد الذهن نتيجة سوء التغذية فى بيت والديه اللذين عجزا بدورهما لفقرهما عن توفير المأكل والمسكن المناسب لأولادهم ، بات يئن تحت وطأة الحاجة الى تأمين لقمة عيش مستقبله والسعى للتخفيف على والديه ، وهو الأمر الذى بسببه يلهث كل يوم بحثا عن فرصة عمل ملتمسا بريق الأمل فى تصريحات وزيرة القوى العاملة وزملائها من الوزراء المعنيين عن توافر الآلاف من فرص العمل .

ويذهب هذا الشباب سفرا إلى القاهرة ويملأ أوراقا واستمارات تكلفه الكثير من طاقة والدية ، غير أن واقع الأمور يصفعه عندما ينتظر شهورا وسنوات دون

اتصال من هذه الوزارة أو تلك . تصريحات . تصريحات . تصريحات !! .

وقد كنت بنفسي شاهدا على واقعة تشير الى أن ما نسمعه من المسئولين عن فرص العمل والتسفير مجرد تصريحات وليست غير ذلك . كنت فى زيارة لبلدتنا فى محافظة الغربية وجاءتني - كالعادة - سيدة بولدها الشاب - متوسمة فى خيرا - ترجو مساعدتها فى تشغيل أو تسفير ابنها ونفس الأمر لسبعة شباب آخرين ، وكنت قد سمعت عن برنامج الوزارة لتسفير الشباب للعمل فى الخارج ، بوصفه الأضمن والأقل تكلفة لقطاع عريض من الشباب المحتاج ، وقد سعدت بهذا الأمر لعلمى أن ذلك قد يفرج هم الكثيرين ، خاصة أبناء المحافظات الأخرى ، واستشعارا منى بحال هؤلاء الناس ، ذهبت الى الأستاذ رفعت حسن مدير عام الإدارة العامة للتشغيل والتمثيل الخارجي بوزارة القوى العاملة والهجرة ولم تكن لى به سابق معرفة - فما سعيى الا لوجه الله - و استقبلنى الرجل أفضل استقبال وبأدب جم وملأت بمكتبه استمارات لثمانية من الشباب وفرحت لفرح الشباب وأسرهم من أن الفرج أت وسيسافر أولادهم فى فرص مضمونة تكفلها الوزارة وسعدت لأن الله قد جعلنى سببا لإسعاد هؤلاء . ولكن للأسف مر الآن نحو أكثر من عام ولم ترسل الإدارة المعنية لأى من هؤلاء ، وكالعادة تكسرت الأحلام . إنها تصريحات !! والنتيجة حالة من اليأس والقنوط يدفع العشرات من هؤلاء الشباب وقد جمع له والديه من قوتهما ما يعينه على ركوب المجهول واعتلاء سفن متهالكة فى مياه المتوسط المتلاطمة والوقوع ضحية شرذمة من المستغلين ، هروبا لحياة أفضل فى أوربا ليعود جثة هامدة غرقا فى مياه البحر .

وما يدعو للسخرية ، بل ويزيد الإنسان غيظا وألما ، أن نرى كبار مسئولينا وهم يخرجون علينا بعجيب الأمور فى رد فعلهم حيال ذلك ، فبدلا من أن يهبوا العلاج أسباب هذه الكوارث التى تبيد شبابنا وتطيح بآمال ما تبقى منهم ، نرى المسئولين ينشغلون ويشغلوننا معهم بتافه الأمر ، وتتمحور مداولاتهم ومناقشاتهم ونقاشهم وجلساتهم ليس إلا حول فتوى ما إذا كان هؤلاء الشباب الغرقى راحوا شهداء أم ما فعلوه كان انتحارا ؟؟؟؟ رحماك يا سيدنا النبى ﷺ .

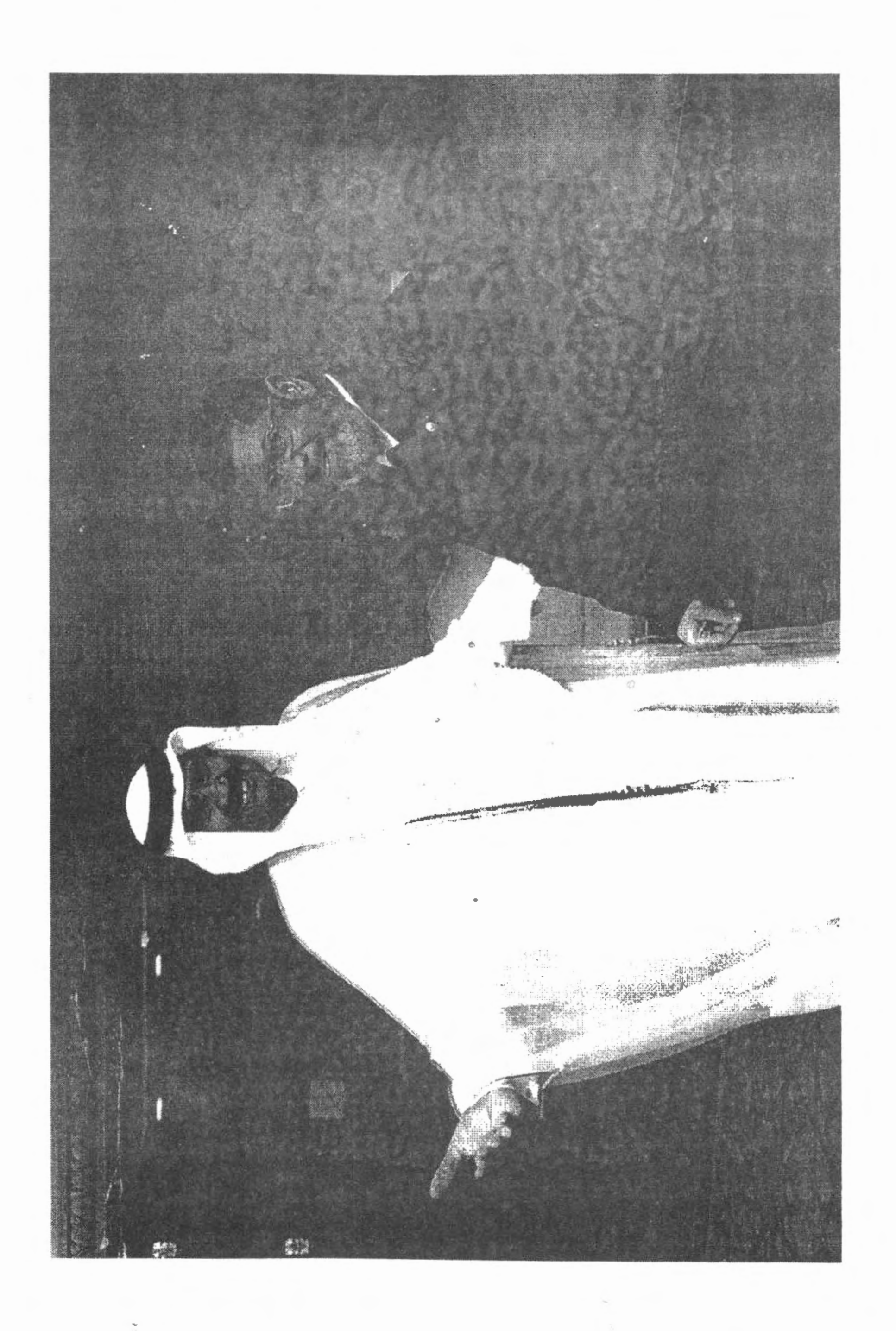
أيها المسئولون عن إشاعة الكراهية .!!

أصبحنا هذه الأيام فريسة لرياح من الكراهية تجتاح حياتنا ، في سبيلها لأن تعصف بما تبقى لدينا من قيم نبيلة وعادات طيبة ، استبدلت فيها المنافسة الشريفة والأمانة فى القول والفعل بين الناس بتلك التى تنطوى على الاقتناص والخطف والتناحر والحقد فشاعت الكراهية وانعدمت الثقة واختفت قيم الحب والخير .

وكان للكبار قبل الصغار ، والرؤساء دون المرؤوسين ، والمسئولون قبل التابعين فى كافة مستويات ومراكز وقطاعات المجتمع والدولة القسط الأكبر من تحمل وزر هذه الظاهرة البغيضة .

فهذا مسئول أعطى شابا يحمل " كارتا " وظيفة كان يستحقها آخر ذو كفاءة ولكن بلا واسطة !! ، وذاك مسئول اختار شخصا دون المستوى فى منصب على حساب آخر أكثر استحقاقا وتأهيلا !! ، ورئيس مصلحة أو هيئة كل همة ترفيع ذوى الثقة من حوله دون ذوى الخبرة !! ، أو ترقية من فى حزبه على من لا يتحزب له دونما معيار من كفاءة فنية أو ضمير !! ، وآخر كل حرصه على وئد أية كفاءة واعدة محترمة تملك وسائلها لأنه يستشعر فيها خطرا على مقعدة !! ،

وذاك الزميل الذى ينظر بعين الغيرة والحقد إلى زميله فيعمل دون كلل على ان يوغل صدر رئيس ترك مسامعه المريضة للقيل والقال دون تحقق أو تيقن !! ، وذاك مدرس فى مدرسته يتفانى ليس فى تعليم تلاميذه بل فى إفراغ جيوب أولياء أمورهم!! وذاك طبيب فى مشفاه يسابق الزمن من أجل ثراء سريع على حساب الأجساد المريضة الفقيرة طريحة الفراش دونما رحمة !! ، وذاك ضابط فى سيارته يرسل بالجندى المرافق ليأمر البائع بتنفيذ طلب "الباشا " مستغلا سلطته متجاوزا ومتخطيا طابور البسطاء الواقف أمام مخبز أو متجر أو مكتب أو مركز !!!!



هؤلاء هم المسئولون عن نظر الناس إلى ما في أيدي الناس، وتطلع المحروم، وإشاعة الكراهية بين الناس وانعدام الثقة بين الشباب فى قيادات مجتمعهم وقادته، لينقلبوا عليهم وعلى غيرهم حقدا وكراهية. لقد تسبب هؤلاء المسئولون ومن بيده قرار على كافة المستويات في إنكار حقهم، فحجبوا عنهم فرصهم في حياة كريمة، فضيعوها عليهم وحرموهم، فكرهوهم وكرهوا أنفسهم ومجتمعهم.

لقد تيقن هؤلاء البسطاء – نتيجة هذه الممارسات – أن القانون في المجتمع أعور العين يطبق على سطر دون سطر، يفرق لا يعدل، يصنف لا يسوى، بين اناس لا سلطان لهم ولا جاه، وبين أناس شعارهم " أنت متعرفشى أنا مين " ؟؟؟؟؟؟ فاختفت القناعة وعم الحقد، وشاعت الكراهية فضاع الحب الذي هو الأصل فى إيجاد الكون والعالم.

لقد كان الحب قاسما مشتركا في تكليف وعمل ووظائف مفردات هذا الكون، وضمانة لأن تؤدى مهمتها التي أمرها وكلفها بها الله سبحانه وتعالى على أكمل وجه بألفة وحب فيما بينها. يؤيد ذلك ما ورد في السنة المطهرة قول الرسول ﷺ في الحديث القدسي عن ربه سبحانه وتعالى: " كنت كنزا مخفيا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني "، فأخبر أن الحب كان سبب إيجاد العالم.

ويقول مؤلف " كشف الغطاء عن أهل البلاء " الأستاذ صالح أحمد الشافعي أبو خليل إن المعرفة تعنى الحب والشوق لمن أهداه الله نعمة الوجود، فمعرفة الله فريضة من أقدس الفرائض على كل من من عليه ربه بنعمة الوجود. فالله خلقنا في هذا الوجود لنعرفه ونحبه ونقدسه ونشكره على آلائه ونرضى مستبشرين بقضائه الذي هو في حقيقته رسالة من الحبيب لحبيبه وكيف لا ونحن صنعة الله تعالى الذي أحبنا محبة الصانع لصنعته ودليل ذلك الحديث القدسي " ولأنا أرأف بعبدي من الوالدة على ولدها ".

ويتحدث الفيلسوف الأمريكي اريك فروم عن شيوع وعموم قطبية الذكر والأنثى في الكون و الطبيعة وليس فقط كما هو واضح في الإنسان والحيوان والنبات، بل فى قطبية الوظيفتين الرئيسيتين التلقى والنفاذ فى مختلف الأشياء. إنها قطبية

الأرض والسماء والنهر والمحيط والليل والنهار والحلكة والضياء والمادة والروح وغيرها . وهى قطبية تقوم على الألفة والاعتمادية والتشابك على أداء الهدف من وجودهما تلك الألفة التي تنطوي على الحب والانسجام بين كل اثنين في هذا الكون الذي أوجده الله على فطرة الحب والتآلف بين كل عنصرين من كل جنس ونوع .

إن يدا واحدة لا تصفق ، فالحكمة الإلهية قدر وميثاق يجعلنا محبين لبعضنا ، وبسبب هذا الرسم الإلهي السابق فان كل جزء من هذا الكون مقترن بأليفة ، وفى ضوء ما هو حكيم ، فان السماء هي الرجل والأرض هي المرأة ، والأرض تثمر بما تسقطه السماء ، والسماء في دورانها أشبه بالرجل الذي يسعى من أجل زوجته ، والأرض مشغولة كربة البيت ، تقدم لأبنائها ما تحمله من غذاء . أنظر إلى الأرض والسماء ، إنهما يعملان عمل العقلاء ، وأنه ما لم يذق هذان التوأمان اللذة من بعضهما فلماذا يزحفان معا أشبه بالأحباب ؟؟؟ . بدون الأرض كيف يمكن للزهرة والشجرة أن تزهرا ؟؟ ولماذا إذن يكون ماء السماء و دفؤها ؟؟ .

إن الحب نشاط وليس شعورا سلبيا ، انه الوقوف وليس الوقوع ، وهو عطاء وليس تلقيا ، وعندما نعطى فإننا نعلم الآخرين فن العطاء فيصبحون معطاءين مثلنا ، والحب يقتضي الرعاية والعناية والمسئولية والإيثار والاحترام والمعرفة وقهر الانفصال ، والحب ليس علاقة بشخص معين ولكنه موقف ، والحب نوع من الإيمان بالله وبالآخرين وبأنفسنا وهذا الإيمان يقتضي الشجاعة .

لقد كان الحب ولا يزال القاسم المشترك بين مفردات الكون ، وبهذه الألفة والحب بين ثنائيات ومفردات الكون أدت كل منها وظيفتها التى خلقت لها على نحو جيد وعلى الوجه الأكمل ولم تشذ أى منها عن ذلك الصراط ، فانتفت عنها صفة الكراهية والبغضاء " كل قد علم صلاته وتسبيحه " (النور ٤١) ، أما نحن فقد سيطرت علينا رياح الطمع وشهوة السيطرة والاستحواز والاعتداء والإمعان فى الظلم دون تحرى العدل ، فاختلت الموازين ، وظلمنا أنفسنا وبعضنا ، فحقدوا علينا وكرهونا ، وضاع الحب ، فضاعت القيم وشاعت البغضاء وتفشت الكراهية!!!!!!!!!

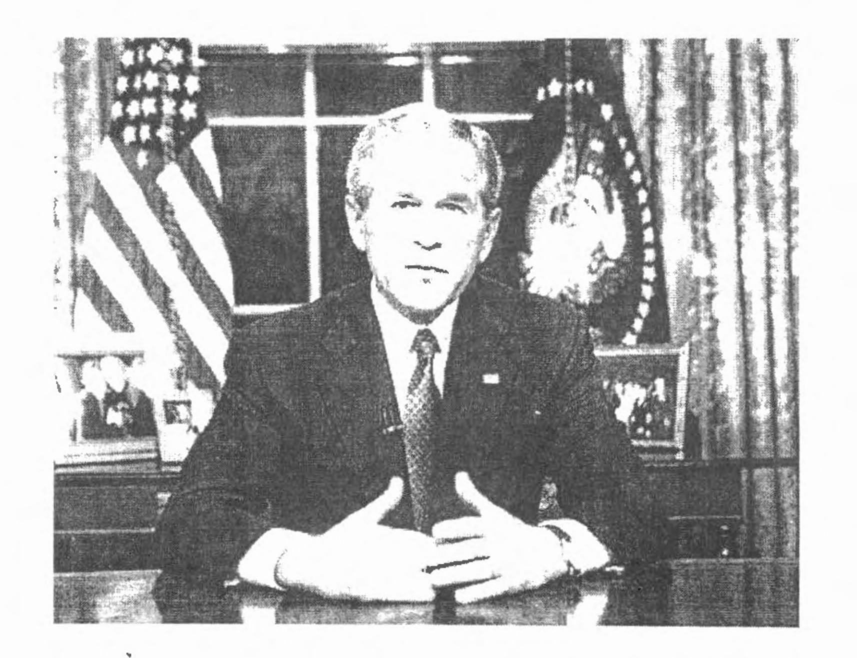
الجمهوريون يخشون الإصابة بفيروس "بوش" !!

يبدو أن الناخبين الأمريكيين المحافظين يتفادون الآن مجرد ذكر اسم الرئيس جورج بوش - الذي وصفه البعض بفيروس يتفشى الآن في صفوف الجمهوريين - خوفا من الإصابة بالعدوى، حتى أن المرشح الجمهوري لانتخابات الرئاسة الأمريكية جون ماكين نفسه أعلن تنصله منه خوفا من أن يصيبه "وباء بوش" بعد أن ظهرت " بركاته " عليه في سباق انتخابات الرئاسة مع باراك أوباما مرشح الحزب الديمقراطي المتقدم عليه.

وتصف دوائر أوروبية - كانت تحسب سابقا على بوش ومعسكره - الأمر وكأنه "جرب " أصاب البيت الأبيض، فبات الجميع يحاولون الابتعاد عنه والنجاة بأنفسهم، والسبب بالطبع هو المحصلة الكارثية للرجل الذي يسكن البيت الأبيض والذي أصبح الآن في قلب الحملة الانتخابية بما يبرر التعطش الشديد للمواطن الأمريكي إلى التغيير.

لقد أصبح بوش في موقف لا يحسد عليه مع اقتراب موعد نهاية ولايته في ظل أزمات متلاحقة سواء خارجيا أو داخليا كانت آخرها الأزمة الاقتصادية المالية العالمية الطاحنة التي ستكون على حد تعبير بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة القشة الأخيرة التي ستقصم ظهر الفقراء البالغ عددهم حاليا السدس في العالم.

فقد أدرك ماكين أنه يتعين عليه أن ينأى بنفسه عن بوش علانية، ليعلن في المناظرة الأخيرة وعلى رؤوس الأشهاد بالحرف الواحد " أنا لست جورج بوش "، واتهمه بالفشل وسوء استغلال السلطة والإنفاق على الحرب في العراق وتنامي ديون الحكومة والإرث الثقيل الذي سيتركه إلى الرئيس والجيل القادمين في أمريكا.



ويبدو أن " الفرة " الناجمة عن فيروس وباء بوش لم تقتصر فقط على تنصل ماكين في معسكر بوش الجمهوري بل توالت سلسلة الذين تنكروا من هذا الرجل وسياساته لتشمل الجمهوري كولين باول وزير الخارجية السابق في ولايته الأولى الذي أعلن أنه سيصوت لصالح المرشح الديمقراطي، ليأتي سكوت ماكليلان المتحدث السابق باسم البيت الأبيض معلنا نفس نهج الخروج على معسكر بوش أملا في التغيير، وغضب سكان البيت الأبيض بشده من ماكليلان الذي عمل متحدثا باسم البيت الأبيض ثلاث سنوات لما ذكره في كتابه: " ماذا حدث في أروقة البيت الأبيض " وقيامه بفضح ثقافة الخداع من جانب بوش وجوقة المحافظين الجدد التي تحيط به من نائبة ديك تشيني وباقي مستشاريه، وكشفه للقناع الذي يلبسه بوش وأيديولوجياته الخاصة التي حكمت قراراته وميوله المزاجية على مدى الثماني سنوات العجاف التي قضاها في البيت الأبيض.

وطبيعي ألا تقتصر مشاعر الرفض والكراهية لبوش وسياساته المدمرة على الأصعدة الإقليمية والدولية، الجانب الأمريكي وحده، بل شمل ذلك المعسكر الأوروبي الغربي الذي طالما دار في فلكه لسنوات معصب العينين، والتي كان آخرها إعلان مارتن شولتز رئيس المجموعة الاشتراكية في البرلمان الأوروبي خلال جلسة للبرلمان وعلى مسمع ومرأى من الرئيس الفرنسي وباقي زعماء أوروبا – أن الرئيس الأمريكي جورج بوش " أسوأ رئيس للولايات المتحدة الأمريكية "، محذرا من الانقياد الأعمى وراء سياسته التي كانت وبالا على العالم.

ومثلما ستتذكر شعوب فلسطين والعراق وأفغانستان والشرق الأوسط ومناطق بآسيا وأمريكا اللاتينية، لبوش أنه كان سببا في فقرها وتدميرها وظلمها وعدم استقرارها وتبديد ثرواتها وزرع الفرقة والانقسام بها خلال السنوات الثماني العجاف من حكمه لأمريكا من خلال تدخلاته السافرة بإشعال الحروب تارة وبإنابة من يشعلها نيابة عنه تارة أخرى بذريعة محاربة الإرهاب ودعاوى نشر الديمقراطية، فان الشعب الأمريكي سيذكر لبوش مقتل ما يزيد على ثلاثة آلاف جندي أمريكي من بين القوات الأمريكية العاملة في العراق وأفغانستان من جراء حربه المزعومة على

الإرهاب، بما يتجاوز عدد قتلى هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، التي أصابت بوش بمزاج موتور انعكس على قراراته وسياساته حيال الآخرين ليزج ببلاده في مستنقع تلو الآخر، متوهما أنه يحقق بذلك الريادة والقيادة لأمريكا على العالم.

غير أن بوش ما لبث أن أدرك ولكن بعد فوات الأوان أن أمريكا وحدها لا تستطيع أن تقود العالم وفق منطق الاستعلاء والكبرياء على الآخرين، بل لا يمكنها حتى أن تواجه مشاكلها الذاتية بمفردها. وأتذكر – وكنت موجودا – يوم أن جاءت وزيرة خارجيته " كوندا " إلى شرم الشيخ أيام حديثها عن مشروعها الفاشل لشرق أوسط كبير " نافشه ريشها " تتكلم في خيلاء واستعلاء، تتصرف كمن جاء ليعلمنا كيف تكون الديمقراطية، ليصفعها الجميع ولتتبين كونداليزا رايس قبل أن تغادر مدى جهلها ورئيسها بتاريخ وهوية وتركيبة وطبيعة شعوب المنطقة.

لقد توقع البعض بعد توحل الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان بداية لإرهاصات انهيار تلك الإمبراطورية، وان كان من باب التمني الذي يراود المواطن العربي الذي يشعر بالغبن والظلم والعجز أمام سطوة أمريكا بوش وجبروتها وهيمنتها على الثروات وصنع القرار في وطنه الكبير، فهل ستعمل الأزمة المالية العالمية على تسريع انهيار دولة " الإمبراطورية " في واشنطن ويتجنب الجميع في أمريكا وخارجها الإصابة بفيروس " وباء بوش " ؟؟؟ ، غير أن البشرى التي تزف إلى من اكتوى بحمى وباء بوش هي اقتراب الشفاء من هذا الفيروس بحلول الرابع من نوفمبر القادم موعد إجراء انتخابات الرئاسة الأمريكية على أمل ألا تنتقل العدوى للرئيس القادم !!

بلاك ووتر.وفرسان الهيكل فى الحروب الصليبية !!

لم أندهش لقراءة شهادة أحد مساعدى اريك برينس رئيس شركة "بلاك ووتر" الأمنية الأمريكية الخاصة أمام المحكمة الاتحادية الأمريكية بولاية فيرجينيا حاليا عن مدى عنصريته وكراهيته للمسلمين والإسلام ، وكيف أن الرجل الذى سار على خطى الرئيس جورج بوش الابن مكلف بشن حرب صليبية ضد المسلمين انطلاقا من العراق وأفغانستان وحتى الصومال .

وبرينس الذى سبق وعمل فى البحرية العسكرية الأمريكية يعتبر أحد أكبر المساهمين لمرشحى الحزب الجمهورى الأمريكى الذى خرج من عباءته جورج بوش الابن أول من دشن معالم الحرب الصليبية فى العراق وأفغانستان متذرعا بأحداث \ الحادى عشر من سبتمبر التى أعقبتها حملته الخفية ضد الإسلام والمسلمين بدعاوى الحرب على الإرهاب .

ففي شهادة خطية تحت القسم قال أحد الذين عملوا في شركة الخدمات الأمنية بلاك ووتر إن مدير هذه الشركة أريك برينس كان يعتبر نفسه "مسيحيا صليبيا مكلفا بمهمة اجتثاث المسلمين والدين الإسلامي من العالم" وإن شركته قامت بـ"تشجيع ومكافأة من يساهم في تدمير حياة العراقيين".

وتأتى هذه الشهادة ضمن اتهامات بالجملة ضد اريك برينس وشركته بتصفية العراقيين والقتل ودعارة الأطفال وتهريب الأسلحة وتدمير شرائط فيديو مصورة ورسائل الكترونية ووثائق تدينهم لإخفاء سلوكهم الإجرامى والتستر عليه وحتى اغتيال موظفين سابقين متعاونين مع المحققين الفيدراليين .

كما كشفت الشهادة فى القضية التى رفعها عراقيون ضد بلاك ووتر أن برينس تعمد استخدام من يشاطرونه نفس فكر " الحرب الصليبية ضد المسلمين ومن يعتقدون مثله في التفوق المسيحي " فى العراق أوكان يعلم بل يرغب في أن يقوم



هؤلاء الرجال بعدم تفويت أي فرصة ممكنة لقتل عراقيين وأن كثيرا من هؤلاء الرجال من أفراد شركته يستخدمون ألقاب ورموز " فرسان الهيكل "أي المحاربين الذين قاتلوا المسلمين في الحروب الصليبية".

كما أن عددا كبيرا من الحوادث التي كانت يستخدم فيها برينس وأفراد شركته سيئة السمعة ، القوة المفرطة ضد المدنيين العراقيين كانت تسجل على أشرطة فيديو يتم الفرجة عليها من باب التشفى نهاية اليوم قبل أن تمحى هذه الشرائط ، و لا تزال هذه الشركة على أرض الواقع وتقوم بعمليات غير قانونية وتمثل تهديدا للاستقرار الاجتماعى فى العالم الاسلامى . ا

لقد خلق برينس وشركته ثقافة الخروج على القانون ونشرها بين العاملين فيها وشجعهم على العمل فى خدمة المصالح المالية للشركة على حساب أرواح الأبرياء ، متجهة الى العمل تحت مسميات أخرى فى أماكن مختلفة بنفس الكيفية العنصرية .

ويرغم حادث القتل المروع الذى راح ضحيته ١٧ شخصا وأصيب ٢٠ آخرون فى قلب بغداد فى سبتمبر عام ٢٠٠٧ ، على أيدى عملاء " بلاك ووتر " ، الا أن الشركة لا تزال تمارس نشاطها المشبوه من خلال فروع لها تحت مسميات جديدة لنفس الشركة التى تحيطها بسرية فى مجال التخابر وصلتها الوثيقة بالمخابرات المركزية الأمريكية حيث تمثل شركات المرتزقة رمزا لخصخصة الحرب ابان عهد الرئيس جورج بوش .

ومع أن إدارة أوباما لم تكشف عن نواياها تجاه عملية خصخصة الحرب ، فإن نسبة المتعاقدين من المرتزقة وغيرهم فى العراق عام ٢٠٠٧ مقارنة بعدد المسئولين العسكريين كانت متعادلة وهو أمر غير مسبوق فى تاريخ الحروب .

لقد شكل وجود المرتزقة فى العراق أزمة للديمقراطية التى تباهى بها يوما جورج بوش ، نظرا لأن عقود هؤلاء المرتزقة تفتقر فى أغلب الأحيان الى الوضوح علاوة على أن بإمكانهم الإفلات من أحكام القضاء الوطنى والعسكرى فى الوقت ذاته ، .

ويبدو أن المرتزقة الأجانب من أفراد شركات الأمن الأمريكية الخاصة قادمون صوب أفغانستان وباكستان ، لاسيما بعد ما أعلنه الرئيس الأمريكى باراك أوباما من أن أفغانستان وباكستان تشكلان حاليا بعد العراق " الجبهة المحورية " للحرب على القاعدة ، حيث يحاول هؤلاء المرتزقة هذه المرة أن يتوخوا الحذر وأن يكونوا أقل دموية مما كانوا علية فى العراق .

غير أن شركات الأمن الأمريكية الخاصة تعتقد أن أهم العقود المستقبلية موجود فى الساحة الأفغانية إذ أن العودة التدريجية لطالبان منذ ثلاث سنوات ومضاعفة عمليات الاختطاف بشكل ملحوظ تخدمان مصالحها .

بناء على توجيهات "المجتمع" لا "الرئيس"!!

مثلما ارتفع على مدى ثمانية عشر يوما سقف طموحات وآمال وتطلعات الثورة الشابة الفتية التى انطلقت فى ميدان التحرير حتى تحقق لها ما أرادت للمجتمع ، على نحو أدهش وأثار إعجاب ديمقراطيات العالم شرقه وغربه ، فقد بات لزاما علينا أن نحقق للمجتمع فى ظل ثورته الجديدة ما يليق به وبثورته .

قد تكون مصر الآن دولة بلا رئيس بلا دستور بلا حتى حكومة إذ اعتبرنا أن الحالية ما هى إلا حكومة تسيير أعمال ، على اعتبار أن هذه المؤسسات بسبيلها إلى التشكل على مدى الشهور القليلة القادمة ، إلا أن ما نريده بشدة هو استعادة المجتمع واستدعائه من أجل بناء هذه الدولة الجمهورية الجديدة ونستبدل تلك العبارة التى طالما أشعرتنا بالعجز والنقيصة والوصاية " بناء على توجيهات الرئيس " بعبارة " بناء على توجيها المجتمع " .

لقد رددت الآلة الإعلامية الرسمية على مدى عقود فى فترة ما قبل ٢٥ يناير على مسامعنا مقولات انطوت على الشعور بالعجز الذى يستلزم الوصاية من النظام على المجتمع سوغ بها سيطرته وسطوته على الشعب ، لتأتى تلك الثورة باعثا لتلك الروح الكامنة بين أضلعنا ولتفضح أصحاب النوايا السيئة الذين أرادوا أن يصدق المجتمع ويصدق الغرب صفات وصمونا بها لتبرير وصايتهم علينا دون حق .

ولكى نستدعى روح المجتمع من أجل بناء المجتمع ، لابد من إطلاق الحريات وخلق آليات تؤسس وتنظم لهذه الحريات ، فصياغة دستور جديد أو تعديل مواد الدستور أو حتى الأخذ بنظام جمهورى برلمانى أو جمهورى رئاسى فى ظل غياب إطلاق الحريات لن تكون مجدية فى تطور المجتمع واستنهاضه من اجل البناء ، فهناك من الأنظمة الاستبدادية التى تنعم بلادها بدساتير منمقة الشكل والعبارة لم تحول دون تعرض شعوبها لاستبداد الحكام نظرا لغياب الحريات .

لقد تأصلت السلطوية على مدى العقود الأخيرة وبالتحديد منذ ١٩٧٥ ، نظرا لغياب الحريات الأساسية فى المجتمع وتآكل مؤسساته المدنية ، فى ظل تعاظم سلطة جهاز أمن الدولة الذى حل محل آليات تناول وحل المشكلات وتقييد الحريات فى مصر ، ولاحظنا أن جهاز أمن الدولة كان هو الآلية الوحيدة الممسكة بزمام الأمور فى الوزارات والنقابات والمؤسسات والشركات الذى يتولى بنفسه إزاحة وتعيين وترشيح الكوادر والتعيينات بهذه الأماكن ، ودس انفه فى كل شيء وتغريب آليات المجتمع وتنحيته عن أداء دوره ، وأصبح جهاز الأمن تحت مظلة " تعليمات الرئيس " المهيمن على مؤسسات المجتمع والنتيجة تنصيب عناصر على رأس وزارات ومؤسسات الدولة كل مقوماتها التلون والنفاق .

ليس الأهم هذه الأيام مسألة اختيار النظام الجمهورى أو صياغة الدستور الجديد أو حتى تعديل الدستور القائم ، وتشكيل الحكومة المدنية ، فهذه الأمور كلها بدأ العكوف عليها وهى فى طور التنفيذ فى غضون الشهور القليلة القادمة ، غير أن الأهم هو الاهتمام بإطلاق الحريات الأساسية حرية التعبير حرية الإعلام وتدفق المعلومات وحرية تشكيل الأحزاب واحترام حقوق الإنسان فهى الضمانة الوحيدة لإطلاق طاقات المجتمع من أجل بناء المجتمع ومكافحة الفساد والاستبداد وضياع ثروات المجتمع .

كما لم تعد مصر بعد ٢٥ يناير ٢٠١١ فى حاجة الى رموز على راس السلطة بها ، فما كان مطلوبا بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يعد ملائما بعد ثورة يناير الأخيرة ، فلسنا فى حاجة الى السيد عمرو موسى أو الدكتور البرادعى أو أى من الرموز ، يلتف حوله هامان وجنوده على شاكلة قادة موقعة "الجمل" يمجدوه ويقدسوه ويفرعنوه ثم يستخف بنا لاحقا ، بقدر احتياجنا الى بنائين فى مستويات مختلفة لبناء مجتمع ديمقراطى حقيقى يؤسس لبناء حريات المجتمع ويستنهضه ، وبقدر احتياجنا لمشروع قومى نلتف حوله نعمل من أجله يستدعى قدرات المجتمع ويستنهضه . نرغب فى نظام جمهورى برلمانى يضمن التناوب بين رؤساء الحكومة ولن يتأتى ذلك بدون إطلاق الحريات على مختلف أنواعها حتى لو وضعنا دستورا من ذهب !!!

الفاتورة الاقتصادية لحكومة ما بعد الثورتين

أمران يتعين على رئيس الحكومة في مصر أن يضعهما نصب عينيه إذا أراد أن يؤسس لمرحلة جديدة لم يتسن لسابقيه - لطبيعة الظروف - أن يفعلهما، لاسيما بعد أن أصبح ميدان التحرير منصة للانطلاق والتحرر نحو هذه المرحلة التي تستمد قوتها من الشرعية الشعبية.

الأمران هما أولا : المعادلة الاجتماعية من خلال التأكيد على دولة القانون التى لا تجيز الفهلوة والرشوة والظلم والفساد والتمييز بين طبقات الشعب وهى أمور كانت كارثية على الاقتصاد والتنمية فانتشر الفقر وزادت البطالة إلى ما يتراوح بين ٧ و ٨ ملايين شخص وعمت مشاعر الكراهية السواد الأعظم المهمش من أفراد الشعب نتيجة احتكار القلة لإرادة ومكاسب الغالبية .

فلا يجب أبدا أن يستأثر مثلا بتقدير مقبول أبناء القضاه للانخراط فى سلك القضاء وأبناء أساتذة الجامعات للعمل فى سلك التدريس بالجامعة وأبناء العاملين فى التلفزيون للعمل فى التلفزيون وأبناء العاملين فى قطاع البترول العمل فى شركات البترول وهكذا ، فضلا عن تبوأ هذه الشرائح المتميزة نتيجة القرابة العنصرية للمناصب العليا والدخول المرتفعة فى هذه الأماكن ، وحرمان نحو ٢ على ٣ من أبناء الشرائح العمالية والموظفين التمتع بتكافؤ الفرص مع زملائهم بسبب هذا التميز .

يغلف ذلك كله دون مواربة شروط جهاز أمن الدولة ذلك القاسم المشترك الأوحد داخل دولة الفساد فى التعيين والترشيح للكوادر والتدخل السافر فى عمل الوزارات والمؤسسات والهيئات والسياسات والاستثمار والتجارة حتى حل المنازعات .



الأمر الثانى هو توجهات السياسة الاقتصادية ، التى أسفرت فى السابق عن نمو اقتصادى مرتفع شكلى وليس تنمية اقتصادية حقيقية ، ليلتهم الفساد فى "دولة الفساد" ما يصل حسب الإحصائيات المعلنة إلى ٢٥ فى المائة من إجمالى الناتج القومى السنوى وزاد العجز فى الموازنة الى نحو ١٠٠ مليون جنيه ، نتيجة مجاملة النظام السابق لقلة من رجال الأعمال استحوذت على كل شيء دون غيرها بسبب تزاوج المصالح بين المال والسلطة .

لقد طال الفساد حتى صياغة السياسات الاقتصادية والمالية والاقتصادية نتيجة الافتقار إلى الحريات ودولة القانون ، ويكفى أن نذكر فقط ما فعلته سياسة الخصخصة من تفكيك الصناعة المصرية لا بناء وتطوير هذه الصناعة والسبب أن المشترين للصناعات والمؤسسات التى شملها برنامج الخصصة لم يكنوا مستثمرين بل كانوا سماسرة يشترون لكى يبيعون بأرباح طائلة ومكاسب خيالية ، على سبيل المثال بيعت إحدى شركات الأسمنت ب ٢.٥ مليار جنيه لمستثمر ليبيعها بعد ستة أشهر بنحو ٧.٥ مليار جنيه ، فلم تكن المسألة خصخصة بل كانت مجرد سمسرة لحساب تجار ومنتفعين بتواطؤ القلة الفاسدة غير الوطنية فى السلطة .

هذه السياسات الخاطئة مثلا تسببت فى أن القطاع المصرفى لم يتم توصيفه فى خدمة التنمية والسبب الآلية التى وضعها البنك المركزى نفسه بإعطاء فائدة ٩ فى المائة للبنوك التجارية والخاصة والاستثمارية التى تقرضه بوضع فلوس مودعيها فى البنك المركزى أو من خلال أذون الخزانة بفائدة ١١ فى المائة ، الأمر الذى دفع بهذه البنوك إلى إقراض المركزى حيث تنعدم المخاطرة دون إقراض مشروعات للتنمية والاستثمار فى البلاد ، فتعطى هذه البنوك المودعين بها نسبة فائدة ٦ فى المائة وتحصل على نسبة ال ٣ فى المائة المتبقية ، فبدلا من إقراض المستثمر الصغير من أجل تعزيز التنمية هى تستثمر لدى المركزى ، والنتيجة أن ٣٨ فى المائة فقط من أصول هذه البنوك هى التى تذهب إلى الإقراض فتأثرت التنمية والمشروعات الاستثمارية سلبا على يد البنك المركزى نفسه .

ولكن ما هى عناصر الرؤية للانطلاق فى المرحلة الجديدة والقضايا التى يتعين أن تشكل أولويات لدى الحكومة لتسديد الفاتورة الاقتصادية والاجتماعية لثورتى الخامس والعشرين من يناير و ثلاثين يونيو وترجمة ذلك إلى أفعال.

أولا : مشكلة البطالة التى قد تصل الآن إلى ما يزيد على ٧ ملايين فضلا عن أولئك المتدفقين من ليبيا هذه الأيام وسبل إعادة فتح المشروعات والشركات التى تعطلت بسبب الاحتجاجات الفئوية والتى يعمل الكثير منها هذ الأيام بطاقة لا تتجاوز ٢٠ فى المائة ،

ثانيا : ضبط الأسعار داخل السوق المحلى من خلال زيادة المعروض ومكافحة الاحتكار وزيادة الإنتاج ، ثالثا تحسين الدخول والمرتبات وعلاج أسباب الإحتجاجات الفئوية المختلفة .

رابعا : إعادة الأمن إلى الشارع المصرى لارتباط قطاعات المجتمع بعملية استتباب الأمن ، بدءا من التعليم وحتى المصنع والاستثمار ، والقضاء على تلكؤ جهاز الشرطة فى القيام بمهامه التى يتقاضى عليها راتبه .

خامسا : تحديد مواصفات احتياجات المرحلة الحالية لمصر من الاستثمار الأجنبى من خلال التركيز على مشروعات كثيفة العمالة لتشغيل العاطلين .

ولتكن التجربة الماليزية التى قادها مهاتير محمد والتجربة التركية التى تزعمها أردغان مرشدا فى اختيار القطاع الواجب التركيز عليه كمجال للاستثمار الداخلى والخارجى ، فلدينا أكثر من ٨ ملايين فدان فى الزراعة ، ولدينا قطاع السياحة الذى لم يستغل بما يستحق ، ولدينا النقل وقناة السويس ولدينا تحويلات المصريين فى الخارج ، وكلها مجالات يمكن الخوض فى الاستثمار فيها على نحو يحقق حل مشكلات الغذاء والفقر والبطالة والدخل وخلق تنمية حقيقية لا نمو اقتصادى لا يستشعر أثره الناس.

جنود حماس يزحفون أمام عدسات الكاميرا!!

كان طبيعيا أن تتلقى حماس لطمة قوية جراء العدوان الإسرائيلي الوحشي على قطاع غزة الذي خلف المئات من القتلى والمصابين بين المدنيين الأبرياء من الشعب الفلسطيني ؛ غير أن " حلف الممانعة " لاسيما إيران الراعية الرئيسية لهذه الحركة جاءت المستفيد الأكبر من وراء إهدار دماء الفلسطينيين نتيجة رعونة هذه الحركة وعبث قادتها .

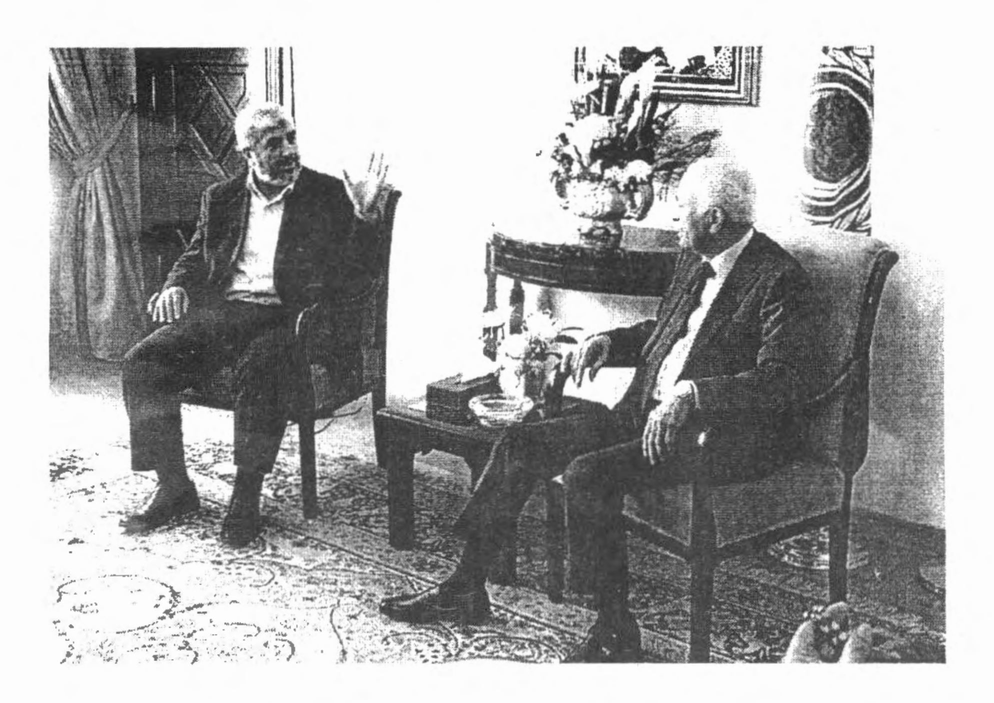
لقد تعمدت الدولة العبرية تنفيذ عدوانها على قطاع غزة فى هذا الوقت لعدة أسباب:

أولها : أن قادة إسرائيل المرشحون للانتخابات الإسرائيلية المقبلة في سباقهم المحموم الى السلطة ومن بينهم وزيرا الدفاع والخارجية يراهنون الآن على تبنى مواقف متشددة لنيل رضاء الناخب الإسرائيلى اليمينى المتطرف فى معظمه بالتسابق تجاه المزيد من إراقة دماء الفلسطينيين .

ثانيا : أن إسرائيل أرادت استغلال الفترة المتبقية لإدارة الرئيس جورج بوش المعروفة بتأييدها المطلق لإسرائيل قبل مجيء الإدارة الأمريكية القادمة التى تجهل إسرائيل ما سيكون عليه موقفها وإن كنت لا أتوقع تغييرًا.

ثالثا : أن إسرائيل لا تستطيع التنبؤ بكيفية تعامل إدارة أوباما مع عدوان واسع النطاق على هذا النحو ، مثلما تعودت من إدارة بوش المنتهية ولايته على مدى السنوات الثمانى الماضية لاسيما تعطيل رد الفعل الدولى داخل مجلس الأمن .

رابعا : لفت نظر الإدارة الجديدة فى البيت الأبيض والمجتمع الدولى إلى عدم وجود الشريك الفلسطينى نتيجة الصراع بين حماس والسلطة بما يعين إسرائيل على التهرب من تسوية قد تسعى إليها الإدارة الجديدة .





خامسا : أن الوقت مناسب حاليا – وفى ظل إنتقال السلطة فى البيت الأبيض – لتطوير أى عدوان الى هجوم برى وهو ما بدأته بالفعل عندما استدعت لتوها نحو ٦٥٠٠ من جنود الاحتياط لاجتياح مناطق معينة باهداف محددة .

ولكن هل كان بإمكان إسرائيل أن ترتكب هذه المجزرة حتى وإن تعمدت هذا التوقيت دون توفر المبرر والذرائع التى قدمها قادة حماس إليها على طبق من فضة على نحو يفتقر الى العقل والمنطق بل ويرتقى إلى التواطؤ الساذج .

ففى ١٩ ديسمبر ظهر قادة حماس الذين كانوا يعلمون جيدا أن إسرائيل تخطط للهجوم على القطاع – ظهروا على شاشات الفضائيات ليعلنوا عن انتهاء اتفاق التهدئة مع إسرائيل وألحقوا ذلك بفيلم تسجيلي يظهر فيه جنود حماس وهم يحملون الأسلحة والرشاشات والقنابل ويزحفون على بطونهم في تدريب عسكري استعدادا لشن الحرب على إسرائيل ، ثم أتبعوا ذلك بإطلاق مجموعة من صواريخ القسام على سديروت .

لتتلقف إسرائيل هذه الخدمة الجليلة المتمثلة في توفير المبرر القانوني والأخلاقي أمام المجتمع الدولي لكي تقوم بهذه العلمية العسكرية واسعة النطاق في غزة انطلاقا من حقها في الدفاع عن النفس ، وفرصة للمتعطشين للسلطة من قادة إسرائيل لكسب ود الناخب الإسرائيلى استعدادا للانتخابات المقبلة . فأين إذن جنود الفيلم التسجيلي على شاشات الفضائيات ، ولماذا لم يزحفوا صوب مواقع إسرائيلية بدلا من الزحف أمام عدسات الفضائيات .

إن قادة حماس لا يحسنون سوى إطلاق صواريخ القسام التي لا يتعدى كونها صواريخ " للألعاب النارية " ، أقصى ما تسببه " خضة " نفسية لربات بيوت البلدات الإسرائيلية ، واستفزازا لهمجية الآلة الإسرائيلية لأن تعيث تقتيلا وتدميرا في أبناء الشعب الفلسطيني دون تمييز بين طفل أو شاب أو صغير أو مسن والنتيجة مذابح دموية كتلك الأخيرة التى سقط خلالها المئات من الأبرياء .

تلك الصواريخ – رغم أنها بالمئات – لم تتجاوز المحصلة النهائية لخسائرها على

الجانب الاسرائيلى منذ بدايتها الخمسة عشر قتيلا ، فى الوقت الذى كانت سببا وذريعة لعدو همجى لذبح المئات من أبرياء الشعب الفلسطينى وتدمير مقدراته ومنازله ومؤسساته ، إنها نفس مدرسة السيد حسن نصر الله الذى تسبب فى تدمير معظم مناطق الجنوب اللبنانى ، والذى اعترف بعد حرب لبنان بأنه لو علم أن خطف الجنديين الإسرائيليين سيؤدى الى هذا الحجم من القتل والدمار بين اللبنانيين لما أقدم على خطفهما ، بل نفس المدرسة السورية عندما قال زعيم سورى سابق فى حديثه عن احتلال الجولان : ليحدث أى شىء ، لكن المهم ألا تسقط العاصمة .

غير أن هذه الهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة التي تهدد بتصعيد العنف يمكن أن تقضى على أية آمال لإدارة الرئيس المنتخب باراك أوباما في رعاية اتفاق سلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين .

فالعدوان الاسرائيلى قضى على الفرصة الضئيلة بالفعل لإمكانية القيام بتدخل مبكر ونشط وناجح من جانب أوباما على مسار السلام الفلسطيني – الإسرائيلي ويقترب بها من الصفر .

وبدلا من أن يعمل الرئيس الأمريكي الجديد سريعا على وقف سعى إيران لتصنيع قنبلة نووية ،سيتحول الانتباه عن الملف الإيرانى النووى لأن الأنظار ستتركز الآن نحو ما يجرى في غزة لاسيما المعاناة المستمرة للمدنيين والحاجة إلى تسوية جديدة لهذا الصراع وهذا ما يحقق لطهران مآربها بفعل حماس ساعدها الأيمن فى المنطقة مع حسن نصر الله .

غير أن قتالا في غزة بمرور الوقت سيكون مكلفا لإسرائيل – حسبما يقول المراقبون العسكريون الاسرائيليون أنفسهم – حيث حذر قادة الجيش الاسرائيلى مرارا من أن يؤدى العدوان الإسرائيلي إلى هجمات انتقامية على مدن وبلدات إسرائيلية انطلاقا من غزة ويتحول ذلك إلى الضفة الغربية ولبنان وهو ما قد يؤدى إلى غزو برى دون إستراتيجية للخروج .

وبينما يستمر القتال في غزة – الذي يخشى المسئولون الإسرائيليون من أن يطول

- ستحقق ايران بوصفها الراعي الرئيسي لحركة حماس نجاحا تكتيكيا ، حيث ستتورط إسرائيل الآن في معركة مكلفة ، وفى النهاية ستكون الغفلة عن أكبر تهديد تواجهه الدولة العبرية وهو التهديد النووي الإيرانى .

إن موقف حماس الأخير يضيف دليلا جديدا إلى سلسلة البراهين والأدلة التي تشير إلى طبيعة نشأة هذه المنظمة التى تعمل لصالح الأعداء وضد مصلحة شعبها وقضيتها ، تلك المنظمة التى أثارت فتنة عربية تتراشق كل دولة مع الأخرى نتيجة فعالها وتصرفاتها ، فبدلا من أن تتجه الدول العربية – فى حالة العدوان الخارجى – إلى توحيد الصف راحت كل منها تكشف عورة الأخرى وراح البعض يزايد على البعض الآخر .

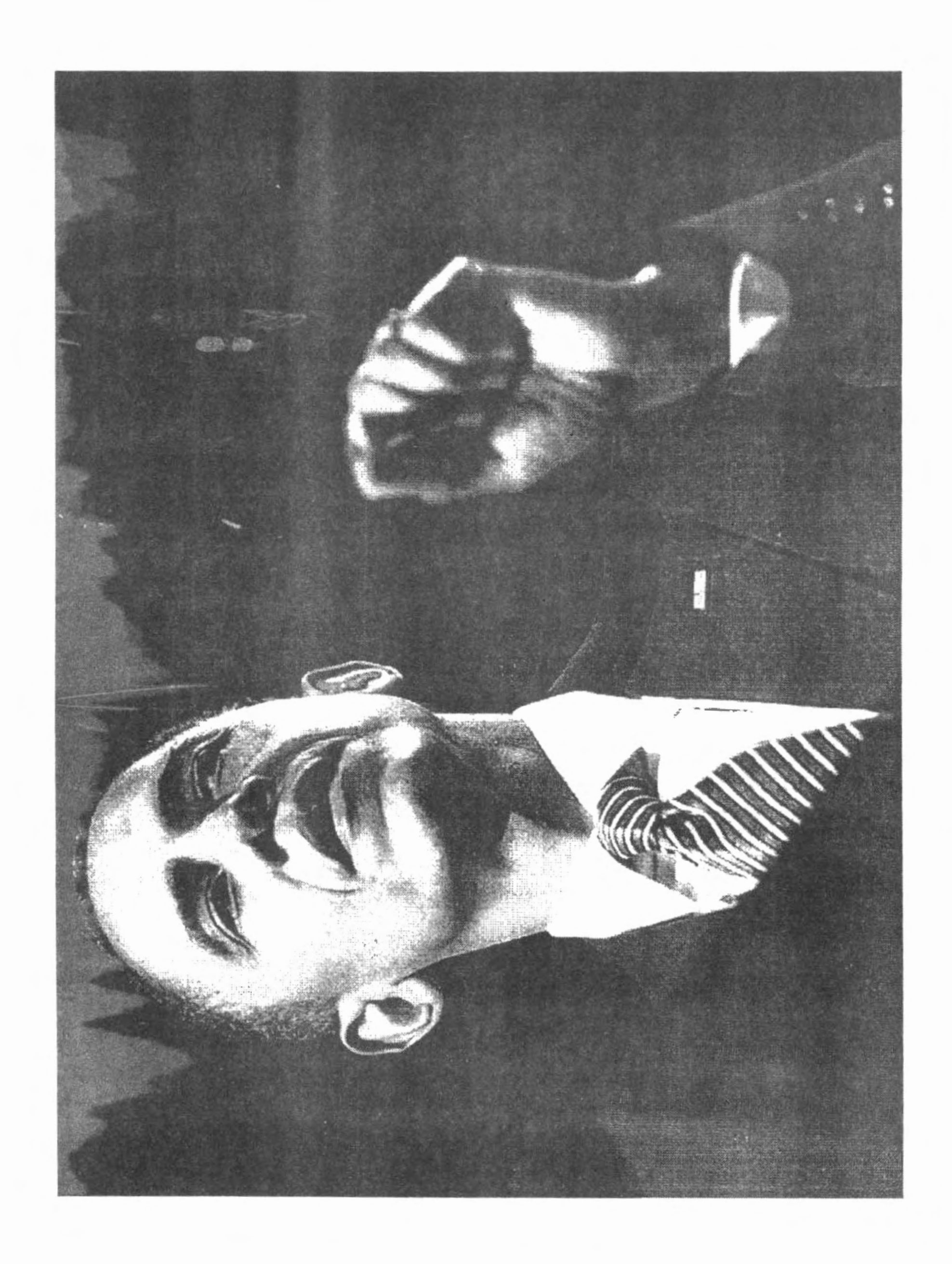
"بركة" بن الحاج حسين في البيت الأبيض !!

لو أن باراك أوباما أو "بركة" بن الحاج حسين " أبو عمة " - حسبما ينادى هذا الاسم في قبيلة " اللو " الكينية التي ينحدر من أصولها في كينيا - في إحدى الدول العربية أو الإسلامية لكان مصيره الترحيل أو الجلوس بين ملفات الأرشيف بأحد المصالح الحكومية المهملة على أقصى تقدير ، لا أن يعتلي مقعد الرئاسة .

لكنه الانتماء الحقيقي للوطن بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الدين أو العرق . فالوطن مصالح وحقوق مشتركة بين أفراده ومواطنيه ، وبقدر ما يتم الحفاظ على هذه الحقوق يتبلور معنى " الوطنية " و" الانتماء الوطني " . والحقوق هي ألا يكون الحب من طرف واحد إن جاز التعبير ، فالعاطفة تعنى أن الإنسان يحب وطنه ، بينما الحقوق تعنى أن الوطن أيضا يحب الإنسان ويمنحه حقوقه من خلال القانون أو دستور موحد يساوى في الفرص والحقوق والتنمية ، حتى يتحقق معنى الوطنية والانتماء الوطني . فالوطن إذا ما حقق للإنسان الوحدة والأمن والاستقرار وعلاقات مع الآخرين ، فانه يجب على الإنسان في هذه الحالة الالتزام بالمواطنة وحقوقها .

وحالة باراك أوباما الذي انتخب رئيسا لأكبر قوة على مستوى العالم هي تعبير واضح على صحيح المواطنة والوطنية والانتماء الوطني المتبادل بين الدولة والمواطن بعيدا عن العرق أو لون البشرة أو الجنس أو الدين وهذا ما جسدته تجربة انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة التي سيكون لها الأثر على جيرانها من الديمقراطيات الكبرى الأخرى في أوروبا الغربية وغيرها .

فوالده لم يعش في الولايات المتحدة – وبالتالي من الخطأ القول بأن الرئيس الجديد من أبناء المهاجرين – بل هو رجل مسلم ينتمي إلى قبائل " اللو " و " الماساى " في كينيا التي تتشابه مع قبائل " الهوتو " و" التوتسي " في رواندا ، و" الهايا " في تنزانيا و" الأمهرة " في أثيوبيا وغيرها . وان كانت هذه القبائل دون غيرها تعد أكثر القبائل أرستقراطية في منطقة أفريقيا جنوب الصحراء .



وتمتهن هذه القبائل حرفة رعى الأغنام علاوة على إجادتها لفنون القتال ، ومن ثم فهي تحقر من العمل بالزراعة ومن شأن من يتخذونها حرفة لهم حتى لو كانوا أوروبيين أيضا . ومن المفارقات المضحكة أن أبطال الألعاب الأولمبية فى سباق العشرة آلاف متر وسباق المارثون ينحدرون من تلك الجماعات المحاربة بينما يفضل سكان الولايات المتحدة الأمريكية أو الكاريبي من ذوى الأصول الأفريقية سباقات العدو لمسافات قصيرة ومتوسطة .

فقد ولد أوباما فى هاواى لأب كيني أسود وأم أمريكية بيضاء من كانساس وبعد زواج استمر ثلاث سنوات فقط انفصل والدا أوباما ليعود الأب المسلم إلى كينيا وتتولى الأم تربية الابن ، وانتقل أوباما الصغير للعيش فى جاكرتا بعدما تزوجت أمه من مهندس بترول أندونيسى حيث أنجبت أخته غير الشقيقة " مايا " ، وانتظم أوباما خلال تلك الفترة فى مدرسة إسلامية لكن ما لبثت أمه أن ألحقته بمدرسة كاثوليكية ليعتنق المسيحية وتوفيت والدته بعد ذلك ليعود بعد بلوغه العاشرة إلى ولاية هاواى ليعيش مع جدته لأمه مادلين دانهام التي دشنت فيه الثقافة الأمريكية ، وقد عانى أوباما فى سنوات المراهقة من مسألة تنوع أصوله العرقية وتحديد هويته الثقافية لدرجة تناوله لفترة وجيزة لمخدر الماريجوانا والكوكايين .

وان كان – والحق يقال – أن أسلاف هذا الرئيس الملون المنحدر من أصول أفريقية ، لم يكونا يوما من العبيد ، كما يبدو أن والدته البيضاء ينتهي نسبها إلى جيفرسون ديفيس رئيس الحكومة الفيدرالية للولايات الجنوبية الأمريكية وبالتالي كان من أنصار العبودية إبان الحرب الأهلية الأمريكية التي دارت رحاها بين عامي ١٨٦١ و ١٨٦٥ بين الحكومة الفيدرالية فى الشمال وإحدى عشر ولاية جنوبية متمسكة بالعبودية .

كما أن باراك أوباما أتم دراسة جامعية مرموقة بأعرق الجامعات الأمريكية متفوقا بذلك على من سبقوه إلى البيت الأبيض من البيض فضلا عن أصوله النبيلة التي تعوضه عن الثراء الفاحش لمرشحين ديمقراطيين سابقين مثل روزافلت أو كيندي لدرجة أن منافسته هيلارى كلينتون التي أخفقت فى الانتخابات التمهيدية

للحزب الديمقراطي اتهمته آنذاك بأنه " نخبوى " كما أبدى القس الأمريكي الأسود جيسى جاكسون وآخرون غيره بعض التحفظات على أوباما فى بداية حملته الانتخابية من هذا المنطلق ، غير أن السود الأمريكيين سرعان ما نجحوا فى تجاوز تلك التحفظات وأدركوا الفائدة التي ستعود عليهم بفضل صعود رجل ملون إلى الحكم .

ورغم أن باراك أوباما نجح بذكاء فى تخطى العديد من الفخاخ التي نصبها الجمهوريون لأجل جره ولو من قبيل الدفاع المشروع عن الأمريكيين الأفارقة وفشل معسكر الخصم فى مهمته القذرة ، فانه نجح فى إعادة البعث الحقوقي لمسيرة حركة الاحتجاج المدني فى توظيف دقيق أنصف الأفارقة الأمريكيين ولم يحرج مواطنيهم البيض بل جعلها قضيتهم الوطنية .

لقد أضحت تجربة أوباما فى الولايات المتحدة درسا فى الانتماء الوطني والمواطنة ، بعيدا عن الشعارات والادعاءات اللفظية التي تخفى ورائها عنصرية اللون والجنس والدين ، على شعوب العالم النامي منها والمتقدم الإقتداء بها ، والتوقف عن التفاخر بأمجاد حضارات الماضي الأمر الذي تسبب فى اختفاء الشعور بالانتماء الوطني بين أفراد هذه الشعوب تجاه أوطانهم وتفشى ظاهرة الشماتة والشعور بالغربة . لقد أحدثت تجربة مجتمع المهاجرين الأمريكي دويا هائلا هز أركان دول الحضارات فى الغرب والشرق ، ولقنتها درسا فى أصول غرس " الولاء " و"الوطنية " و"الانتماء".

إن من الخطأ الكبير اعتبار البعض كلمة الوطن مرادفة لكلمة " الوثن " وكأن الانتماء الوطني عند البعض يعادل الانتماء الوثني ، أو هو نقيض للانتماء الديني ، بينما الواقع أنه لا يتناقض مع المفاهيم الشرعية التي تدعو إلى التعاون على البر والتقوى وتدعو للتواصي بالحق والصبر وتدعو إلى الإحسان بالجار والآخر .

"النصيرية" فى سوريا.التاريخ يحكى !!

المتأمل فيما تشهده سوريا الشقيقة ، يجب عليه ألا يغيب عن خاطره أبدا وهو يتابع ما يكابده السوريون هذه الأيام من تقتيل وتدمير ذاتى الفعل على نحو فاق ما شهدته دول الربيع العربى مجتمعة ،الأيام الخوالى التى مرت على هذا الشعب خاصة مع أيام الاستعمار الفرنسى لهذه الدولة .

فالفرنسيون كانوا أول من أطلق اسم "العلويين" على طائفة "النصيرية" ، وكان هدفهم من الوقوف إلى جانب هذه الصائفة هو تمزيق الدولة السورية فى إطار مسلسل يستهدف تقوية التحزب والولاء الطائفى بين الأقليات كالعلويين والدروز والأكراد والشراكسة لتفتيت المجتمع السورى .

و"النصيرية" التى تنتمى إليها أسرة الأسد هى إحدى فرق الشيعة الباطنية الغلاة وتنتسب إلى مؤسسها محمد بن نصير ابصرى النميرى الفارسى الأصل الذى أعلن أنه الوارث العلمى للإمام الحسن العسكرى ولكن الشيعة الإمامية الإثنى عشرية لم تقر له بذلك فإنفصل عنهم وأسس طائفة النصيرية المنسوبة إليه .

ويقول المؤرخون أن الهدف من إطلاق اسم العلويين على طائفة النصيرية كان خداع الناس وزيادة الغموض حول هذه الطائفة، لأن الإبقاء على إسم النصيرية يجعل الناس يتساءلون عن ماهية هذه الطائفة وحقيقة ما يكتنفها من أسرار وغموض، أما إسم العلويين فيوحى بأنهم من شيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه وهى التسمية التى إرتاح لها النصيريون أنفسهم وأحبوها لأنهم حريصون على إخفاء معتقداتهم ، بل وهو ما يفسر عدم إصدارهم لكتب أو مراجع تبين حقيقة طائفتهم الباطنية المذهب .

وطبقا لإحصائيات حديثة ، نشرتها صحيفة "المصرى اليوم" فإن سوريا التى تشبه " مملكة من الطوائف" يقطنها نحو ٢٠ مليون نسمة تضم ٧٠ فى المائة من السنة العرب وما يتراوح بين ٨ إلى ٩ فى المائة من العلويين العرب و ٨ فى المائة من السنة الأكراد و ٨ فى المائة من المسيحيين العرب (الأرثوزكس فى الدرجة الأولى) .

ويشير بعض المؤرخين مثل الدكتور مصطفى الكشعة إلى أن الكتابة فى موضوع الفرقة العلوية من أصعب الأمور لقلة المصادر وتشعب القول وإختلاف وجهات النظر لدرجة التضاد الكامل ولأنهم لا يفصحون عن أنفسهم بوضوح "لباطنية" المذهب أو "للسرية" التى يفترض بعضهم أنها أساس مقدس .

غير أن رجالا مثل أبو فخر الرازى، وإبن حزم، وإبن كثير، لهم فى النصيرية أراء أكثر وضوحا ، فيقول الأول " هم غلاة يزعمون أن الله تعالى يحل فى على فى بعض الأوقات ، وأنه فى اليوم الذى خلع فيه على باب خيبر ، كان الله تعالى قد حل فيه " ، ويقول الثانى " النصيرية من السبئية (أتباع إبن سبأ أول من قال بألوهية سيدنا على) القائلين بألوهية على ، ويرون أى النصيرية أن عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب أفضل أهل الأرض وأكرمهم فى الآخرة لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبس فيه من ظلمة الجسد وكدره .." .

وقال الثالث " خرجت النصيرية عن الطاعة ، فهم يقولون : لا إله إلآ على ولا حجاب إلا محمد ولا باب إلا سلمان ، ويقولون لمن يأسروه – إن لم يقتلوه – من المسلمين : قل لا إله إلا على ، وأسجد لإلاهك المهدى. فهل مايجرى فى سوريا هو إعادة للتاريخ وتكرارا لسيناريوهات الماضى البعيد كمدينة جبلة والقريب كمدينة حماه فى ١٩٨٢ .

وعلى ضوء هذه الخلفية التاريخية لنشأة النصيرية وأسرة حافظ الأسد يسهل علينا تفسير ما يفعله الأسد في سوريا من تقتيل وترويع لأفراد شعبه، بل يسهل علينا الوقوف على طبيعة جيش الأسد الطائفي في سوريا وتركيبته الطائفية ، بل يفسر مقتل ما يزيد على مائة ألف سوري حتى الآن نتيجة هذا الاقتتال الطائفي بين الجيش والشعب.

كما يفسر لنا اختلاف الطبيعة بين ذلك الجيش في سوريا والجيش المصري الذي حافظ على الشعب في مصر وانحاز إليه ولم يرفع السلاح في وجهه بما يؤكد العلاقة الفريدة في نوعها بين جيش مصر وشعبها التي يندر أن يوجد لها مثيل أو مثلها في الدول الأخرى.



إيران . فزاعة تتربص بأمن مصر !!

ما إن بدأ الحديث عن تقارب مصرى إيرانى فى ظل نهج جديد شرعت فيه مصر بعد ثورة ٢٥ يناير على المستويين الإقليمى والدولى لتصحيح مسار سياستها الخارجية ، حتى ثارت ثائرة الأشقاء فى الخليج بإيحاء من الولايات المتحدة التى استخدمت كل أوراقها لتخويف هذه الدول التى لم تخف مشاعرها لاسيما الإمارات العربية وكأنه حرام علينا حلال لهم .

وتوحدت وجهات نظر دول الخليج مع الولايات المتحدة وإسرائيل فى انزعاجها من التقارب المصرى الإيرانى وكأنه خطيئة سياسية لا يجب على مصر اقترافها ، بل ولا يجب على القاهرة أن تخرج عن خط النظام السابق الذى ظل ينفذ أجندة واشنطن وتل أبيب فى تصوير إيران كفزاعة تتربص بأمن مصر ، فى وقت ترتبط فيه جميع دول الخليج "المنزعجة" بعلاقات دبلوماسية وتجارية كاملة مع إيران على مستوى السفراء ، والحقيقة أن هذا التشنج السياسى من جانب الأشقاء ليس له ما يبرره أبدا للأسباب الآتية :

أولا : ليس من المنطقى بل ولا من المعقول أن تبقى مصر الدولة العربية والإسلامية الوحيدة التى توضع فى صف إسرائيل والولايات المتحدة فى معاداة إيران على عكس غيرها من العربية والإسلامية لاسيما تلك الخليجية المنزعجة .

ثانيا : على مصر أن تستعيد دورها الريادى الإقليمى فى التعامل مع قضايا محيطها العربى بما سيعود بالنفع على دول المنطقة والتعامل مع خلافاتها وقضاياها بما فيها الملف النووى ، وما حدث من مصالحة بين حماس وفتح مؤخرا خير دليل على ما يمكن أن تحققه مصر إذا ما عادت إلى دورها الطبيعى فى محيطها العربى والإقليمى وهذا ما يزعج واشنطن وتل أبيب .

ثالثا : أن دول الخليج لها علاقات دبلوماسية كاملة على مستوى السفراء مع

إيران بل أن دولة الإمارات التى لها خلافات مع إيران حول جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى تعتبر أهم شريك تجارى مع إيران .

رابعا : على مصر التى خرجت لتوها منهكة القوى بفعل فساد نظام جثم عليها لثلاثين عاما ، وعبء الفاتورة الاقتصادية التى دفعتها نتيجة الثورة على الفساد أن تسعى إلى توفيق أوضاعها الإقليمية والبحث عن شركاء تجاريين إقليميين من أجل انتعاش السياحة والتجارة واستغلال كل ما يمكن لدعم الاقتصاد المصرى بما يحقق نوعا من الاعتماد على الذات حتى لا نقع تحت رحمة من يخوفوننا بفزاعة طرد العمالة أو التلويح بتطويق مصر عن طريق "مجلس للممالك "يمتد الى المغرب .

خامسا : يعلم الجميع بمن فيهم الأشقاء أن التقارب المصرى الإيرانى لا يمكن أن يكون على حساب أمن ومصالح دول الخليج ، فليست مصر بسوابقها التاريخية القريبة والبعيدة ، الدولة التى تحيد عن مسئوليتها القومية تجاه محيطها العربى .

سادسا : أن علاقات سوية بين مصر وإيران ستصب فى صالح دول الخليج وسيتاح للقاهرة أن تكون أكثر فعالية فى تبديد مناخ التوتر بين إيران ودول الخليج كما سيتاح للقاهرة " فرملة " جموح طهران تجاه جاراتها واستغلال صفة التواصل لمصلحة الطرفين ، مثلما ساعدت العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وتل أبيب فى صالح القضية الفلسطينية .

لقد انتهى الآن عصر الفزاعات وطوت مصر بعد ثورة ٢٥ يناير صفحة سوداء استهدفت على مدى ثلاثين عاما تقزيم وتحييد وتكبيل مصر وتحميلها بأجندة أخرجتها عن هويتها العربية الإسلامية تصب فقط فى صالح الولايات المتحدة وإسرائيل ، ولن تكون مصر أبدا بفعل حفنة من الدولارات أسيرة لأحد ، فلا تحرموننا ما تحللونه لأنفسكم !!!

هل تنجو القناة
من "أسماك القرش" الصومالية .!!

هل ستنجو قناة السويس من شياطين البحر أم ستتسبب حفنة من المجانين الصوماليين من حرمان مصر من إيرادات هذا الشريان الحيوي البالغة نحو ٥ مليارات دولار سنويا ؟؟ والتأثير سلبا على واحد من أهم المصادر القليلة للدخل القومي المصري من العملات الصعبة . سؤال أصبح يؤرق الكثيرين على أرض المحروسة رغم استمرار تواتر التصريحات الوردية من جانب البعض للتهوين من حجم المشكلة .

لقد تحدث مركز أبحاث " شاتام هاوس " البريطاني المتخصص في السياسة الخارجية في تقرير له عن احتمالات غلق قناة السويس بسبب تصاعد أعمال القرصنة في خليج عدن . وأفاد التقرير بأن نحو ١٦ ألف سفينة تبحر عبر خليج عدن سنويا إما ذاهبة إلى قناة السويس أو آتية منها . وأن قيمة التأمين على السفن التي تعبر خليج عدن قد ارتفعت بنسبة كبيرة مع زيادة المخاطرة وارتفاع التكاليف . ويضيف قائلا " قد ينتهي الأمر بأن تفضل شركات الملاحة الانصراف عن خليج عدن وقناة السويس والاتجاه إلى رأس الرجاء الصالح " .

يأتي ذلك في الوقت الذي حذرت فيه أيضا المنظمة الدولية للملاحة البحرية من سلسلة التداعيات السلبية إذا اضطرت السفن لتغيير مسارها إلى طريق راس الرجاء الصالح ، مشيرة إلى أن رحلة عادية من ميناء رأس تنورة النفطي السعودي إلى مضيق جبل طارق ستتضاعف تقريبا وستستغرق ١٢ يوما إضافية وهو ما سيؤخر سد النقص في مخزونات النفط الأوروبية والأمريكية .

ويعزز من هذه المخاوف أن مجموعة الشحن البحري النرويجية العملاقة " أودفيجل سى " أعلنت في أعقاب اختطاف ناقلة البترول السعودية العملاقة أنها أمرت ناقلاتها البالغ عددها ٩٠ ناقلة بالدوران حول أفريقيا عن طريق رأس الرجاء

الصالح بدلا من استخدام قناة السويس لبلوغ الجهة التي تقصدها ، وهو الأمر الذي فعلته أيضا مجموعة أخرى دانمركية عملاقة للشحن البحري ، وجاء هذا الإعلان من جانب المجموعتين بعد أن قررت القوات البحرية الأمريكية وغيرها من القوات البحرية المنتشرة في المنطقة " الإحجام " عن التدخل لتحرير الناقلة السعودية العملاقة من قبضة القراصنة الذين استولوا على سبع سفن خلال ١٢ يوما فقط .

وتشير إحصائيات المنظمة البحرية الدولية إلى أن القراصنة الصوماليين استولوا على ٣٩ سفينة خلال العام الحالي حتى الآن ، يحتجزون منها الآن ١٧ سفينة ، كما يحتجزون ٦٠٠ من أعضاء أطقم السفن للمطالبة بالحصول على فدية . يحدث هذا في الوقت الذي تنتشر فيه وحدات بحرية أمريكية وروسية ودانمركية وألمانية وفرنسية وهولندية وباكستانية وكندية وبريطانية في هذه المنطقة البحرية قبالة مدخل خليج عدن .

وتفسيرا للقرصنة الصومالية ، أنه منذ انهيار نظام الرئيس الصومالي محمد سياد برى في بداية التسعينيات من القرن الماضي ، تعيش هذه الدولة الواقعة بمنطقة القرن الأفريقي حالة من الفوضى الكبرى تحولت على أيدي أمراء الحرب الذين قضوا على ما يمت بأي صلة لثقافة الدولة وسيادتها ، مما جعل المياه الإقليمية للصومال أرضا خصبة لسفن صيد دولية تعبث بثروة هذه الدولة السمكية ، وتطارد قوارب مواطنيه من الصيادين الفقراء الذين لجؤوا إلى تشكيل شبكة مسلحة للدفاع عن أنفسهم ، ما لبثت أن تحولت أنشطتها من مجرد الهجوم على السفن المعتدية على سيادة بلادهم إلى عمليات خطف سفن تجارية ويخوت سياحية في طريق الملاحة الدولية .

وأصبحت هذه المجموعات على مستوى عال من التدريب وزودت نفسها بأجهزة اتصالات وأجهزة رصد قوارب متطورة تمكنها من تنفيذ عمليات كبيرة داخل المياه الدولية وتفرض شروطها على شركات النقل البحري العالمية ، ليصبح زعماء هذه المجموعات وبفضل ما يحصلون عليه من أموال ، أمراء البحار انضم إليهم الآلاف من الشباب الصومالي الفاقد للأمل في حياة كريمة ..

ويرى الخبراء أن أسباب عجز الأساطيل البحرية الأجنبية عن التصدي بفاعلية للقراصنة الصوماليين وتوفير الحماية اللازمة للسفن التجارية قرب السواحل الصومالية تكمن في:

أولا : قلة عدد الأساطيل البحرية الأجنبية الأمر الذي يعجزها عن بسط كامل المراقبة والحماية للمياه البحرية لاسيما وأن خليج عدن يمتد نحو ٧٥٠ كليومترا طولا و ٢٥٠ كيلومترا عرضا وتبلغ مساحته ١٨٠ كليومترا مربعا .

ثانيا : اتسام عمليات القرصنة بالخفية وصعوبة تفاديها مسبقا ، فإذا ما استولى القراصنة على سفينة وأفراد طاقمها فمن الصعوبة على السفن الحربية أن تفعل شيئا لإنقاذهم لأن القراصنة عادة ما يستخدمون سفنا تجارية مدنية وعندما تبحر لمسافة بعيدة قبالة السواحل وتكتشف أهدافها ، تنزل قوارب سريعة لمحاصرة السفينة المستهدفة وفى هذه الحال يصعب على السفن الحربية التمييز بين سفينة مدنية وسفينة القراصنة من مظهرها الخارجي قبل أن يبدأ القراصنة هجومهم ، فإذا ما استولى القراصنة على السفينة وأفراد طاقمها فان السفن الحربية لا تقدم على استخدام القوة خوفا على حياة الرهائن .

ثالثا : قيام القراصنة بتنويع إستراتيجيتهم لإيجاد أماكن أخرى للهجوم في ظل تواجد السفن الحربية الأجنبية ، بدليل اختطاف سفينة الصيد الصينية في المياه الإقليمية الكينية ، كما أن الناقلة السعودية اختطفت في مياه المحيط الهندى على مسافة أبعد من أكثر من ٧٠٠ كيلومترا شرق مدينة مومباسا الساحلية جنوب شرق كينيا .

رابعا : أنه بالرغم من وقوع عمليات القرصنة الصومالية في البحر ، إلا أن مصدرها الحقيقي يقع في البر ، حيث يمتلك القراصنة مواقع آمنة في البر وقد مكنهم ذلك من التفاوض واحتجاز السفن المختطفة وأطقمها كرهائن لفترة طويلة دون أن يعرضوا سلامتهم الشخصية للخطر .

وبالتالي فانه ما لم تحل مشكلة القرصنة داخل الأراضي الصومالية فلن تنجح أساطيل العالم كلها في وقف أعمال القرصنة في البحر .

هل يحاكي القراصنة الآسيويون التجربة الصومالية !!

من غير المرجح أن يتراجع التصاعد السريع في أعمال القرصنة قبالة الصومال في المستقبل المنظور بل قد يزداد الأمر سوءا، غير أن الخوف كل الخوف من أن تستخدم الجماعات المتطرفة القرصنة البحرية سبيلا لتمويل أنشطتها الإرهابية أو تستخدم السفن المخطوفة "كفخاخ تدميرية عائمة" لتعطيل ممرات حيوية استراتيجية تعتمد عليها حركة التجارة العالمية .

ففي ظل رواج أنشطة القراصنة الصوماليين أمام السواحل الأفريقية وتحقيقها لمكاسب مادية كبيرة وصلت إلى ملايين الدولارات كالناقلة السعودية الأخيرة، دون رادع لهم، رغم الوجود العسكري الدولي في خليج عدن، يخشى الكثيرون من أن يحذو قراصنة آسيويون حذو القراصنة الصوماليين ويحاكون تجربتهم .

يقول نويل تشونج رئيس مركز الإبلاغ عن حوادث القرصنة بالمكتب الدولي للملاحة البحرية في كوالالمبور بماليزيا : إن كثيرين من المجرمين والعصابات الإجرامية في آسيا تراقب الأحداث في الصومال باهتمام كبير وما يجنيه قراصنة الصومال من مبالغ طائلة دون مجابهة تذكر، انطلاقا من أن المجرمين يتشجعون أكثر في ظل عائد ضخم ومخاطر أقل .

ويرجع منتدى مؤسسة هيريتيج فاونديشن للأبحاث تفاقم نشاط القرصنة الصومالية وعدم تراجعها حتى في ظل التواجد العسكري الأخير في خليج عدن (١٤ سفينة عسكرية) إلى أولا : أن حكومة الصومال ضعيفة وتفتقر للفاعلية ومحدودة السلطات جغرافيا لكبح جماح أعمال القرصنة، ثانيا : تردد شركات الملاحة في وضع حراسة مسلحة على السفن . ثالثا : القيود على استخدام القوة من جانب القوات البحرية، بما قد يؤدى ذلك إلى احتمال استمرار شركات الملاحة في دفع فدية

من اجل الإفراج عن السفن المخطوفة.

ويؤكد بيتر فام الخبير بجامعة جيمس ماديسون في الشؤون الأفريقية: أنه بالرغم من أن هناك حلولا لهذه المشكلة إلا أنها بعيدة المنال وبالتالي فإنه على المدى القصير سيزداد الموقف سوءا قبالة سواحل أفريقيا قبل أن يتحسن الأمر .

ويخشى الكثيرون الآن لاسيما في آسيا من أن تشجع القرصنة الصومالية قراصنة آسيا على تقليدهم ، بل تخشى الدوائر الآسيوية من أن تلجأ جماعات متشددة مثل جماعة أبو سياف في الفلبين للقرصنة لتمويل أعمالها ، لاسيما وأن ٧١ حادثة قرصنة فعلية وقعت في آسيا وسجلها مراقبو السفن في الشهور التسعة الأولى من عام ٢٠٠٨ والتي تظهر أن قراصنة الصومال ليسوا وحدهم الذين يجرؤون على تهديد اكبر الناقلات في العالم.

ومضيق ملقة بين ماليزيا وسومطرة من أكثر طرق الملاحة ازدحاما في العالم وعبرته أكثر من ٧٠ ألف سفينة في عام ٢٠٠٧ من بينها سفن تمد اليابان والصين بنحو ٨٠ في المائة من احتياجاتها من الطاقة ، وتزايدت خطورة عمليات القرصنة في المضيق لدرجة أن اللجنة المشتركة لتسعير أخطار الحرب التابعة لمؤسسة "لويدز"أضافت المنطقة لقائمة المناطق المهددة بحروب عام ٢٠٠٥ لترتفع رسوم التأمين على السفن التي تمر بالمنطقة ارتفاعا حادا.

وبالرغم من المخاوف حول مسألة المحاكاة بين أفريقيا وآسيا يرى البعض أن هناك اختلافات جوهرية بين القرصنة في المنطقتين ، أولا : أن القراصنة الآسيويون حول مضيق «ملقة» يفتقرون لقاعدة آمنة على الشاطئ مثل بلدة «ايل» الصومالية حيث من يخطف سفينة قبالة الصومال يمكن أن ينجو بفعلته ، ولكن في آسيا أين يذهب ؟؟ ثانيا : الصومال دولة بلا حكومة فعالة في حين توجد حكومات فعالة في آسيا التي إذا اختطفت بها سفينة يمكن أن تلاحق ويعتقل خاطفوها .

ولكن قد يرد البعض على ذلك بأن هناك الكثير من الملاذات المحتملة للقراصنة الآسيويين حيث شهدت جزر «اناعباس» الاندونيسية النائية تناميا لنشاط القرصنة وعلى مسافة ابعد إلى الشرق تتناثر في جزر جنوب الفلبين قواعد للمتمردين ، وهذا يجعل من بحري «سولو» و«سيليبيس» نقطتي انطلاق لحوادث القرصنة تهدد مضيق «ماكاسار» بين «سولاويزي» و«بورميو» وهو الطريق الذي تبحر فيه أعداد متزايدة من ناقلات الخام العملاقة مثل «كاساجيسان» وسفينة «سيريوس ستار» السعودية التي أفرج عنها مؤخرا بعد دفع الفدية للقراصنة الصوماليين .

كما أن الخطر الآخر أن يتحول القراصنة الآسيويون للإرهاب لاسيما وأن هناك تقارير تفيد بان متشددين يستلهمون فكر تنظيم القاعدة يخططون لشن مزيد من الهجمات على حركة الملاحة العالمية بل ويفكرون في احتجاز سفينة كبيرة واستخدامها " كقنبلة عائمة " وهو الأمر الذي دفع مؤسسة " لويدز "إلى وضع مضيق ملقة ضمن المناطق المهددة بخطر حرب.

لقد سببت أعمال القرصنة الصومالية فوضى شديدة خلال الاثنى عشر شهرا الماضية في خليج عدن رغم كونه من أكثر الممرات الملاحية ازدحاما في العالم حيث هاجم القراصنة خلال ذلك العام أكثر من ١٠٠ سفينة قرب السواحل الصومالية، ونجحوا في اختطاف حوالي ٤٠ سفينة وذلك وفقاً لمكتب الإبلاغ عن القرصنة التابع لمكتب الملاحة الدولية، الذي يتخذ من العاصمة البريطانية لندن مقراً له.

ويدعو البعض إلى فرض حصار عسكري على امتداد ساحل الصومال لمنع تزايد أعمال القرصنة بالرغم من وجود الآن نحو ١٤ سفينة حربية أجنبية على الأقل في خليج عدن وبالقرب من الصومال تحاول إحباط هجمات القراصنة لكنها لم تكن فعالة والسبب أن قواعد الاشتباك للقوات البحرية تعطي نافذة ضيقة مدتها ١٥ دقيقة لاستخدام الأسلحة القاتلة ضد القراصنة المشتبه بهم وهو وقت لا يكفي لصد هجوم صومالي . في حين أن السماح بقواعد فضفاضة للاشتباك تجعل القوات البحرية عرضة لقتل الأشخاص الخطأ سواء كانوا صيادين محليين أو بحارة تجاريين.

وقال تشارلز دراجونيت من المكتب الأمريكي للمخابرات البحرية: أنه إلى أن يتم حل مشكلة القرصنة قبالة سواحل أفريقيا فإن أصحاب السفن سيختارون السير في الطريق المعتاد الذي يعرفونه وهو تحمل الخسائر من أموالهم الشخصية أو زيادة قيمة التأمين من خلال دفع مبالغ أكبر أو الإبحار حول جنوب أفريقيا .

ويرى المحللون انه سيكون من الأفضل مهاجمة القراصنة على الأرض من خلال حرمانهم من المناطق الآمنة في الموانئ، التي يستخدمونها في احتجاز السفن حتى يتم دفع فدية ، وان كان هذا الخيار يتطلب العمل مع الشيوخ المحليين والمنسقين والمنظمات غير الحكومية.وقال دراجونيت: «المعركة ليست في المياه بقدر ما هي على الشاطئ».

أخلاقنا يا سادة هي سبب "هجمتهم الشرسة" علينا !!

تتألم نفسي ويضيق صدري، وأنا أشهد تواتر حلقات مسلسل " الهجمة الشرسة " على رسول الرحمة سيدنا محمد ﷺ في وسائل الإعلام الغربية بأنحاء متفرقة من الدول الغربية التي طالما تغنت بشعارات حقوق الإنسان والحرية، وان كنت مع ذلك لست بمستغرب . فقد أعطينا بما نفعله بأنفسنا وبفساد أخلاقنا هؤلاء المتنمرين بنا وبيدينا السلاح الذي يضربونا به ويتطاولون على من كان خلقه القرآن ومن أدبه ربه فأحسن تأديبه .

نحن الذين فرطنا في كل شيء، من الكتاب والسنة، وتصرفنا على عكس ما تقوله الآية الكريمة " ما فرطنا في الكتاب من شيء " (الأنعام ٣٨) ، فلم نتأس بأدبه ولم نتعلم من خلقه وأخلاقه، فضعفت عقولنا وفسدت أخلاقنا . أدينا شعائر ديننا دون تعلم أو معرفة، فجهلنا سماحته وآدابه . اكتفينا بالشعائر شكلا لا روحا وأصابتنا أمراض الأقوال والأفعال، فضاعت لذة القرب من الله وافتقدنا الحب، وقست قلوبنا على أنفسنا وحلت الضغينة فتنازعنا وتفرق جمعنا . فكيف لنا أن نلومهم على ما لا يعرفون عن خلق نبينا ﷺ وهم يروننا على هذا النحو ؟؟

لقد انتقل فساد أخلاقنا، وجهلنا بآداب ديننا، وخلق نبينا من بيوتنا، وشوارعنا وتعاملاتنا، إلى مساجدنا ومقامات أهل البيت المكرمين التي تحولت إلى أماكن استرزاق للحرامية، والمتسولين من النسوة والأطفال وذوى الملابس الهرئة البالية والبلطجية، دون حرمة لبيوت الله ومقامات أوليائه . فنغصوا على الناس حياتهم وضيقوا عليهم في أماكن فروا إليها من منغصات الحياة اليومية التي تعج بمشاكل الحياة، ليجدوا أشد منها على أيدي هؤلاء الجهلة بحرمة الدين وحرمة المساجد .

ما أن تدخل إلى أي من مساجد آل البيت مثلا كمسجد الإمام الحسين سبط رسول الله ﷺ أو السيدة الشريفة العفيفة زينب أو مسجد نفيسة العلوم السيدة نفيسة رضي الله عنهم أجمعين ، حتى يتسلمك المتنمرون ليس فقط من المتسولين بل حتى من العاملين في خدمة هذه المساجد والمقامات نفسها باسطوانات التسول وعبارات الاستجداء الممجوجة ، متعاملين معك كما لو كنت متطفلا على مناطق نفوذهم .

ولا يقتصر الأمر على الزائرين من الرجال فقط لبيوت الله ومساجد آل البيت ، بل تروى لي سيدة محترمة عاشقة لأهل بيت رسول الله ﷺ ، ما يحدث معها وغيرها عند زيارتهن لمساجد أهل البيت المكرمين وزيارة المقامات الشريفة من نسوة مفتريات يتسولن بالإكراه ونظام الفردة ، كأن تقوم الواحدة منهن بإلقاء طفلها بذبابه وهيئته الرثة على الزائرة بالمقام وهى ساجدة لله ، فتحول بينها وبين إتمام السجود ، دون أدب أو تورع أو احترام للمكان وحرمة المسجد وصاحب المقام ، فتنتفض المصلية خوفا وتخرج عن صلاتها وتضرعها وقد تعكر صفوها وضاق صدرها ، كارهة المجيء إلى المسجد مرة أخرى ، رغم حبها وعشقها لآل البيت وبيوت الله .

لم يكتف هؤلاء المتسكعين والمتسولون الجهلة ذوى الأثمال الهرئة والرائحة غير الذكية التي يتعمدون أن يكونوا عليها والذين حولوا بيوت الله إلى بوتيكات استرزاق رخيص ، من شغل مداخل وأرصفة هذه المساجد بل حولوا المقامات في الداخل إلى أماكن تعج بالضوضاء وصراخ صبيانهن والنزاعات بين أقرانهن من هذه الفئة ، تصارعا على الزائرات المحبات لآل البيت والصلاة في بيت الله ، أملا في لحظة صدق مع الله ، وتنفسا لرياح هذه الأماكن الطيبة .

وبدلا من أن يرجع الزائر إلى بيته وقد شحن بطارية قلبه بالقرب من الله وزيارة أهل بيت رسول الله " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى " (الشورى ٢٣) وقد ارتاحت نفسه ، وطابت روحه ، وهنئت سريرته ، من المكوث لدقائق في هذا الجو الروحاني ، يعود الزائر وقد امتلأ غضبا ، واستنكارا ، وضيقا وتبرما ، مما حل به من تعكير للصفو والمزاج ، عازما على ألا يعود !! . فتزيد الجفوة ، ويقل الحب ، وتتفشى الكراهية وتفسد الأخلاق .

ويتساءل الزائرون لبيوت الله ، أليس هناك من في المعنيين بشئون المساجد و الأوقاف من يهب لحماية بيوت الله ويحافظ على حرمتها وتوقيرها وتوفير المناخ السليم لزائريها بردع هؤلاء سواء كانوا من العاملين في هذه المساجد والمقامات ومراقبتهم ، وكذا إخراج المتسولين بنوعيها ومنعهم من تحويل هذه الأماكن المقدسة إلى أماكن استرزاق وابتزاز رخيص ، وإعادة الهدوء والسكينة التي تليق بمثل هذه الأماكن الطيبة ، أم نستسلم نحن أيضا لحالة السقوط التي ضربت بفعل قلة جاهلة ، لكافة مناحي حياتنا لتشمل حتى ذلك الجانب الجميل المتبقي من حياتنا .

ليتنا نتأسى في تعاملنا وأخلاقنا بأهل التصوف ، فهم أهل مكارم الأخلاق ، دعوتهم إلى إتباع الشريعة الغراء ، والسنة المطهرة ، طريقهم الاتجاه الأخلاقي العملي ، يعيشون حياة صادقة تبغي وجه الله ومحبته ، هم دعاة أمن وسلام ومحبة ، لا يعميهم التعصب ، ولا يحجرهم الجمود ، ولا يتأبى عليهم تذوق الجمال ، ولا تنقصهم الشجاعة وإنكار الذات ، ولا تقصر ملكات التفكير فيهم ، ولا يفزعهم أغلب الناس، وما أربح الأمة إذا استطاعت أن تستمد من هذه الينابيع طاقتها الروحية التي هي نماذج حية واقعية للب الدين وجوهرة .

فإذا ما فعلنا ذلك كانت صورتنا أمام هؤلاء المتنمرين لنا ، أشرف من أن تكون عرضة للخوض فيها ، وعنوانا طيبا عن آداب ديننا ، وترجمة صادقة لأخلاق نبينا ، فهم لا يعرفون عن أدبه الرباني ولم يسمعون عن خلقه القرآني إلا ما يظهر منا ويرونه فينا .

ثقافة الجريمة..والاستثمار في الأسمنت بدلا من العقول !!

أصبحت ثقافة الجريمة الاجتماعية في مصر هذه الأيام ذات طابع غريب سلوكا وتنفيذا – غير ذلك الذي عهدناه من قبل – قاسمها المشترك التدني الشديد في الفعل ، والخسة في الأخلاق ، والوضاعة في السلوك ، والسواد في القلوب ، وانعدام الرحمة والشرف والرجولة . يحدث ذلك في وقت تحول فيه التعليم لدينا إلى "تعلم" أي "تعود" بلا تعليم أو تربية .

كنا في الماضي نقول بحثا عن دوافع القتل : فتش عن المرأة ؟ فالمرأة وحدها هي التي تأخذ باللب . لب أولئك الذين لا عقل لهم و لا تربية بالطبع !! . أما الآن وتمشيا مع " العصر !! " نقول : فتش عن " العوز " عن "الحاجة" عن "الطمع" عن "الجشع" عن " التفسخ " عن "التربية" عن "الفقر" عند ضعاف النفوس من غير ذوى العفة الذين " يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف " .

ولا أتحدث هنا عن القتل وإزهاق الروح فقط ، ولكنني أتحدث عن أسلوب القتل ومبرراته ودوافعه هذه الأيام ، فما يكاد يمر يوم أو بعض يوم حتى نقرأ ونسمع ونشاهد من جرائم قتل ما يزكم حديثها الأنوف وتؤذى مشاهدها العيون . فهذا الذي استدرج سيدة أعمال إلى بيته واهما إياها بتسديد ما عليه من ديون ليقوم بمساعدة زوجته بإجبارها على التجرد من ملابسها واغتصابها بمساعدة الزوجة التي قامت بتصويرها في هذه الأوضاع لمنعها من المطالبة مرة أخرى بحقها !! .

وذاك الذي دخل إلى مسجد السيد البدوي ليطلب إلى أحد المصلين أن يذهب معه إلى بيته لأن زوجته مريضة نفسيا ويرغب في أن يقرأ رجل طيب عليها القرآن ، ويأخذ الرجل الطيب إلى مكان غير مأهول على أنهما باتجاه بيته ويخرج " بالطه " وينهال عليه ضربا حتى يلفظ أنفاسه ، ليكتشف هذا الطماع الوضيع أن كل ما يحوزه

القتيل البريء هو مبلغ ٢٠ جنيها وجهاز محمول بسيط ، غير عابىء بما قد يكون عليه هذا البريء ،كأن يكون أبا لطفلة أو عائلا لأسرة أو مسئولا عن أيتام أو ابن لأم مريضة أو أخ لأولاد قصر يسعى عليهم .

أو ذلك الشاب الذي استنجدت به فتاة صغيرة في حالة إعياء على إحدى الطرق السريعة القريبة من القاهرة بعد أن تعرضت للاعتداء من قبل سائق سفاح خطفها تحت التهديد أثناء خروجها ليلا لإحضار خبز من أحد أفران مدينة نصر لأسرتها ليحتجزها الشاب هو الآخر في شقته ليومين ثم يرمى بها على الطريق ليلا وهى بين الحياة والموت . أو . أو . أو .

ثقافة جديدة حلت بهذا المجتمع تضاف إلى حزمة من الثقافات غير المرغوبة التي تأصلت بين أفراده ، هذه الأيام وجعلت الحياة – للفضلاء منه – لا تحتمل والعيش لا يطاق ، مثل ثقافة التسول ، وثقافة الشماتة ، وثقافة الكراهية وثقافة الغربة وعدم الشعور بالانتماء للوطن ... ثقافات جمعت بين كل ما هو مذموم من الصفات .

والحقيقة أنى لن أناقش هذه المرة الأسباب المباشرة التي دفعت بالناس إلى هذا التوحش في السلوك الاجرامى على نحو أصابنا بالاشمئزاز ، تلك الأسباب التي لا يمكن تجاهلها من ممارسات الأثرياء من رجال الأعمال ورجال المال وقصص إنفاقهم الملايين بسفه على بائعات الهوى ، والإعلانات الاستفزازية عن الفيلات والشقق الفاخرة والسيارات والسلع والشاليهات والتي تشاهدها وتطالعها عيون الغالبية الساحقة من البسطاء الذين يعيشون على حد الكفاف سعيا للبقاء على قيد الحياة .

فالحقيقة أن هذا الهبوط والانحدار لم يكن مفاجئا ، في مجتمع أهمل الاستثمار في التنمية البشرية ، في التعليم والتربية والتنشئة واتجه بدلا من ذلك إلى صب اهتمامه بالاستثمار في الصرف الصحي والمجارى . وأصبحنا نقيس إنجازاتنا بحجم ما يشق من طرق ويقام من كباري ويشيد من صروح أسمنتية وهى بلا شك وان كانت مطلوبة ، لا يتعين أن تكون على حساب الاستثمار في البشر بالتنشئة التعليمية الصحيحة للطفل والشاب في المدرسة والجامعة .

وأوكلنا العملية التعليمية إلى أشخاص تعاملوا معها بمنطق وزارة التموين ، لا بمنطق التربية والتنشئة ، فأفرزت مئات الآلاف من الشباب الفاقد للانتماء الوطني والمتخم بالكراهية والكسل والتطلع والسطحية وروح البحث فترهل الشباب قبل الأوان وترهلت التنمية البشرية وغير البشرية ، وبدلا من أن تحل روح التنافس ، دبت في النفوس روح الكراهية والتشاحن فزادت الجريمة وتوحش مرتكبوها .

إن السيطرة والنفوذ الدولي في العقود القادمة من الألفية الثالثة لن تكون بالضرورة بالسلاح الحربي ، ولكن بالغزو الاقتصادي والثقافي والحضاري ، حيث يمثل التعليم أحد المؤشرات الرئيسية التي يقيس بها " مؤشر التنمية التابع للأمم المتحدة " مدى تقدم وتأخر الدول والشعوب ضمن تقريره الدولي الذي يطل به علينا كل عام . فإذا ما نظرنا إلى ما يخص مصر في تقرير المؤشر يتبين لنا جليا الأسباب الحقيقية وراء توحش السلوك الإنساني في مجتمعنا هذه الأيام .

وفى مقارنة بين مصر ودولة نامية أخرى مثل ماليزيا ، وثانية مجاورة مثل إسرائيل ، يقول التقرير الدولي أن معدل التعليم لدى الكبار (فوق ١٥ سنة) في مصر وصل عام ٢٠٠٢ إلى ٥٥ في المائة بينها وصل في ماليزيا إلى ٨٨ في المائة وفى إسرائيل إلى ٩٥.٣ في المائة ، وأن معدل التعليم لدى الشباب (من ١٥ إلى ٢٤ سنة) وصل في مصر إلى ٧٠ في المائة وفى ماليزيا إلى ٩٧ في المائة وفى إسرائيل إلى ٩٩.٥ في المائة . وأن نسبة الإنفاق على التعليم من إجمالى الدخل القومي في مصر ٣.٧ في المائة وفى ماليزيا ٧.٩ في المائة وفى إسرائيل ٧.٣ في المائة .

وكان طبيعيا – نتيجة لذلك – أن تأتى مصر في المركز رقم ١٥٤ ضمن مؤشر التنمية التابع للأمم المتحدة من بين يضم ١٧٧ دولة على مستوى العالم من اجمالى عدد الدول الأعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة البالغ عددها ١٩٦ دولة ، وهو المؤشر الذي يقيس مستوى التخلف والتقدم بين الدول ، لتتذيل مصر بذلك القائمة بما لا يتناسب مع حضارتها وتاريخها .

ماذا حدث لهذا الشعب الذي طالما تغنى بحضارته وتدينه وتقاليده وأصوله وعاب على غيره من الشعوب الأخرى تحررها وتفسخها بتمدينها ، وماذا تبقى له بعد أن فسد ما كان يتباهى به على تلك الشعوب من قيم الشهامة والرجولة من نصرة المظلوم وتأييد الحق وصلة الرحم ، واستشرت فيه ثقافة الجريمة غير الإنسانية والسلوك المتوحش .؟؟؟

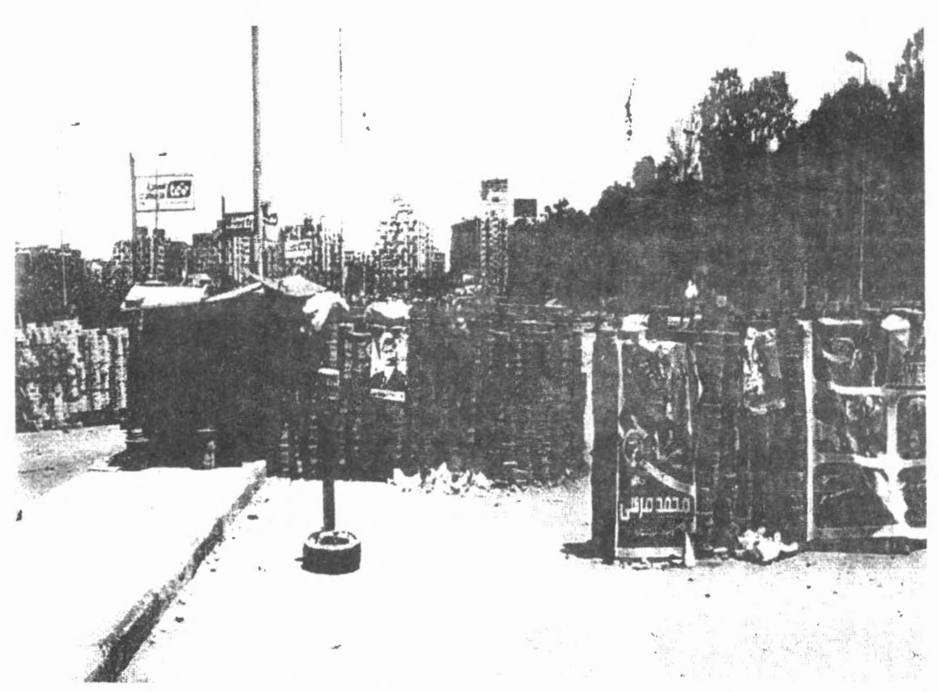
التمكين لأهل الثقة .ولو هتخرب !!!

عندما وصلت " جماعة الإخوان " إلى الحكم ، كان كل همها – فى إطار التمكين لكوادرها والمنتمين لها والمدافعين عن مشروعها – أن تزرع بحق وبدون التابعين لها لتولى المناصب القيادية فى جميع المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية وغيرها فى إطار نظرية "التمكين للموالين " ، وكانت المؤسسات الإعلامية على رأس تلك الجهات التى تعرضت لمذبحة مهندسى مجلس الشورى الذين حرصوا بتبجح وبجهل وغباء ومن خلال مسرحية هزلية على تمكين أنصارهم على طريقة " هوا كدا واللى مش عاجبه يشرب م البحر " . لأن المهم عندهم ليس مصر ومؤسساتها ، أو حتى الحق والعدل ومراعاة الدين الذى يتشدقون به وهو منهم براء بل "الجماعة " فوق الكل .

وإن كنت ألتمس العذر لبعض ما جاؤوا بهم إلى هذه المناصب ، لأنهم فى النهاية زملاء مهنة ويعلمون هم هذه الحقيقة وكيف جاؤوا . وطبعا النتيجة هى ظلم واضح لجيل من أهل الخبرة نتيجة أفعال وممارسات غبية وحاقدة لتلك " الجماعة " التى ابتليت بها مصر .

والحق أقول أن نفس ما ارتكبته " الجماعة" ارتكبه المجلس العسكرى الذى سبقها ، فما أن تولى حتى جاء أيضا بمحرريه العسكريين على رأس المؤسسات الإعلامية ابتداء من وزارة الإعلام وانت نازل !!! .

أما نحن معشر الذين لا ينتمون إلى جماعة أو مؤسسة أو حزب فلنا الله !!!! وأتساءل هل ستعود ريمه لعادتها القديمة في كل عصر وأوان ، بأن يأتي كل فصيل سياسي بزابنيته على رأس السلطة في كل مكان.. أما ستكون مصر بعد ثورة ٣٠ يونيو وفي ظل الدستور الجديد التي ستجري صياغته شيئًا آخر؟؟


محمد مرسي



برونزية بكين . وثقافة إهدار المال العام !!

أتذكر ذلك اليوم الذي سادت فيه حالة من الارتياح المؤقت الشارع المصري بعد قرار رئاسي بتشكيل لجنة لمحاسبة المقصرين وتقصى الحقائق في نتائج البعثة المصرية التي شاركت في دورة بكين الأخيرة بعد أن عادت إلى القاهرة طوابير الاتحادات الرياضية المصرية من مسئولين وتنفيذيين ومدربين وإداريين ولاعبين بخفي حنين وقد أهدروا من المال العام أكثر من ٢٠٠ مليون جنيه استعدادا وتجهيزا لهذه الدورة ، وبدلا من أن ينقذوا ماء وجوههم بتحقيق خمس أو عشر ميداليات ، أبوا إلا أن يأتوا بميدالية برونزية " يتيمة " لهذا الشعب الذي أستقطع من ميزانية قوته لكي يحصل هؤلاء على بدلات أسفارهم .

فهل سيأتي اليوم الذي يتمتع فيه مسئولونا بثقافة الاستقالة عند التقصير أو الفشل أو الإهمال ، مثلما يتمتعون بثقافة التشبث بالكرسي وإهدار المال العام في سياسات فاشلة تجر علينا نتائج أكثر فشلا .

لقد ذكرتني عودة طوابير بعثتنا من بكين ، بثقافة المؤتمرات لدى الفصائل الصومالية المتناحرة ، وكذلك بعض الفصائل الفلسطينية هذه الأيام في كثير من حوارتها في القاهرة أو الرياض أو غيرها من العواصم العربية ، حيث يفرح أعضاء هذه الفصائل برعاية دولة مثل مصر أو دول خليجية لعقد مؤتمرات مصالحة تخصهم ، ليس للتصالح فيما بينهم ، بقدر ما يستغلون إقامتهم بالفنادق الفاخرة للتنعم والتنزه وركوب الليموزين وارتياد الحانات وإجراء المكالمات الدولية مجانا ، وخدمة مصالحهم وأعمالهم الخاصة .

ولم يكتف كبار مسئولي بعثتنا الرياضية بخيبة الأمل التي منى بها مرافقوهم من المدربين والتنفيذيين والإداريين واللاعبين في مختلف الألعاب لعجزهم عن تحقيق أية نتائج أو ميداليات ، بل كانوا مثالا سيئا لهذا الشعب الصبور وصورته عندما تناحروا

نتائج أو ميداليات ، بل كانوا مثالا سيئا لهذا الشعب الصبور وصورته عندما تناحروا وتراشقوا بالألفاظ على مرأى ومسمع من غير المصريين ، وكان أولى بهم على أقل تقدير أن يواروا سوءاتهم إلى أن يعودوا .

لقد حملت وكالات الأنباء إلينا ، ثورة الرئيس الكوبي كاسترو وغضبه على بعثته وعلى الحكام وغيرهم لأن البعثة الكوبية إلى الدورة لم تحصل سوى على ٢٤ ميدالية وألقى باللائمة على من وصفهم بعصابات المافيا التي قال إنها خدعت اللجنة الأولمبية . فماذا كان رد الرجل لو كانت بلاده قد حصلت على ميدالية برونزية يتيمة كتلك التي حصلت عليها دولة كبيرة عريقة قديمة مثل مصر ؟؟؟؟ .

إن ما أهدره رياضيونا من مسئولين وتنفيذيين وإداريين ولاعبين ، ليس فقط ما خصلوا عليه من بدلات سفر أو مكافآت أو غير ذلك أثناء الدورة ، بل لقد أهدروا بهذه النتائج السيئة أموالا طائلة تم إنفاقها على الأنشطة الرياضية لهذه الألعاب المختلفة حتى قبل سنوات من دورة بكين سواء بالنسبة للسياسات والبرامج والسفريات والاجتماعات والانتقالات في إطار التجهيز والإعداد للاعبين والمنشآت الرياضية التي كلفت الدولة الكثير ، أملا في بسمة يجلبها هؤلاء الرياضيون تظهر على شفاه البسطاء من أبناء شعبنا وتنسيه ولو لبعض الوقت ما يثقل كاهله في حياته اليومية ، وأصابوه بالإحباط بعد آمال تعلق بها نتيجة تصريحاتهم الوردية غير الأمينة ، وأعادوا إلى أذهاننا خيبة أمل " صفر " المونديال سابقا .

إننا أغنياء بكثير من الثقافات المتنوعة ، ولكنها ثقافات ابتدعناها بخيالنا ، على غير أعراف وثقافات شعوب العالم . لا نبغي بها وجه الله فيما نفعل ، ثقافة الأقوال دون الأفعال ، ثقافة المصلحة الشخصية دون العامة ، ثقافة إرضاء الرئيس دون قضاء حوائج المرؤوس ، وقمنا بتجميل وتلوين هذه الثقافات بمزيج من الألفاظ والأمثال الشعبية التي تدعو إلى السلبية والتواكل وتحض على الأنانية وحب الذات والتسلق ، فما كان إلا أن تفشت بيننا أمراض الأقوال والأفعال ، أي يقول الإنسان أمام الناس غير ما يبطن ويفعل أمام رئيسه ما لا يفعله في غيابه ، وغابت عنا ثقافة محاسبة النفس والأمانة والعمل وقلة الكلام ، والعطاء قبل الأخذ والاستقالة عند التقصير وتحمل المسئولية ، فتراجعنا وتقدم غيرنا .

الحب في القرآن

الله سبحانه وتعالى هو النور وهو الحق والعدل والسلام والخير، فمن أحب النور والحق والعدل والسلام، فقد أحب الله، فالله هو المحب الحب المحبوب ..والمسلمون مأمورون بحب الله "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة"..

إن الحب مقام إلهي فإنه سبحانه وصف به نفسه وتسمى بالودود، وفي الخبر بالمحب، ومما أوحى الله به إلى موسى في التوراة: يا إبن آدم إني وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا، وقد وردت المحبة في القرآن والسنة في حق الله وفي حق المخلوقين، وذكر أصناف المخلوقين بصفاتهم، وذكر الصفات التي لا يحبها الله، وذكر الأصناف الذين لا يحبهم الله فقال تعالى لنبيه ﷺ آمرا أن يقول لنا: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران ٣١)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (المائدة ٥٤) وقال في ذكر الأصناف الذين يحبهم "﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ " (البقرة ٢٢٢)، ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة ٢٢٢)، ﴿ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ " (التوبة ١٠٨)، " يحب المتوكلين " (آل عمران ١٥٩)، ﴿ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ " (آلعمران ١٤٦)، ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٤)، ﴿ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٤)، ﴿ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف ٤)..

كما نفى عن نفسه أن يحب قوما لأجل صفات قامت بهم لا يحبها، وفحوى الخطاب أنه سبحانه يحب زوالها ولا تزول إلا بضدها ولا بد فقال: ﴿ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة ٦٤)، " وإذا لا يحب الفساد " (البقرة ٢٠٥)، وضده الصلاح فعين ترك الفساد صلاح وقال: " ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ

مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ (القصص ٧٦)، ﴿ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان١٨)، ﴿ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الشورى ٤٠)، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام ١٤١) ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الروم ٤٥)، ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ (النساء١٤٨)، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (المائدة٨٧)..

ثم أنه سبحانه وتعالى حبب إلينا أشياء منها التزيين ومنها مطلقة ممتنا علينا ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (الحجرات٧)، وقال: ﴿ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ (آل عمران ١٤)، وقال فى حق الزوجين: " وجعل بينكم مودة ورحمة " (الروم ٢١)، ونهانا أن نلقى بالمودة لى أعداء الله فقال: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ (الممتحنة ١)، والمحبة الواردة فى القرآن كثيرة..

وأما الأخبار فقوله ﷺ عن الله أنه قال: "كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفونى " فما خلقنا إلا له، لا لنا، لذلك قرن الجزاء بالأعمال فعملنا لنا لا له، وعبادتنا له لا لنا، وليست العبادة نفس العمل، فالأعمال الظاهرة فى المخلوقين خلق له فهو العامل، ويضاف إليه حسنها أدبا مع الله مع كونها كل من عند الله لأنه قال: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ (الشمس٧)، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات:٩٦)، وقال: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(الزمر ٦٢) فدخلت أعمال العباد فى ذلك، وقال رسول الله ﷺ: "إن الله يقول: ما تقرب المتقربون بأحب لى من أداء ما افترضته عليهم و لا يزال العبد يتقرب إلىَّ بالنوال حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به "" الحديث.. وفى الخبر: "إن الله يحب كل مفتن تواب"، وفى الخبر: "وجبت محبتى للمتحابين فى"، وفى الخبر: "حبوا الله لما أسدى إليكم من نعمة"، وفى الخبر: "إن الله جميل يحب الجمال"، وأن الله يحب أن يمدح"، وقال عليه الصلاة والسلام: "حُبب إلى من دنياكم ثلاث" الحديث..

والإيمان في الإسلام قائم على المحبة، ومؤسس على المودة، وهذا ما جعل المسلمين يفرحون بأمر الحب، وبالأمر بالحب .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم "، فجعل دخول الجنة متوقفا على الإيمان، وجعل الإيمان متوقفا على المحبة، فالمحبة شرط في الإيمان وركن في العقيدة وأساس الدين ..

والمحبة كذلك شرط في إستكمال الإيمان وتمامه : " من أحب لله وأبغض لله فقد إستكمل الإيمان " (رواه أبو داو ود عن أبي أمامه)، فالإيمان أساسه الحب، وكماله الحب، وأوثق عراه الحب، قال رسول الله ﷺ لأبي ذر : يا أبا ذر، أي عرى الإيمان أوثق ؟ قال : الله ورسوله أعلم، قال عليه الصلاة والسلام : " الموالاة في الله، والحب في الله" ..

وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله " هذا هو الإيمان : قاعدته وركيزته الحب، وسنامه وذروته الحب، وبناؤه الحب، وتمامه وجماله وجلاله بالحب، حب الله، وحب الرسول الذي يقول : " لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده ومن نفسه التي بين جنبيه ومن الناس جميعا " ..

والحب تقرب، وعطاء .. تقرب من المحب، وعطاء من المحبوب عن هذا يقول الحديث القدسي " ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما إفترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ،فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى عليها، ولئن سألني لأعطيته، ولئن إستعاذني لأعيذنه، ولئن استنصرني لأنصرنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره إساءته و لابد له منه " ..

والحب في الإسلام له منهج وطريق ومعالم وإلتزامات وقيود ونهج تربوي إلهي سما بالعواطف، وهذب الأخلاق، وشذب الغرائز، وقدم لكل نفس ما يعصمها من الجنوح، وما يمنعها من الزلل والإنحراف، وما يأخذ بيدها حتى تصير نفسا وضاءة مشرقة محبة محبوبة، ولعل الإنسانية اليوم في صراعها وسباقها المحموم وتكالبها المادي وما أسفر عن جراح دامية في كل إتجاه، لعل لها في المحبة الإسلامية ما يأخذ بيدها إلى آفاق من الأمن

والاستقرار والأمان والإيمان ..

حتى الإمام ابن تيمية في رسالته " العبودية " يقرر أن المحبة جزء لا يتجزأ من حقيقة العبودية مستدلا على ذلك باللغة والشرع قال " ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب ، فإنهم يقولون : قلب متيم إذا كان متعبدا للمحبوب ، والتتيم : التعبد ، وتيم الله : أي عبد الله " ..

والطاعة دليل وعلامة وإمارة على حب الله ، فالمحب يطيع من أحب ، وينفذ أمره في رضاء وسعادة قال إبن المبارك :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه

هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

فحب الله تحلية للمؤمن بالطاعة والقيام بتكاليف الله ، توصل هذه التحلية إلى التجلية والظهور والرعاية والعناية والعطاء الرباني ..

أن أسمى وأعلى منزلة ، وأكبر درجة وأكمل مقام في الدنيا والآخرة أن يقول الله مخاطبا عبده ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ (طه ٣٩) إن هذا القول يجل عن الوصف ، حيث أن محبة القوى الجليل للعبد الضعيف الذليل هي جماع الرحمة وفيض اللطف وجميل العطاء ، وهى النعمة والمنة والتكريم والفضل ، فالله الجميل الجليل يلقى على وجوه أحبائه آيات الجمال وحلل الجلال ..

والقرآن ملئ بالآيات الدالة على الحب والمحبة والجمال والجلال والود والألفة وصلة الرحم ، وكذلك الأحاديث القدسية والأحاديث الشريفة ، والتي لا يتسع المقام للإشارة إليها.

فأحباب الله هم الذين يعيشون هائمين في شوق ووجد وذكر وفكر وليس أبلغ من تلك الأبيات التي تصف حالهم :

قـــــوم ســـــكارى في محبتـــــه
كـساهم الحـب بـين النـاس أثوابـا

خمـص البطـون إذا مـا قـال واحـدهم
يـارب، فتحـت الأبـواب إيجابـا

لا يحجبـون عـلى أبـواب سـيدهم
بل هم أقيموا على الأبـواب حجابا

إذا تجـلى لهـم في طيـب حـضرتهم
تـاهوا مـن السكر إذلالا وإعجابـا

بالـذل عـزوا وبـالإقلال قـد كثـروا
وقـاطعوا فيـه أسـبابا وأحـسابا

فـإختر لنفـسك مـاذا أنـت فاعلـه
ولا تكـن في فعـال الخـير مرتابـا

وإلا فخـل حـديث الحـب مطروحـا
فـإن للحـب خطابـا وطلابـا ..

الحب بين القلب
والعين والجدل بينهما

العين والقلب شريكان في الهوى .. فالعين رائدة والقلب طالب، وللأولى لذة الرؤية وللآخر لذة الظفر .. ويقول العلامة إبن قيم الجوزية في مناظرة بين العين والقلب يلوم كل منهما الآخر لأنه وجه صاحبه إلى هوى غير محبب دون حب الله .. فقال القلب للعين: أنت التي سقتني إلى موارد المهلكات وأوقعتني في الحسرات بمتابعتك اللحظات وخالفت قول أحكم الحاكمين: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النور الآية ٣٠)..

وقالت العين ظلمتني أولا و أخيرا وبوت بإثمي باطنا وظاهرا وما أنا إلا رسولك الداعي إليك، ورائدك الدال عليك:

وإذا بعثت برائد نحو الذي

تهوى وتعتبه ظلمت الرائد

فأنت الملك المطاع ونحن الجنود والأتباع، أركبتني في حاجتك خيل البريد، ثم أقبلت على بالوعيد والتهديد، فلو أمرتني أن أغلق على بابي، وأرخى على حجابي، لسمعت وأطعت، ولما رعيت في الحمى ورتعت، أرسلتني لصيد قد نصبت لك حبائله وأشراكه، وإستدارت حولك فخاخه وشباكه فغدوت أسيرا بعد أن كنت أميرا وأصبحت مملوكا بعد أن كنت مليكا هذا وقد حكم لي عليك سيد الأنام وأعدل الحكام عليه الصلاة والسلام، حيث يقول " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهى القلب " ..

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: القلب ملك وأعضاؤه جنوده فإن طاب الملك طاب جنوده وإذا خبث الملك خبث جنوده .. ولو أمعنت النظر لعلمت أن فساد رعيتك بفسادك وصلاحها بصلاحك ولكنك هلكت وأهلكت رعيتك وحملت على العين الضعيفة

خطيئتك وأصل بليتك أنه خلا منك حب الله وحب ذكره وكلامه وأسمائه وصفاته، وأقبلت على غيره وأعرضت عنه وتعوضت بحب من سواه والرغبة فيه منه، هذا وقد سمعت ما قص عليك من إنكاره سبحانه على بنى إسرائيل طعاما بطعام أدنى منه، فذمهم على ذلك ونعاه عليهم، وقال ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾(سورة البقرة ٦١) ..

فكيف بمن إستبدل بمحبة خالقه وفاطره، ووليه ومالك أمره الذي لا صلاح له ولا فلاح، ولا نعيم ولا سرور، ولا فرحة ولا نجاة، إلا بأن يوحده في الحب، ويكون أحب إليه مما سواه، فأنظر بالله بمن إستبدلت، وبمحبة من تعوضت ؟ رضيت بنفسك بالحبس في الحش ، وقلوب محبيه تجول حول العرش، فلو أقبلت عليه وأعرضت عمن سواه لرأيت العجائب ولأمنت من المتالف والمعاطب، أو ما علمت أنه خص بالفوز والنعيم، من أتى الله بقلب سليم، أي سليم مما سواه، ليس فيه غير حبه وإتباع رضاه..

ولم تصمت الكبد عندما سمع بالجدل بين العين والقلب، فلما سمعت الكبد تحاورهما وجدالهما وتخاصمهما، قالت : أنتما على هلاكي تساعدتما، وعلى قتلي تعاونتما، ولقد أنصف من حكى مناظرتكما، وعلى لساني متظلما منكما :

يقول طرفي لقلبي هجت لي سقما

والعين تزعم أن القلب أنكاها

والجسم يشهد أن العين كاذبة

وهي التي هيجت للقلب بلواها

لو لا العيون وما يجنين من سقم

ما كنت مطروحا من بعض قتلاها

فقالت الكبد المظلومة إتئدا

قطعتماني وما راقبتما الله

ثم قالت : أنا أتولى الحكم بينكما ، أنتما في البلية شريكا عنان ، كما أنكما في اللذة والمسرة فرسا رهان ، فالعين تلتذ ، والقلب يتمنى ويشتهي ، وإن لم تدرككما عناية مقلب القلوب والأبصار ، وإلا فما لك من قرة ولا للقلب من قرار ..

وقالت : والحاكم بينكما هو الذي يحكم بين الروح والجسد إذا إختصما بين يديه ، فإن في الأثر المشهور : لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح : أنت التي حركتني وأمرتني وصرفتنى ، وإلا فأنا لم أكن أتحرك وأفعل بدونك .. فتقول الروح له : وأنت الذي أكلت وشربت وباشرت وتنعمت ، فأنت الذي تستحق العقوبة ، فيرسل الله سبحانه وتعالى إليهما ملكا يحكم بينهما فيقول : مثلكما مثل مقعد بصير وأعمى يمشى ، دخلا بستانا فقال المقعد للأعمى : أنا أرى ما فيه من الثمار ولكن لا أستطيع القيام ، وقال الأعمى : أنا أستطيع القيام ، ولكن لا أبصر شيئا ، فقال له المقعد : تعال فإحملني فأنت تمشى وأنا أتناول ، فعلى من تكون العقوبة ؟ فيقول عليهما ، قال فكذلك أنتما..



سيرة ذاتية

- **الكاتب الصحفي الدكتور / محمد المنشاوى**

نائب رئيس تحرير وكالة أنباء الشرق الأوسط "أ ش أ"

والمشرف على التدريب والتعاون الدولى

- درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة بينيلوكس الأوروبية – بروكسيل.

- **التعليم والدراسات :** ١٩٧٨ – التخرج من كلية الإعلام جامعة القاهرة مع دراسات عليا وماجستير فى الإعلام. ٢٠١٢ : شهادة من أكاديمية الدويتش فيلا الألمانية فى برلين بعد برنامج تدريبى مكثف خلال مارس ٢٠١٢ حول " آليات الإدارة الذاتية لوسائل الإعلام بين الحرية والمسؤولية ". ٢٠١٢ : شهادة من مؤسسة فريدريش نومان الألمانية بعد برنامج ودورة تدريبية فى شهر سبتمبر عام ٢٠١٢ حول " الصحافة الإلكترونية فى ألمانيا " فى كل من هامبورج وبرلين وشملت : صحافة أون لاين ، واستخدام التواصل الاجتماعى فى الصحافة ، والتحرير الصحفى فى البورتال.

- **الخبرات المهنية :** ١٩٨٥ – ١٩٨٨ : عملت في دائرة الشؤون السياسية بالإذاعة المصرية في ترجمة وتحرير وإعداد نشرات الأخبار التي كانت تبث على شبكات محطات الإذاعة.

- ١٩٨٩ – ١٩٩٠ : عملت رئيسا لتحرير مجلة "النجوم العربية" وهى مجلة عربية ثقافية فنية بعد أن عملت مديرا لتحريرها لفترة من الوقت .

- ١٩٨٢–١٩٩١ : عملت بالترجمة في قسم وكالة الأنباء الألمانية .

- ١٩٩١ : عملت في وكالة الأنباء انعمانية . ١٩٩٤–١٩٩٨ : عملت مديرا لمكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا . وانتخبت لفترتين متعاقبتين رئيسا لرابطة المراسلين الأجانب لدول شرق وجنوب أفريقيا التى كانت تتخذ من أديس أبابا مقرا لها ، ١٩٩٨– ٢٠٠٠ عملت محررا دبلوماسيا وكذا محررا للشئون الدولية بوكالة أنباء الشرق الأوسط .
- ٢٠٠٠ – ٢٠٠٦ : توليت رئاسة قسم شئون رئاسة الجمهورية بوكالة أنباء الشرق الأوسط ""كبير محررى شؤون الرئاسة" ٢٠٠١ –٢٠٠٦ : عملت فى التحليل السياسى للأحداث المهمة لدى محطات إذاعية وتلفزيونية عربية وأجنبية لاسيما شبكة تلفزيون // إن بى سى // الأمريكية (تحت إشراف شارلين جوباش المديرة الاقليمية لشبكة التلفزيون الأمريكى فى القاهرة) .
- توليت تغطية العديد من الندوات والاجتماعات والمؤتمرات الدولية ومؤتمرات القمة العربية والأفريقية . - سافرت إلى أكثر من ٢٧ دولة على مستوى العالم فى أفريقيا وآسيا وأوروبا والولايات المتحدة فى مهام صحفية متنوعة كما دعيت الى زيارات خارجية وموائد مستديرة للأمم المتحدة وندوات لدول أجنبية فى أديس أبابا ووارسو ونيقوسيا وأثينا وبروكسيل لمناقشة قضايا دولية أفريقية أو علاقات ثنائية تخص مصر وهذه الدول .
- العمل بمجال التدريب :منذ عام ٢٠٠١ ، شاركت فى تدريب الكوادر الصحفية الشابة من خلال برامج تدريبية ومحاضرات فى مجال الصحافة والإعلام لشباب الصحفيين أو الراغبين فى العمل بالمؤسسات الصحفية ، وخاصة التدريب فى مركز التدريب التابع لوكالة أنباء الشرق الأوسط وتشمل مجالات التدريب التى عملت بها : الترجمة الصحفية ،
- والتدريب على الأشكال الصحفية وطرق الكتابة لها
- التحرير الصحفى سواء للصحافة المطبوعة أو لصحافة الأون لاين

- عمل المحرر والمندوب والمراسل
- الكتابة لصحافة البوابات الإلكترونية وصحافة الويب
- مهام إضطلعت بها كمسئول بالوكالة :
- منذ شغلى لمنصب نائب رئيس تحرير الوكالة والمشرف على ملف التدريب والتعاون الدولى ، نجحت فى جلب الكثير من الخدمات الإخبارية التى تحتاجها الوكالة :
- إتفاقية للتعاون بين الوكالة ومؤسسة فريدريش نومان الألمانية .
- اتفاقية تعاون شاملة مع مفوضية العلاقات الأوروبية العربية التابعة للاتحاد الأوروبي.
- استحدثت بالوكالة بوابة الكترونية جديدة مفتوحة للجمهور "بوابة أ ش أ " لأول مرة فى تاريخ عمل الوكالة .
- فى إطار سعيى لتغيير مفهوم نشرة الوكالة من كونها خدميه الى كونها سلعيه لتحقيق مصادر دخل مالية جديدة لتقليل الإعتماد على الدولة ، توليت قيادة مفاوضات أسفرت عن عقود مع شركات المحمول الثلاث فى مصر
- كتب ومؤلفات : - كتاب " فلسفة التصوف الإسلامى "،٢٨٥ صفحة (مدبولى).- كتاب " فلسفة الحب الإلهى " ٢٧٠ صفحة بالعربية
- كتاب " كارت السلطان " ،١٨ قصة قصيرة .
- كتاب " الموت فوق الكارو " ١٧ قصة قصيرة .
- كتاب " فلسفة التذوق الصوفى: بين علماء الرسوم وعلماء الحقيقة " ٢٩٥ صفحة.

الفهرس

الموضوع | **الصفحة**